

ج. د. سالنجر

تسع قصص

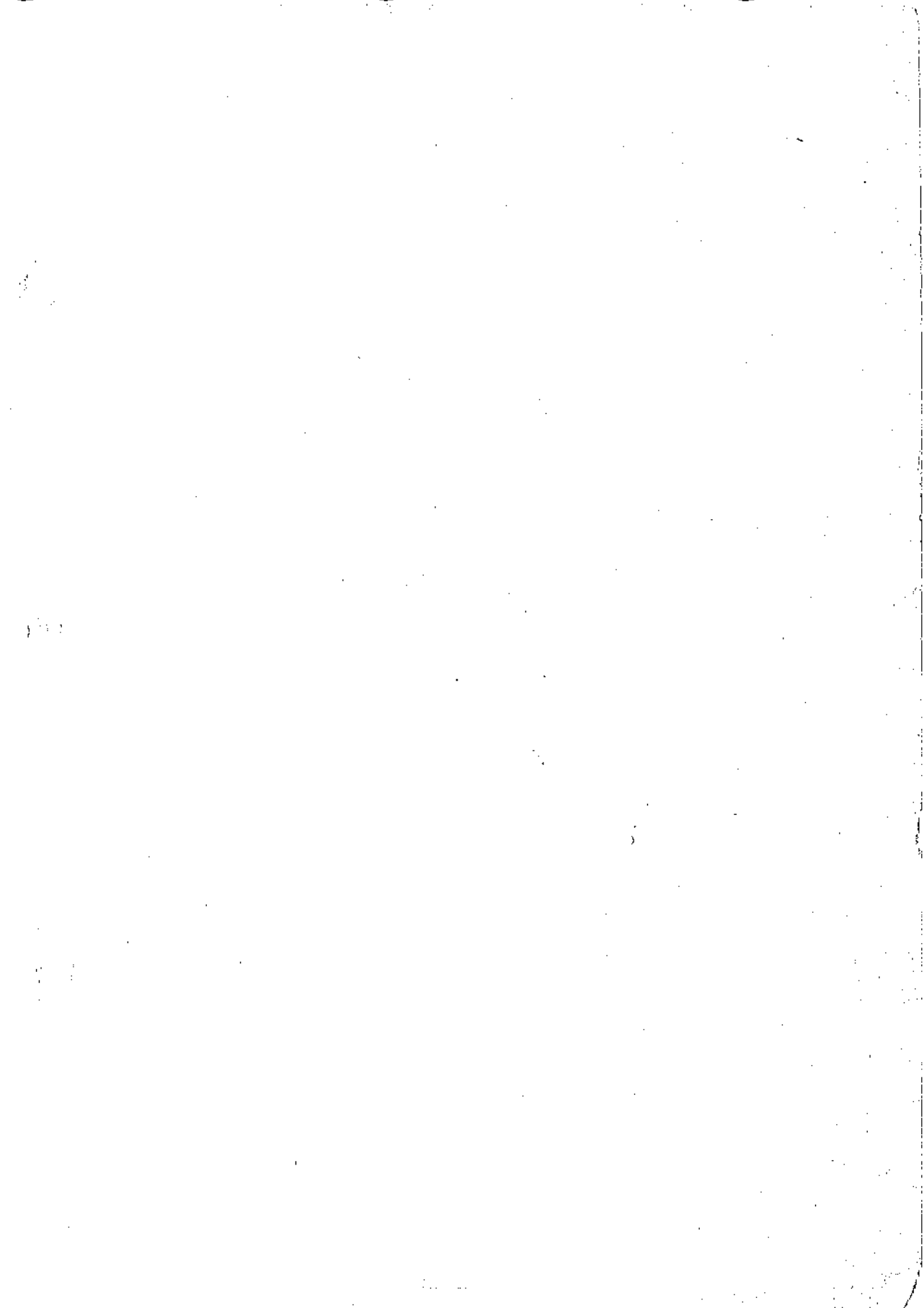
وَأَجِيعُ الرَّحِمَةَ
سَلِيمَانَ الْعِيسَى

نَقَلْنَاهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
مَلِكُ أَبِيضِ الْعِيسَى

دار الاتحاد

مجلس
العلماء
١٠/١٠/١٠

تسع قصص



ج. د. س. النجر

تِسْعُ قِصَصٍ

رَاجِعُ الزَّيْمَةِ
سَلِيمَانُ الْعِيسَى

نَقَلْنَاهَا إِلَى الْعَرَبِيَّةِ
مَلِكُ أَبِيضُ الْعِيسَى

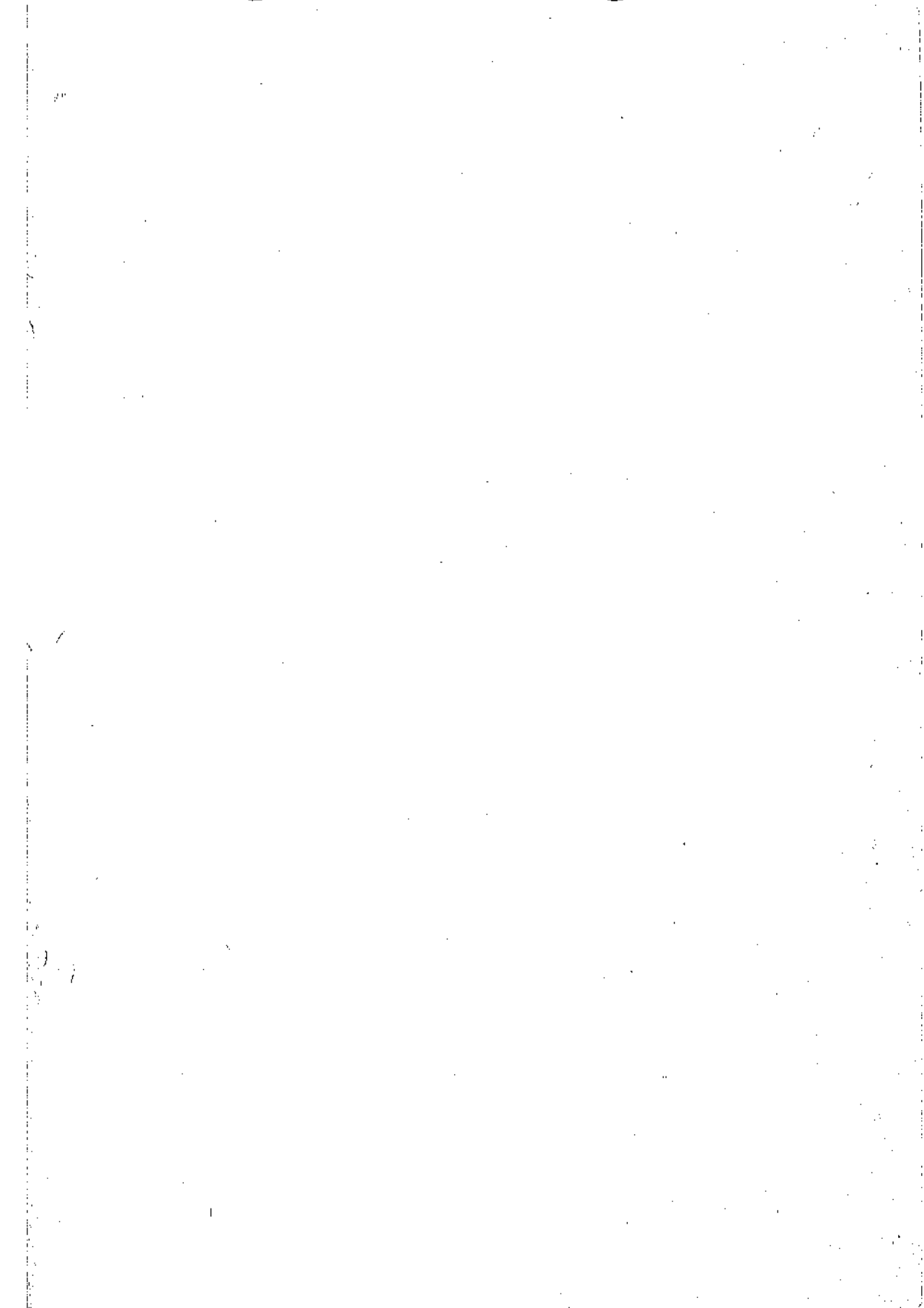
مَنْشُورَات
دَارُ الْاِتِّحَادِ

ص. ب. ٢٢٥٩

بِئْرُوت

السلامة

الى
دورتي اولدنگ
و
غوس لوبرانو



مقدمة

بقلم : جات لويس كورتيس .

« آثرنا أن نثبت هذه المقدمة كما جاءت في الترجمة
الفرنسية . . صورة من صور الدراسة الواعية »
والنقد العميق . »

أ . م

كان ذلك منذ بضع سنوات ، عندما وصلت المعهد الأمريكي ، لأكون مدرستا
فيه . لقد أشار علي أحد زملائي حينئذ بقراءة « حارس الشيلسم » (١) :

« إني على يقين من أن الكتاب سيمعجبك كثيراً . »

ابتعت المؤلف طائعا في المساء ذاته ، وبدأت قراءته بعد العشاء ، ولم أتركه
حتى أنهيته حوالي الساعة الرابعة صباحا . واذكر أنني انفجرت ضاحكا أثناء
القراءة أكثر من مرة . وهزني بعمق . وأعجبت به إعجابا بلغ حد الدهشة . . تماما
كما أعلنت الكلمة المثبتة على الغلاف للدعاية :

(١) يصدر قريبا عن « دار الاتحاد »

« هذا الكتاب الخارق قد يصدكم ؛ إنه سيضحكم ؛ وربما حطم قلوبكم ..
ولكنكم لن تنسوه أبداً . »

ويبدو أنني كنت بمثابة الجمهور الممتاز للكتاب . فقد تحققت معي نقاط هذا
البرنامج الذي وضع للدعاية بهذا أفيها .

وفي اليوم التالي رحت أبحث ، وأتقصى المعلومات ، عن هذا الكاتب المدهش
سالنجر : من عساه يكون ؟ وأن تراه يعيش ؟ وما هي مؤلفاته الأخرى ؟
لم يكن باستطاعة أحد أن يقدم لي ما يشفي غليلي ؛ فلم يكن أحد يعلم الكثير
عن سالنجر هذا . لم يكن هذا الاسم من الأسماء التي تثير أية ضوضاء حولها .

ومن اللحة المقتضبة المثبتة على غلاف الكتاب عن حياة المؤلف ، من هذه
اللحة وحدها استطعت أن أعرف أنه ولد في نيويورك عام ١٩١٩ ، وأنه
انتسب الى كلية حربية ؛ ثم أصبح طالباً في معاهد ثلاثة على التوالي .. وأنه خدم
في الجيش . ما بين ١٩٤٢ - ١٩٤٦ . لقد نشر بعض القصص في النيويورك ، وفي
هاربرز ماجازين .

أما روايته الأولى « حارس الشيلم » فقد ظهرت عام ١٩٤٨ ؛ واختيرت على
الفور كأحسن كتاب جديد من قبيل نادي « كتاب الشهر » ؛ وأصبحت ، كما
أنبأني زميلي ، ضرباً من المؤلفات المدرسية لا تقل شهرة وذيوياً عن « هكلبوري
فين » .

لم يدهشني ذلك . لقد ترك في هذا الكتاب بكثافة مادته النفسية ، وأصالتها ،
بالثقة العجيبة التي تحملها فصوله ، أقول : ترك في انطباعاً بأنه شيء خارق ،
دائم ، يستعصي على الفناء ...

والآن ، لا بد لي أن أشير بإيجاز الى الموضوع الذي يدور هذا الكتاب حوله :
صبي من الطبقة البورجوازية في نيويورك ، يطرد من المدرسة قبل عطلة عيد

الميلاد بثلاثة أيام ، ولا يجرؤ على العودة الى منزله ، ومواجهة أهله ؛ فيقرر أن يمضي هذه الأيام الثلاثة في نيويورك .

وهنا يقص علينا الحوادث التي تمر به ساعة فساعة .. في فترة البطالة هذه ، فترة الضياع والقلق ، بين المدرسة والمنزل ، بين الطفولة والشباب ، بين التمرد ، وقبول الأمر الواقع ...

لقاءات عن طريق المصادفة ..

بداية مغامرة قدرة ..

موعدان مخفقان مع زميل قديم ، ورفيقة قديمة ..

التطواف من مشرب الى مشرب بحثاً عن نفسه وعن الآخرين ..

ولكن هؤلاء الآخرين لا يَعتدُّون أن يكونوا خصوماً يتاصبونه العِداء ، أو أناساً بعيدي المنال ، يكادون أن يكونوا جميعهم أنذالاً ، غلاظاً ، غشاشين ...

وبين الأنذال ، والغلاظ ، والغشاشين هؤلاء ، الذين يؤلفون المعجينة غير الشبيهة بهذا العالم ، يصعب على المرء ان يكتشف قلباً صادقاً ، رقيقاً ، يمكنه أن يحبه ...

نعم .. هناك الشقيقة الصغرى « قوبه » .. ولكنها ليست سوى طفلة صغيرة .

هناك الراهبة الشابة ذات النظارتين المؤطرتين بالحديد ، التي يعطيها بطلنا عشرة دولارات توزعها على فقرائها .. ولكنه لا يستطيع اللحاق بها حتى ديرها .

ثم هناك الشقيق الأصغر إيللي .. ولكنه يموت لسوء الحظ .

إن الأناس الطيبين يبدون أشبه بالأحلام ؛ فيما ألا نلتقي بهم أبداً ، أو أنهم في عداد الاموات ، أو أنهم لا يوجدون الا في الكتب .. وإمّا أنهم - لسبب أو لآخر - بعيدو المنال . ولذلك لا يقع الانسان دائماً إلا على الأنذال ، الغلاظ ، المحتالين ، الذين يحاكمهم الكاتب ، ويسخر منهم ، ويحكم عليهم حكماً عنيفاً قاطعاً يمتلك الروح التي تميز المراهقين ...

هذه الأيام الثلاثة يقضيها صبي طائع في نيويورك ، ما اظنكم إلا قد عرفتم
ماذا تعني ؟

إنها ليست سوى بحث عن الحقيقة ، او عن الفرح ، او عن مبررات للحياة ،
من قبل شاب ما يزال « نصف غاطس » في الطفولة .. شاب يخيفه العالم . إنها - اذا
شئتم - قصة التعلم ...

أقولون : « واحدة أخرى ؟ » ...

نعم ! ولكفي اطمئنكم بأن هذه لا تشبه أيتها الروايات التي قرأتموها في مثل
هذا الموضوع .

وفي العام التالي ، في « ناورمينا » عثرت عن طريق المصادفة ، في صالة فندقتي ،
على كتاب صغير من منشورات « سينييه » .. وكان كتاب تسع اقاصيص بالذات .

مجموعة تسع قصص قصيرة كان سالنجر قد نشرها في المجلات .

والقيت بنفسي على هذا المؤلف بنهم ..

والتمهته في بضع ساعات ..

وعاودني نفس انطباع السرور الذي أحسسته لدى قراءتي « لحارس الشيلم » ..
ولكنه لم يعد نفس الاحساس بالاكشاف ، ما دمت قد عرفت من هو سالنجر ،
وما هو قادر عليه ..

كان قادراً على أن يقود قارئه دون اية مقاومة ، في اي اتجاه اراد ..

هناك ضحك ، او ابتسام - ان شئتم - في هذه القصص التي ستقرؤونها ، والتي
ترجها جان باقيست روسي المؤلف الشاب لكتاب « انطلاقة خاطئة » .

هناك أيضاً شفقة ، وتمزق ، وشيء غير قليل من البشاعة ، اذا كنتم تطيقون
البشاعة .

لن اذكر لكم شيئاً عن محتوى هذه الأقاصيص ، لئلا أفقدها شيئاً من بهائها

من جهة ، (ففي كل منها يلعب التوتر النفسي دوره) ولأنها غير قابلة للتلخيص من جهة أخرى .

لإنها تثير الاهتمام ، ليس بما ترويه فقط ، بل بما تصمت عنه ؛ بما تصمت عنه على الأخص ..

إن أهميتها تبدو - إن شئتم التعبير المرفف الدقيق - بين ما يُقرأ ، وما يستشفه القارئ ، وراء الكلمات ، تحت السطور المطبوعة .

وسأخذ مثلاً على ذلك الأقصوصة الثالثة « قبيل الحرب مع الأسكيمو » .

شخصيات أربع : جيني ، وسيلينا ، وفرانكلين ، وإيريك .. مراقبون من نيويورك ، يدور بينهم حديث عادي ، مفكك إلى أبعد حد . إنها القصة التي تدر كها لأول وهلة ، ولا يبدو عليها أنها تقود إلى أي اتجاه ..

ولكن ، إذا كنت تملك شيئاً من رهافة الأذن ، فانك لن تتأخر في أن تدرك قصة أخرى تختبئ وراءها ، تدور دون معرفة أبطال القصة ، لأن أياً من الأبطال الأربعة لا يدري ماذا يحدث على وجه الدقة ؛ ما عدا جيني ، التي تبدو أنها وحدها تحس الموضوع إحساساً غامضاً . ولكن شيئاً ما يجري ... يخصهم جميعاً تحت عناوين مختلفة ...

ولأقل ذلك بشكل آخر ..

شيء ما يخصهم جميعاً دون أن يتدخل المؤلف مرةً واحدة في ذلك ..

دون أن يشرح .

دون أن يعلق أي تعليق .

فمن طريق الحوار المتقطع وحده يتوصل القارئ إلى التقاط شبكة من العلاقات النفسية المتداخلة التي يبقى الأبطال غير شاعرين بها ، أو أنهم لم يشعروا بها بعد .

إن سالنجر شيطان بارع بتلك الأشياء الضمنية ، الموحية ؛ التي تكمن وراء
السطور ...

سيمر بذهنكم حالاً بالطبع كتاب « الانتحاءات » لناثالي ساروت ؛ ولن
تكونوا بعيدين عن الصواب . ولكن الطريقة التي يتبعها كل من المؤلفين تختلف
اختلافاً كلياً الواحدة عن الأخرى .. بل قل : انها متعاكستان ..

وإذا كان لا بد من إيجاد صلة تقارب ، فانتنا واجدون هذه القرابة بين سالنجر
وهنري غر ؟

وعلينا ، مع ذلك ، ان نقوم بعدد لا نهاية له من التصحيحات ، وتببع التلونات
لهذا التوازي بين المؤلفين .

قد يتلاقى سالنجر مع بعض معاصريه ؛ ولكنه لا يدين بشيء لأحد .

إن وزن الأشياء التي يهتم عنها الكاتب ، الأشياء التي لم 'تقتل' ، لم تتجسد في
كلمات ، هو الذي يعطي للأقصوصة الأولى « اليوم الموعود لسمكة الموز » جوها
الطاغي ، المضطرب ، وكشافتها المقلقة ...

من هو سيمور هذا ؟ الذي تتحدث عنه الأم وابنتها في الهاقاف ؟

أهو مريض نفسي ؟

أهو مهموس خَطِير ؟

أهو سادي ؟

إن شكنا يستمر حتى النهاية .. حتى السطر الأخير ، حيث يتشكل الكل
فجأةً من جديد ، تحت ضوء جديد .. ضوء باهر ، يخطف الأبصار .

وليس معنى ذلك أن الكاتب لم يدع أي شيء . في الظل ؛ ولكن سر سيمور ،
إذا كان هنالك من سر ، (والشك وارد في هذا المجال) ليس ما يظنه القارئ
في البداية ...

قد يتفق ان تجد اكثر من تفسير ، لكن للأقصوصة ، كافي «جميل فهي وخضراوان»
عيناي .. إن الالتباس هنا يأتي من ذلك الجانب المظلم الذي يستعصي ابدأ على
المعرفة ، والذي لا يقع ابدأ تحت الإدراك .. هذا الجانب الذي يوجد في كل حياة ،
حول كل كائن ، في كل كلمة ، وفي كل تصرف من تصرفات البشر ...

وفي الوقت ذاته تظل اللغة هي الشرط ، والأداة ، والانعكاس لهذا
الالتباس ..

اللغة التي تستخدم نظرياً لتؤمن اتصال الناس بعضهم ببعض ، للتفاهم .

إن أشخاص سالتجر يتكلمون كثيراً ، ولكنهم لا يتكلمون مطلقاً كما يدور
الحديث على المسرح ، ولا كما في روايات التحليل على الطريقة الفرنسية ، حيث
يبدو الناس جميعاً وكأنهم يملكون موهبة عجيبة للكلمة الدقيقة ، للتعبير
الصحيح ، للصيغة المناسبة ...

إن أشخاص كاتبتنا على النقيض من ذلك .

إنهم دائماً يخطئون الهدف . فلا يستطيعون التعبير بدقة عما يشعرون به ..
إنهم ابدأ بعيدون عما يعتقدون انهم يقولونه ؛ او يودون نقله الى سواهم ..
إنهم يبعثون عن كلماتهم ..
يتلعثمون ..

يرددون الكلمات ذاتها ..

ومن هذا الانزلاق المستمر في الزمان والمكان ،

من هذا التأرجح الأبدي بين اليقين والشك ، ينشأ الالتباس والغموض ..
وتنشأ عنه ايضاً كل الأوضاع الغريبة المؤثرة .

ان طريقة التصرف باللغة المحكية ، بلغة الحديث الشعبية هو الانتصار المطلق
الذي يسجله سالتجر .

عند بعض الكتاب تجد هذا المعنى او ذاك متضخماً ...

عند « كوليت » مثلاً اللبس ، والشم ، والدوق .

وعند عدد من الروائيين الفرنسيين المعاصرين النظر ؛ حتى ليخيل اليك ان بعضهم يملك القدرة على الرؤية المتعددة الجوانب كتلك التي يتميز بها النحل .

وهذا العالم ، عالم الأشياء الخام الذي يقدمونه لنا لتتأمله .. أليس هو بشكل ما العالم الذي تعكسه كرات عينية ضخمة لحشرة ١٩ ..

إن الحس الذي يشغل المرتبة الأولى عند كاتبنا هو السمع .
إن سالتجر يلتقط بصورة مذهشة التدفق ، الإيقاع ، لهجة الحديث الدائر ..
ويلتقط ايضاً خصائصه الفردية ..

عطفات الجمل ..

الرؤى ..

التكرار ..

العشرات ..

لا تقولوا : إن المسجلة تستطيع ان تقوم بالمهمة بنفس النجاح .
إن المسجلة المتوارية تحت منضدة العائلة لن تسجل الا وثيقة بتراء .
انها تستطيع ان تكون عوناً في الدراسات الاجتماعية ؛ في الاحصاءات ..
اما المحاكاة الشفهية التي يجيدها بعض الروائيين فهي على نقيض النقل الآلي ..
إنها انتقاء ذكي ..
إنها خلق جديد ..

إنها إخراج متناغم للمادة التي تقدمها اللغة الدارجة .

وحين نتحسس الحياة في كتاب ما ، فإن ذلك لا يتم مطلقاً بالمحاكاة المباشرة ،
ولا بالتسجيل الصوتي ، ولا بالتصوير الضوئي ..
وانما بالحدس والفن ..

إن سالتجر لا يشغل نفسه البتة بوصف الأشياء ، بصنع إطار يضم
الموضوع ... الخ

إن الناس عنده يبرزون فجأة ...
يتكلمون ..

والكلام هو الذي يكسبهم حضوراً مادياً ؛ وجهاً ، صلات اجتماعية .. وأخيراً
نوعاً من الكثافة التي يغذيها الذكاء والانفعال .

كل ذلك متضمن تقريباً في الحوار ، فما تحس اثرأ لإشارات الإخراج الا ما لا
يمكن الاستغناء عنه .

وحتى عندما تكون الأقصوصة مكتوبة في الزمن الماضي ، فهي تجري في
الزمن الحاضر .

انه اسلوب يسرد الحالي ..
يكون فيه الراوي المجهول معاصراً غامماً لما يروي ،
يتلاقى ثانية فثانية مع الحركة ..

إن ثلاثاً من القصص التسع تروي بصيغة المتكلم المفرد ، وتحدث عن تجربة
حية قد عاشها صاحبها ، وتمثلها ..

ولكن تلاقى السرد مع الحركة التي يدور حولها قد روعي بحرص وعناية .
إنها اذاً جمالية رومانسية حديثة جداً ، تواكب عن كذب السلوكية الثابتة
للرواية الأمريكية منذ همنغواي .. حيث يميل الكاتب للاختفاء وراء ما يصف ،
وراء ما يقدم لنا للنظر ، او للسمع ...

وبدهي ان هذه الموضوعية سطحية ، او اذا شئت فقل : صورية .
إنها مجرد طريقة .

موقف فني يتنباه سالنجر بعفوية ، لأنه يلائم مواهبه ، وما يهدف اليه .

ولكن الكاتب الذي يمتلك الشخصية القوية يفرضها دوماً حتى من خلال
الأساليب الموضوعية التي يتوقع منها ان تخفي تلك الشخصية .

إن أذن سالتجر أشبه بعين بعض الطيور الحادة .
إنها أداة للدقة ، شديدة الحساسية ؛ من وراءها دماغ فذ ..

رجل متميز ..
مجموعة انفعالات ...
مجموعة وساوس ..

اسلوب خاص للتصرف في مواجهة العالم ، سواء كان ذلك لحب هذا العالم أو
للتألم منه .

ولا يمكن لهذه الأشياء جميعاً إلا أن تترك اثرها فيما يكتبه الكتات مهما كانوا
موضوعيين ، أو مهما ارادوا أن يكون كذلك .

في آثار سالتجر موضوع ماثل يلاحقه ابداً هو : الطفولة ، المراهقة ...

ليس ذلك لأن الأطفال ، والصبية الصغار ، والفتيان هم أشخاصه المفضلون ،
(وما أقل الروائيين الذين يستطيعون مثله أن يجعلهم يتكلمون بصدق) ؛ ولكن
لأن الطفولة - والمراهقة على الأخص - تمثلان عنده أكثر من مرحلة بيولوجية .
إنها تمثلان مرحلة النعمة .

بالمعنى الديني تقريباً للكلمة .

كل شيء يجري بالنسبة لكل الكائنات ، بين نهاية المراهقة ، وبداية سن
الرشد .. كل شيء يجري كما لو أن هناك شيئاً يُفقد إلى الأبد ..

هذا الشيء الذي يفقد إلى الأبد هو :

الحس الاخلاقي .

لأن الطفولة ليست مرحلة اللطف ، والسهولة ، والبساتين فحسب ؛ ولكنها
أكثر من ذلك ..

إنها مرحلة الصرامة ، وعدم التساهل ، والوقوف بجدة في وجه كل ما يخرج الكرامة ، ويسبي الى السمعة .

إن الطفولة ليست بالضرورة ، وحتى عند سالنجر ، ليست ابداً «جنة خضراء» ؛ ليست موضوعاً باعثاً للزفرات الحلوة ، والتحسر والحنين ...

إنها ميدان روحي طرد المرء منه ..

لغة نسيته ..

او فقد مفتاحها ..

وهذه الخيبة تتجسد فينا شعوراً بالآلم ..

إنها ينبوع حنين واخز لا ينضب .

إن الشباب يتوصلون احياناً للابقاء على صلة دائمة مع الطفولة ؟ وهو المقياس الصادق لقيمة الانسان .

إن اشخاص سالنجر اللطفاء هم هؤلاء القادرون على ان يرتاحوا الى الأبطال ..

ان يقفوا على قدم المساواة معهم ..

مولدن كوفيلد .. في « حارس الشئيلسم » .. يقيم مع شقيقته الصغيرة فوبه علاقات حساسة مرهفة ، محتشمة الى ابعد الحدود ، لم تتجسد قط في قالب لفظي .. إنها تبدو نوعاً من الحلف تقريباً .

وهكذا الحال مع سيمور ، والطفلة الصغيرة على شاطئ البحر ..

هكذا يبدو قائد الكشافة مع اشباله الصغار ، في اقصوصة « الرجل الضاحك »

وهكذا تبدو ايضاً « بوبوتانوم » وابنها ، في قصة : « تحت ، في الزورق » .

وعندما ينقطع هذا الحلف مع الطفولة ، او عندما يصبح مستحيلاً ، فمعنى ذلك ان النعمة قد زالت ..

عندئذ ، يجد المرء نفسه في عالم من القيم الكاذبة يعج بالأمرار ، والانذال .

عالم تصادف فيه لدى كل خطوة .

الغيش ..

والندالة ..

والخسة ..

والقرنف ..

إن بطله « العم المرضوض في كونكتيكوت » تنحدر ببله إرادتها ، وتنحط مغرقةً نفسها بالحزن والابتذال ؛ لا شيء .. إلا لأنها باتت تعتقد بأنها لم تعد « الطفلة الطيبة » التي كانت في المدرسة قبل سبع أو ثمان سنوات .

وربما كان ذا دلالة كبيرة أن تكون اشد قصص المجموعة بشاعةً : جميلٌ فني ، وخضران عيناى .. أن تكون هذه القصة بالذات هي التي لا يظهر فيها أي طفل .

إن فرنسكين ، بطل « قبيل الحرب » مع الاسكيمو » ، هو أخ لهولدن كوفيلد ، ولدوميه سميت الحلاب الذي يقع طوعاً - كما في « حارس الشيلم » في حب راهبة شابة ، لأنه ليس هناك من فرق كبير بين الراهبة ، والطفل .

واعتقد أن هؤلاء الأبطال الثلاثة ينسجمون تماماً مع القائد في قصة « الرجل الضاحك » .

إن هذا الأخير يمثل في قائمة شباب سالنجر المتوحشين تنوعاً لذيذاً . إنه شاب راشد ، يقع فريسة حب راشد ، يخترع لمستمعيه ؛ لابس البناتيل القصيرة ، حكايات كحكايات الجرائد المصورة ، ينقل خلالها الحكايات المختلفة لأساتته العاطفية ...

وتفسير ذلك أن انفعالات الرجل البالغ ما تزال تدوي في أعماقه بنفس الطريقة الحادة ، الحاملة إلى حد بعيد ، كما عند ابن الثانية عشرة .

ولكن هاموذا موضوع الرجل - الطفل يتجسد بحذافيره في « تيدي » الغامض ، في القصة الأخيرة . إنه صبيٌ يخيفك بعلمه المبكر ، وحكمته المدهشة ؛

تستجوبه وتفحصه اعلى الهيئات العلمية في اوروبا وامريكا .

هذا الطفل ، وسط الدكثرة ، الا يبدو انعكاساً للقلق .. القلق الذي ينبعث
من الشعور بالحياة على حدود حالتين بيولوجيتين ، على حدود بنيتين عقليتين ؟
الا يبدو بين الراشدين ، المحدودي الذكاء ، ظاهرة " فريدة " للطفولة ،
والعبقرية ؟ ..

ربما ادّعى قلق كهذا الى الجنون ..

او الى الموت ..

لني على يقين بأن هذه الأمور ليست إلا اموراً عرضية اضطرر اليها الكاتب
لتنسيق كتابه .

ولكن ، لماذا لا يُسمح للقارئ بأن يرى رمزاً عميقاً في كون القصة الأولى
والاخيرة في المجموعة تنتهيان بالموت العاصف للكائن الذي يحمل في الوقت ذاته
الطفولة ، والرشد معاً ! ..

قد يكون في هذه الانفعالية الفريدة ما يوحي بمرض عصبي .. لاني لا افكر
في انكار ذلك . ان قصص سالتجر تزود الأطباء النفسانيين الباحثين بمادة مثيرة .
ولكن اليس هذا شأن كل مؤلف يسترسل كاتبه دون تحفظ - اذا لم نقل دون
حياة - ؟ شأن كل مؤلف تشيع فيه حاجة نفسية ملحة ؟

اضف الى ذلك هذا :

إن اي كاتب ممتاز لا يمكن رده الى وسوسه فقط .

انه يستخدمها ،

ولكنه لا يلبث ان يتجاوزها ..

وكما يخرج الأتقياء بنتيجة حسنة من الأمراض ؛ كذلك يخرج الفنانون بنتيجة
حسنة من وسوس النفس .

ولا يصل الكاتب في أغلب الأحيان إلى الحقيقة ، إلى ضروب من الجمال تظل خافية على الأصحاء إلا عن طريق هذه الوسوس ، وترجمتها إلى عمل فني .

إن العالم الذي يصفه سالتجر .. هذا العالم الذي يبدو طوراً مبكياً ، وطوراً مضحكاً ، طوراً متجهماً ، وآخر رحيماً .. هو عالمنا نحن ...

إنه يحكي لنا عن الحب ، وعن الوحدة ، عن الخوف من الحياة ، عن الوطن المشترك بين القلوب النقية ، بين الرجال والنساء الذين عرفوا كيف يبقون أقرب ما يكون إلى الأطفال .

إنه بالنسبة للقارئ المتسرع عالم منظور من الخارج ، يمكن إرجاعه في النهاية إلى مجموعة مظاهره الخارجية .

ولكن بالنسبة للقارئ اليقظ ، المتشد ، تبدو ساوكية سالتجر — وليس هذا هو التناقض الوحيد في فنه — شيئاً آخر . إنها تخفي ميداناً واسعاً ظل مستعصياً على التعبير تحت السطح البريء للأفعال ، والكلمات .

هناك ، وراء ما يظهر بجلاء ، مستويات خلفية ، غير محددة ، تظهر في نصف ظلمة تتحرك وتتحقق .

هذا هو سر توتر الحياة القوي الذي ينبض به هؤلاء الأشخاص المختارون في أغلب الأحيان من سواد الناس ، الذين يصادفون في الحياة اليومية .. ومعنى ذلك أن هذه المزجة ، مزجة الحضور هي موهبة قبل كل شيء .. وهي من دون شك أندر ما تكون بالنسبة للروائي ، ولكنها أيضاً نتيجة إخراج متقن ، محسوب حساباً دقيقاً بحيث لم يترك شيء فيه للمصادفة .

ها هو إذاً كاتب ينحصر اهتمامه في القلب الإنساني .. ولكنكم لن تجسدوا عنده سطرين من التحليل النفسي المقصود لذاته . إنه يفتنه أشد الفتنة . إنه عاطفي بصورة جليلة ، يحس من كل قلبه أشخاصه الطيبين ، ولكن ليس هناك مع ذلك من يفوقه سخرية ، من يعرف مثله كيف يكشف الفتاع بقسوة فاضحة عن التصنع ،

والادعاء ، والكذب .

هوذا أخيراً روائي ذكي ، لا يخشى أن يكون رحيماً ...
إنه يتوصل كأكبر الروائيين الى جعل الطيبة حقيقة ..
إنه قادر على أن يصنع من المشاعر الطيبة أدباً رائعاً ..

وكواحد من قلم الروائيين نراه قد نجح أيضاً بمعجزة كان يُظن أنها مستحيلة
في هذا العصر الذي ندر فيه الإيمان الرومانسي ..

لقد خلق شخصية « هولدن كوفيلد » في « حارس الشيلم » ، فإذا ملايين من
الشباب يتعرفون على أنفسهم فيه ، وإذا هذه الشخصية تحتل مكانها الى جانب
« الوجوه الخالدة » في أدب بلاده ، الى جانب « هوكلبيري فين » و « أوجين
غانت » ، و « جاي غاتسي » ...

وبالرغم من ذبوع شهرة سالنجر في أمريكا ، فقد كان المتوقع من زملائه
الكتاب أن ينصفوه .. أن يقدروا حقه قدره ...
وعكس ذلك سيكون هو الأمر المستغرب .

وها إني أقدم ، لرواة حب الاطلاع ، أحكاماً صادرة عن كاتبين أمريكيين
من جيل سالنجر نفسه .

ها هي ذي ماري ماكارثي تصرح في مقابلة صحفية بأن كاتب « حارس الشيلم »
« ليس الا بهلواناً ، مزهواً بنفسه .. ضرباً من عازف الكمان المبتور الذراع ... »
أما نورمان مايلر ، كاتب رواية « العراة والأموات » ، فهو ينظر اليه
كمراقب دائم قائلاً :

« إن سالنجر اكبر فكري بقي في مستوى المدرسة الثانوية . »

إن ما يحسنه يقوم به ببراعة فائقة ، ويحيله الى قطعة منه . ولكن ذلك لا
يلبث أن يبدو ملاً اذا ما استمر ، أجل ، سيكون ملاً أن يعيش الإنسان أبداً في

ميدان المدرسة الثانوية ، حيث يُهزم الضعفاء والحساسون أمام المتوحشين ذوي المضلات ... وما أظن سالنجر بقادر على أن يشق طريقه في ميدان روائية راشدة .. »

مثل هذه الأحكام الجازمة ، الجائرة ، يجب ألا تؤثر فينا ..
أريد نورمان مايلر أن يقول بأن سالنجر لا يعالج « مواضيع كبيرة » ؟ ...
ولكن لم يعد أحد يقتنع بأن موضوعاً كبيراً - ولكن الحرب العالمية مثلاً -
يستطيع أن يرفع مستوى كتاب ...

أما عن اتهامه بالزهو ، بالنارسيكية .. والبهلوانية ، فإن كل الكتاب
نارسيكيون الى حد ما .. والبهلوانية محدودة من دون شك اكثراً من الغيلظ
والثقل ...

لقد سئمنا من سماع من يتكرمون علينا تكريماً بالكلام ... كما هو الحال غالباً
في هذه الأيام ..

تعبنا من يلاحقوننا أبداً بهذه الصفات الفنية .

الحديث ..

الدقة ..

التضلع ..

التمكن من الموضوع ..

التي تتوجها جميعاً كلمة واحدة :

البراءة ..

ولست مقتنعاً بأن هذه الصفات منتشرة جداً . كما أنني لم أسلم قط بنقيض
النظرية التقليدية التي تلح على الجانب الآخر .. أعني العمق ، والجدية .
إن آثار سالنجر قليلة من ناحية الكم ..
رواية واحدة ..

ومجموعة قصص .. (١)

ومع ذلك ، فإن هذا الانتاج الذي هو في بدايته يفرض نفسه علينا بسلطان غير عادي .

اقرأوا هذه القصص التسع ..

ستكتشفون فيها كاتباً حساساً بصورة خارقة ، وحاذقاً بصورة خارقة ..

وبودي أن أقول : روائي كامل ..

كما يقال عن الرياضي ،

لأن الحدس والصنعة عنده متوازنان يسيطر عليهما سيطرة كاملة ..

او كما يقال عن المشهد ،

لأنه النجبر يستطيع أن يمس في نفس الوقت قلبنا ونخيلتنا ، ويلعب كالعازف

البارع الذي لا يبارى بكل عواطفنا :

العطف ، والضحك ، ورعدة الخوف ، والرحمة .

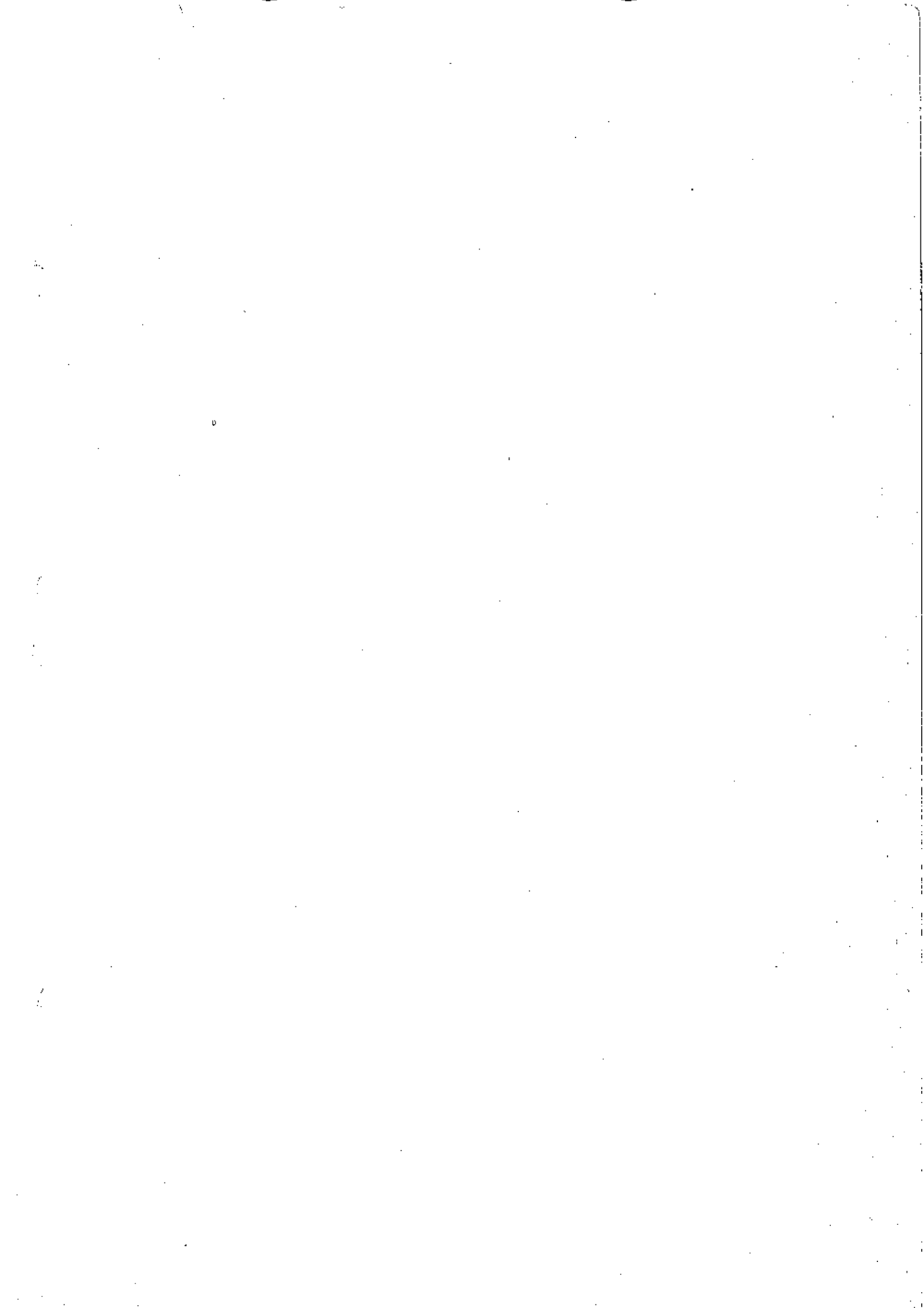
جان لويس كورتيس

(١) ظهر له في ايلول (١٩٦١) مؤلف ثالث في اميركا ، هو رواية « فراني وزووي » .

« ائنا نعرف صوت یدین تصفقان . . .
ولکن ، ما هو صوت ید واحدہ تصفقی ؟ »
أ . زن . کوان .

يَوْمٌ مِثَالِي لِسِمَكَةِ الْمَوْزِ

١



كان في الفندق سبع وتسعون رجلا من رجال الاعلان في نيويورك .
كانوا يحتكرون الخطوط الهاتفية الداخلية .

وهكذا اضطرت المرأة الشابة التي تحتل الغرفة رقم (٥٠٧) أن تنتظر من
الثانية عشرة ظهراً حتى الثانية والنصف لتحصل على مكالمتها .

ولم تمكث تلك الفترة كلها بدون عمل . فقد أتت على مقالة في مجلة جيب نسائية
بعنوان : الجنس ، هو الجنة او الجحيم ؛ ورقبت مشطها وفرشاتها ؛ وازالت بقعة
عن تنورة طقمها ذي اللون الأخضر ، وغيرت مكان زر قميصها الذي اشتrote من
عند ساكس ، وأزالت شعرتين نمنا حديثاً على شامة في وجهها ؛ وعندما ناداها
« الموظف » اخيراً .. كانت تجلس على حافة النافذة تنهي طلاء أظافر يدها اليسرى .

لم تكن من أولئك النسوة اللواتي يضعن رؤوسهن لرنة جرس من هاتف .
كانت تتصرف كما لو أن الهاتف لم ينقطع قط عن الرنين منذ بلوغها سن المراهقة .

وراحت تنهي صباغ ظفر إصبعها الصغير بفرشاتها الصغيرة ، والهاتف ما يزال
يرن ، ولم يفتها أن تحدد إطار الهلال الذي يؤلف أسفل الظفر .

ثم أغلقت زجاجة الطلاء ، ونهضت وهي تهز يدها لتجففها . وبيدها اليمنى
الطليقة أمسكت بمنغضة سجاثر ماوى كانت موضوعة على حافة النافذة ، وحملتها
الى منضدة الليسل ، لتضعها الى جانب الهاتف ؛ ثم استقرت على احد السريرين
التوأمين .. وكان الهاتف قد رن خمس اوست مرات حين رفعت الساعة .
- آلو ..

قالت ذلك ، وأصابع يدها اليسرى بعيدة شيئاً عن غلالة النوم التي ترتديها ،
الغلالة المصنوعة من الحرير الأبيض .. لقد كانت كل ما يستر جسمها بالإضافة الى
يابوجها ... أما خواتمها فقد بقيت في الحمام .

وأجاب العامل :

— ها هي ذي مخبرتك انيويورك يا مدام غلاس .

وردت المرأة الشابة :

— شكراً .

وأفسحت مكاناً للمنفضة على المنضدة الليلية .

وسمع صوت نسائي يقول :

— أهذه انت ، يا مورييل ؟

وأبعدت المرأة الشابة سماعة الهاتف قليلاً عن أذنها ، وأجابت :

— نعم ، يا ماما ، كيف حالك ؟

— لقد كنت مضطربة الى أقصى حد . لماذا لم تخاطبيني قبل الآن ؟ هل كل

شيء عندك على ما يرام ؟

— لقد حاولت الاتصال بك مساء أمس ، وما قبل أمس ، ولكن

الهاتف هنا

— أكل شيء على ما يرام ، يا مورييل ؟

وزادت المرأة الشابة من ابعاد السماعة عن أذنها .

— لا بأس ؛ الحر شديد . إنه أشد الأيام التي رأيتهافي فلوريدا حرارة ،

منذ أن

— لماذا لم تتصلي بي ؟ لقد شغلت بالي كثيراً !

وردت المرأة الشابة :

— ماما ، العزيزة . لا تصرخي بهذا الشكل . إني أسمعك تماماً . لقد طلبتكم

مرتين مساء البارحة . المرة الأولى بالاضبط بعد ...

- كنت أقول له ذلك - أعني والدك - بأنك لا بد أن تتصلي بنا ... وكان عليك أن تفعل ... هل كل شيء على ما يرام ؟ مورييل ! قولي الحقيقة ...

- إني بخير . كفي عن ترديد هذا السؤال . أرجوك .

- متى وصلتما ؟

- لم أعد أعرف . الأربعاء ، في الصباح الباكر .

- من كان يقود ؟

وردت المرأة الشابة :

- هو .. لا تغضي . لقد كان يقود السيارة كملك . وما زلت في دهشة من ذلك .

- هو .. الذي كان يقود إذا ؟ مورييل ! لقد وعدتني مع ذلك ...

وقاطعت المرأة الشابة :

- ماما .. قلت لك بأنه كان يقود كملك . ولم تتجاوز السرعة الثمانين كيلومتراً طوال الطريق . إني أوكد لك ذلك .

- وهل عاد الى مسرحية من مسرحياته المعروفة مع الأشجار ؟

- ماما . إني اكرر لك بأنه كان يقود كملك . إصغي الي . أرجوك . ولقد طلبت اليه أن ينتبه الى الخطوط الصفراء .. والى كل شيء ... وكان يفهم ، وينفذ . وكان الى ذلك يبذل كل ما في وسعه لتلا ينظر الى الأشجار . إني أوكد لك .
وبالمناسبة ، هل أصلح أبي السيارة ؟

- لا ، لم يقم بذلك بعد . إنهم يطلبون اربعمائة دولار ! ...

- ماما .. لقد قال سيمور لأبي بأنه سيتحمل النفقات ، ليس معه حق ...

- حسناً ، سئري . كيف كان أثناء السفر بالضبط : أخبريني كل شيء ... ؟

وردت المرأة الشابة :

- على أحسن حال ...
- ألا يزال يناديك بذلك الاسم الشنيع ؟
- لا ، لقد اخترع الآن شيئاً جديداً ...
- ما هو ؟
- أوه .. وماذا يهمك ذلك يا ماما ؟
- مورييل ! أريد ان أعرف . إن أباك ...
- وردت الفتاة بضحكة عصبية مقتضبة :
- حسناً ، حسناً ، إنه يناديني الآنسة المتشردة (أخلاق ١٩٤٨) .
- ليس هذا بغريب ؛ يا مورييل ... ليس هذا بمستغرب أبداً . إنه خيف ..
- إنه محزن . هذا ما أسميه .. عندما افكر بأن ...
- وقاطعت الفتاة :
- ماما .. إصغي الي : أتذكرين جيداً ذلك الكتاب الذي أرسله الي من ألمانيا ؟ أنت تعرفين . القصائد الألمانية ؟ ماذا فعلت به ؟ إني أحضر في ذاكرتي بحثاً عنه ...
- إنه عندك ...
- قالت المرأة الشابة :
- هل أنت متأكدة ؟
- كل التأكد . يعني أنه عندي . إنه في غرفة «فريدي» . لقد تركته أنت هناك لم يكن غمّة مكان في ال ...
- لماذا ؟ هل يطلبه ؟
- لا ، ولكنه سألني عنه أثناء السفر . كان يريد أن يعرف ما اذا كنت قد قرأته .
- ولكنه باللغة الألمانية ...

— نعم ، مامي ، هذا لا يغير من الأمر شيئاً . قالت المرأة الشابة ذلك ، وهي تضع رجلاً على الأخرى . لقد قال لي بأن تلك القصائد كتبت بقلم الشاعر الكبير الوحيد في هذا العصر ، وأنه كان عليّ أن أقتني ترجمة لها ، أو شيئاً من هذا القبيل . أو حتى أن اتعلم اللغة . اتصورين ذلك ؟

— إن هذا خفيف . خفيف . مؤسف .. هذا ما أرى ... كان أبوك يقول لي . مساء البارحة ...

قالت المرأة الشابة :

— ماما ، انتظري لحظة . وراحت تبحث عن سجاثرها على حافة النافذة ، وأشعلت واحدة ، ثم عادت تجلس على السرير ، وقالت وهي ترسل نفثة من الدخان :

— ماما ..

— مورييل ، أصغي إلي الآن .

— إني مصغية .

— لقد كلم والدك الدكتور سيفتسكي .

وهست المرأة الشابة :

— آه !

— لقد ذكر له كل شيء . أو قال على الأقل إنه قام بذلك . إنك تعرفين والدك : الاشجار . هذه القصة ، قصة النافذة . تلك المحادثات التي كان يرددها لجذتك عما يريد أن يفعله في العالم الآخر . ماذا صنع بلوحاته الجميلة عن جزر برمودا ... كل شيء .. كل شيء ...

وقالت المرأة الشابة :

— وماذا كانت النتيجة ؟

— النتيجة ؟ لقد أعلن بالدرجة الاولى أنها كانت جريمة كبرى ارتكبتها الجيش باخراجه من المستشفى . أقسم لك ، لقد قال لوالدك — بصورة قاطعة — بأن

هناك احتمالاً كبيراً ، احتمالاً كبيراً جداً بأن يفقد سيمور عقله نهائياً . إني أقسم
لك ...

وقالت الابنة :

— في المستشفى هنا طبيب نفسي .

— من هو ؟ ماذا يدعى ؟

— لا أعرف ، ريزر .. أو شيء من هذا القبيل . يبدو أنه طبيب ماهر .

— لم اسمع بمثل هذا الاسم قط .

— انه يبدو ، بالرغم من ذلك . طبيباً بارعاً .

— موريل ، لا تكوني وقحة ، ارجوك ؛ إنك لا تعرفين كم ينشغل بالناس من

أجلك . سأقول لك مع ذلك بأن أباك كان يريد البارحة ، البارحة مساءً أن
يبقى لك لتعودي ...

— ماما ، إني لا أفكر بالعودة مطلقاً ، فكفي عن إزعاج نفسك .

— موريل ، إني أقسم لك أن الدكتور سيفتسكي قد قال بأنه يخشى أن يفقد
سيمور عقله نهائياً .

— إني لم أكن أصل يا ماما . وهذه عطقتي الأولى التي أخذها منذ سنوات .

لست على استعداد الآن لأحزم كل امتعتي وأقفل عائدة وعلى كل حال ، لست في
وضع يساعدني على السفر . لقد أصبت بضربة شمس فظيعة ! إني ما أكاد أقوى
على الحراك .

— أصبت بضربة شمس ؟ لماذا لم تستعملي «البرونز» الذي وضعته في حقيبتك .

لقد وضعت مع ...

— لقد استعملته ، ومع ذلك لم أنج من ضربة الشمس .

— هذا مخيف . أين أصبت بالحروق ؟

- في جسمي كله ، مامي ، في جسمي كله ...
- هذا خيف .
- لن أموت بسبب ذلك .
- قولي لي . هل تحدثت مع هذا الطبيب النفسي ؟
- قالت المرأة الشابة :
- نعم ... بطريقة ما ، نعم ...
- وماذا قال ؟ أين كان سيمور حين تحدثت اليه ؟
- في « الاوسيان روم » . كان يعزف على البيانو . انه لم ينقطع عن العزف طوال الليلتين اللتين قضيناهما هنا .
- وماذا قال اذا ؟
- لم يقل شيئاً كثيراً . لقد ابتدأ هو الحديث . كنت جالسة بقربه في «البنجو» مساء البارحة ، وسألني ما اذا كان زوجي هو الذي يعزف على البيانو في الصالة المجاورة : فأجبته بأنه هو . فسألني ما اذا كان سيمور مريضاً ، او ما يشبه ذلك . حينئذ ، قلت ...
- لماذا سألك هذا السؤال ؟
- وردت الابنة :
- لا أعرف يا ماما ؛ ربما لانه كان شاحباً بصورة ظاهرة ، او شيء من هذا القبيل . باختصار ، بعد « البنجو » . طلب اليّ هو وزوجته أن أتناول كأساً معها . فقبلت . إن امرأته خيفة . هل تتذكرين ثوب السهرة القبيح جداً الذي رأيناه في الواجحة عند « بونويت » ؟ الثوب الذي كنت تقولين عنه بأن المرأة التي ترتديه يجب أن يكون لها ... صغيراً جداً ...
- الاخضر ؟
- كانت تلبسه ... بالرغم من أردافها الهائلة ! لم تنقطع عن سؤالني عما اذا كان

سيمور قريباً لهذه السوزان غلاس ، صانعة القبعات في شارع ماديسون ...
— ولكن ، ماذا قال هو ، أعني الطبيب ؟
— اوه ! حسناً ، لم يقل شيئاً كثيراً ، في النهاية ، أريد أن أقول كنا في البار
و ... ، وكانت هناك ضجة فظيعة .

— نعم ، ولكن هل ... هل شرحت له ماذا حاول أن يصنع بكرسي جدتك ؟
قالت المرأة الشابة :

— لا ، يا ماما ، لم أدخل كثيراً في التفاصيل . سيكون لديّ الفرصة لآتحدث معه
من جديد في الموضوع . إنه يمضي كل أيامه في البار .
— هل قال بأنه قد يصبح ... أنت تعرفين ... غريباً ، او ما يشبه ذلك ؟ أن
يؤذيك مثلاً ؟

قالت المرأة الشابة :

— لم يقل ذلك تماماً . إن جواباً كهذا يتطلب معلومات أكثر دقة ، كأن يعرف
شيئاً عن طفولته ... أخيراً ... كل هذه الأشياء ... لقد قلت لك يا ماما ، كانت
هناك ضجة فظيعة ، لدرجة أن الإنسان لا يكاد يستطيع الكلام .

— حسناً ، وكيف حال معطفك الأزرق ؟

— ممتاز ، لقد خفت قليلاً من حشوة الاكتاف .

— كيف زينة الفساتين هذا العام ؟

قالت المرأة الشابة :

— هائلة ولكن لسكان المريخ ... لا ترين أمامك إلا ... كومات من القطن
الذهبية ... كومات من الخشائش ...

— وكيف غرفتك ؟

قالت المرأة الشابة :

- لا بأس ، يعني لا بأس ؛ لم نستطع الحصول على الغرفة التي نزلنا فيها قبل الحرب .

إن الناس يخيفون هذا العام . كم أود أن تشاهدي الذين يجلسون الى جانبنا في المطعم ، على المنضدة المجاورة ... يخيل اليك أنهم قادمون في عربة حيوانات ..

- أتعرفين ؟ إن الأمر كذلك في كل مكان ..
- وكيف فستان السهرة ؟ الذي فصلته حديثاً .
- طويل جداً .. لقد قلت لك بأنه سيكون طويلاً جداً ..
- مورييل ! إني أسألك مرة أخرى ، ولكنها المرة الأخيرة .. هل كل شيء على ما يرام حقاً ؟

قالت المرأة الشابة :

- نعم ، نعم ، يا ماما ، أقول ذلك للمرة ...
- ولا تريدن العودة ؟
- لا يا ماما ..

- لقد قال لي والدك مساء البارحة بأنه لا يتردد في دفع التكاليف اذا ما أردت السفر وحدك الى مكان ما .. ولا يتأخر عن التفكير في كل ما يمر بك . يمكنك القيام برحلة في البحر . لقد فكر كلانا بأنك قد ...

قالت المرأة الشابة :

- لا ، انكما لطيفان جداً .
وأنزلت ساقها عن الساق الأخرى .
- يا ماما ، إن هذه المخامرة ستكون لنا مبهلة ...
- عندما اتذكر بأنك انتظرت هذا الصبي طوال فترة الحرب .. أريد ان أقول : عندما يفكر الانسان بتلك الزوجات الصغيرات المجنونات اللواتي ...
- ماما ، الأفضل ان نتوقف الآن . قد يعود سيمور بين لحظة وأخرى .

— أين هو ؟

— على الشاطئ .

— على الشاطئ ؟ وحده ؟ هل يتصرف بصورة لائقة على الشاطئ ؟

وردت المرأة الشابة :

— ماما ، انك تتكلمين عنه كما لو كان مجنوناً خطراً .

— لم أقل شيئاً من هذا ، موريل !

— هذا ما يشتتم من حديثك اذاً . أتعرفين ؟ ان كل ما يفعله هو أن يبقى متمدداً هناك . انه لا يريد ان يخلع معطف الاستحمام .

— انه لا يريد ان يخلع معطف الاستحمام ؟ لماذا ؟

— لا اعرف ، ربما لان بشرته بيضاء اكثر مما ينبغي .

— يا إلهي ! ولكنه بحاجة للشمس . ألا تستطيعين حمله على خلعته ؟

قالت المرأة الشابة وهي تضع من جديد ساقاً على ساق :

— انتِ تعرفين سيمور . يقول : إنه لا يريد ان يرى حوله مجموعة من البلهاء .

ينظرون الى وشمه .

— ولكنه ليس موشوماً . أترأه قد وشم نفسه في الجيش ؟

وردت المرأة الشابة وهي تنهض من مكانها :

— لا يا ماما ، لا يا مامي . إصغي الي ؛ قد أكلمك غداً مرة أخرى ...

— موريل ! إصغي الي الآن ...

قالت المرأة الشابة وهي تركز بكل ثقلها على ساقها اليمنى .

— نعم ، ماما .

— فاديني فوراً ، إذا ما عمل او قال اي شيء غريب ... انك تدركين ما ...

اعني ... اتسمعينني ؟

— ماما ، انا لا أخشى شيئاً من سيمور ...
— موريل ؛ اريد ان تعديني بذلك .
قالت المرأة الشابة :
— حسناً ، الى اللقاء ماما .. الف قبلة لبابا .
وعلقت الساعة .

* * *

قالت سيبيل كارينتر التي تقطن في الفندق مع امها :
— اني ارى مزيداً من الزجاج ؛ هل رأيت انت ايضاً المزيد منه ؟
— توقفي عن ترديد ذلك ، يا صغيرتي ، سيجعلني ذلك افقد صوابي تماماً ...
اهدئي قليلاً . ارجوك .
كانت السيدة كارينتر تضع الزيت على كتفي سيبيل لحمايتها من لدغات الشمس .
كانت تدهن بعناية على عظام الكتفين الهزيلتين الشبيهتين بـ "يخناجي" طائر . كانت سيبيل
تجلس أمام المحيط جلسة غير مستقرة ، على بالون منفوخ من بالونات الشاطئ ،
وترتدي لباساً بحرياً أصفر فاقماً .. لباس بحري من قطعتين .. الاولى منه لالزوم
لها إلا بعد عشر سنوات .
— لم يكن إلا مجرد منديل حريري في الواقع . يبدو ذلك واضحاً اذا ما نظر
اليه عن كثب .
هكذا كانت تثرثر المرأة الممددة على « الكرسي الطويل » ، الى جانب
السيدة كارينتر . أود من صميم قلبي ان اعرف كيف ربطته . كان ذلك رائعاً .
واجابت السيدة كارينتر :
— يجب ان يكون ذلك رائعاً حقاً . اهدئي ياسيبيل ، يا حبيبي .

وقالت سيبيل :

— هل رأيت من جديد مزيداً من الزجاج ؟

وتنهدت السيدة كارينتر :

— ها انت تعودين الى ذلك من جديد . وسدت زجاجة الزيت . اركضي الآن
والعبي يا صغيري . ستصعد ماما الى الفندق لتتناول كأساً من المرطبي مع السيدة
هوبل . وسأحضر لك الزيتونة .

وما ان تحررت سيبيل حتى انطلقت الى شاطئ البحر المنبسط ، وراحت
تمشي نحو كوخ الصيد . ولم تتوقف الا مرة واحدة لتغوص بقدمها في قصر رملي
متهدم . ثم اصبحت بعد لحظات خارج حدود منطقة الشاطئ المخصصة
لزبائن الفندق .

وجرت ايضاً عدة مشات من الامتار . ثم انخرقت فجأة ، وصعدت ، وهي
تركض الى جانب الشاطئ ذي الرمال الندية . وتوقفت امام الشاب المستلقي
على ظهره .

قالت :

— الا تأتي الى الماء ، لنرى ايضاً مزيداً من الزجاج ؟

وارقش الشاب ، وحمل يده اليمنى الى اطراف ثوب الاستحمام المصنوع من
قماش المناشف . وانقلب على بطنه وهو يسحب المنشفة الملتفة التي كان يضعها فوق
عينيه . والقى على سيبيل نظرة جانبية .

— هالو ، سيبيل !

— الا تأتي الى الماء ؟

وقال الشاب :

— كنت انتظرك . هل من جديد ؟

قالت سيبيل :

— ماذا ؟

— هل من جديد ؟ ما هي الحوادث الجديدة ؟

قالت سيميل وهي ترشه بالرمل :

— بابا سيصل غداً بالطيارة (بالطيارة) .

قال الشاب :

— لا ترشيني في وجهي . واحتجز في يده احد رسغي قدم سيميل . حسناً ،

لقد اصبح حضوره ضرورياً ، باباتك ؛ لقد انتظرتك ساعات طويلة .. ساعات ..

قالت سيميل :

— اين السيدة ؟

— السيدة ؟

وراح الشاب ينفذ قليلاً من الرمل عن شعره الناعم :

— يصعب علي تحديد ذلك ياسيميل . قد تكون في هذه اللحظة في الف مكان .

عند الحلاق مثلاً ، لتصبغ شعرها بلون « الفيزون » ، او في غرفتها تصنع دمي
للأطفال الفقراء .

ووضع معصميه الأول فوق الثاني ، ثم أسند ذقنه فوقها في تلك اللحظة ، وهو

مستلق على بطنه ، وقال :

— احكي لي أشياء أخرى ياسيميل . إن لباس البحر الذي ترتدينه جميل جداً .

إذا كان هناك ما أحبه فهو لباس البحر الأزرق .

ونظرت اليه سيميل بدهشة ، ثم خفضت بصرها نحو بطنها الصغير البارز الى

الامام . وقالت :

— ولكنه أصفر ، إنه أصفر .

— لا ، اقتربي قليلاً .

وخطت سيميل خطوة الى الامام .

— انت على حق فعلاً . كم انا مغفل !

قالت سيبيل :

— الا تنزل الى الماء ؟

— إني أدرس القضية . افكر فيها كثيراً يا سيبيل ، لدرجة لا تصدقنيها .

— ولست سيبيل العوامة المصنوعة من المطاط ، العوامة التي كان الشاب قد

اتخذها وسادة له ، وقالت :

— إنها تحتاج الى هواء .

— معك حق . إنها بحاجة الى كمية من الهواء اكثر من تلك التي أرغب في

إعطائها لها .

وسحب معصميه ، وترك ذقنه تتكئ على الرمل .

قال :

— سيبيل ، أنت مشرقة الوجه . ما أجمل أن يراك المرء ! تحدثني الى

عن نفسك .

وقدم يديه ، واحتجز رسغي قدم سيبيل . وأردف قائلاً :

— إني من الحيوانات ذوات القرون الطويلة .. وأنت ؟

واستطردت سيبيل :

— لقد قالت شيرون ليسكوتز بأنك تركتها تجلس بقربك على كرسي البيانو .

— هل قالت شيرون ليسكوتز ذلك ؟

وهزت سيبيل رأسها بقوة .

وترك الشاب قدميهما ، وأعاد يديه ، وأراح خده على ذراعه اليمنى ، ثم قال :

— حسناً ، أنت تعرفين كيف تجري هذه الامور يا سيبيل . كنت جالسا

هناك ، أعزف ، ولم تكوني أنت في تلك الانحاء . وجاءت شيرون ليسكوتز

وجلست بقربي . إنا لا أستطيع ان اطردها . أليس كذلك ؟

— كنت تستطيع ذلك .

قال الشاب :

— أوه ، لا ، لا ، لم اكن استطيع ان افعل ذلك . و لكنني سأقول لك ماذا

فعلت ؟

— ماذا ؟

— لقد تخيلت بأنها أنت .

وجلست سبيل القرفصاء ، وراحت تحفر الرمل ، وقالت :

— لنذهب الى الماء .

قال الشاب :

— حسناً ، اني استطيع ذلك .

قالت سبيل :

— اطردها في المرة القادمة .

— اطرده من ؟

— شيرون ليسكوتز .

قال الشاب :

— أوه ، شيرون ليسكوتز ؟ يعود هذا الاسم لبيعث الذكريات والרגائب !

وانتصب فجأة على قدميه ، ونظر الى المحيط قائلاً :

— سبيل ، سأقول لك ماذا سنعمل ! سنرى ما اذا كنا نستطيع ان نلتقط

سمكة موز .

— ماذا ؟

قال :

— سمكة موز . وفك حزام معطفه ، ثم خلع المعطف .

كانت كتفاه بيضاوين ضيقتين ، واوردته زرقاء . ثم طوى المعطف باتجاه الطول

مرة ، وفي الاتجاه الآخر ثلاث مرات . ثم نشر المنشفة التي كانت تغطي عينيه ،

ومدها على الرمل ، ووضع المعطف فوقها ، ثم انحنى ، والتقط العوامة ، ووضعها

تحت ذراعاه اليمنى . واخيراً أمسك بيده اليسرى يد سيبيل ، واتجه الاثنان نحو المحيط .

قال الشاب :

— اظن انك لم تشاهدي الكثير من اسماء الموز في حياتك ؟
وهزت سيبيل راسها .

— لم تشاهدي كثيراً منها ، آه ؟ بالمناسبة ، اين تسكنين ؟
قالت سيبيل :

— لا اعرف .

— لا بد انك تعرفين . يجب ان تعرفي . ان شيرون ليبسكوتز تعرف اين تسكن ، وعمرها لا يتجاوز الثالثة والنصف .

وتوقفت سيبيل ، وانتزعت بفتة يدها من يد الشاب ، والتقطت صدفة ، وراحت تتأملها باهتمام مدروس . ثم ألقت بها ارضاً .

— ويرلي وود ، كونكتيكوت . قالت ذلك ، وعادت سيرها ، وبطنها الى الامام .

ورد الشاب :

— ويرلي وود كونكتيكوت اليس ذلك ، في مكان ما قريب من ويرلي وود ،
كونكتيكوت ؟

ونظرت اليه سيبيل ، وقالت بصبر نافذ :

— ولكنني اقطن هناك ! انني اسكن في ويرلي وود كونكتيكوت . وجرت عدة خطوات امامه ، ثم التقطت رجلها اليسرى بيدها اليسرى ، وقفزت مرقين او ثلاثاً على رجل واحدة .

قال الشاب :

— انك لا تتصورين كم يبدو كل شيء واضحاً الآن .

وتركت سيبيل رجلها تسقط ، وقالت :

— هل قرأت سامبو الصغير الاسود :

قال :

— حقاً ، عجيب منك أن تسأليني ذلك . لقد انتهيت منه مساء البارحة فقط .

اتعرفين ؟ رأيت مرة سمكة موز تدخل في ثقب الموز ، وتأكل ما لا يقل عن ثمان وسبعين موزة ...

ودفع العوامة ، ومن عليها ، قليلا نحو عرض البحر .
- وبالطبع ، تصبح سمينة بعد ذلك ، لدرجة لا تستطيع معها الخروج من الثقب . إنها لا تستطيع اجتياز الباب من جديد .

قالت سيبيل :

- لا تدفع بي بعيداً . وماذا يحدث لها بعد ذلك ؟

- ماذا يحدث لمن ؟

- لاسماك الموز ..

- أوه ؛ تريدن أن تقولي بعد أن تكون قد اتهمت كل ذلك الموز ، ولم تعد تستطيع مغادرة الثقب ؟

قالت سيبيل :

- نعم .

- يؤلمني أشد الألم أن أقول لك يا سيبيل انها تموت ...

وسألت سيبيل :

- لماذا ؟

- حسناً ؛ لأنها تصاب بحمى الموز . انها حمى خبيثة .

قالت سيبيل بعصية :

- انتبه ! هناك موجة قادمة .

- لن نصطدم بها ؛ سنمر فوقها ، نحن الثماني الاثنى عشر ...

وأمسك برسغي قدم سيبيل ؛ وبدفعة واحدة أرسلها الى الامام ، فانقلبت العوامة على ظهر الموجة ؛ وبلل الماء شعر سيبيل الاشقر ولكن صراخها كان مزوجاً بالغبطة .

وعندما عادت العوامة الى السكون ، أبعدت سيبيل بيدها خصلة من شعرها

المبلل عن عينيها وأعلنت صائحة :

— لقد رأيت واحدة .

— واحدة بماذا ؟ يا جيبتي ..

— سمكة موز ؟

وهتف الرجل :

— يا الهي . ذلك مستحيل . وهل كان في فيها موز ؟

قالت سييل :

— نعم ، ستة .

وأمسك الرجل بفتحة إحدى الرجلين الصغيرتين المبللتين ، اللتين تتدليان من على حافة العوامة وراح يقبلها .

وصاحت صاحبة القدم ، وهي تلتفت :

— هيه ؟

— هيه أنت ! سنعود الآن . هل اكتفيت ؟

— لا .

قال :

— آسف ! ودفع العوامة نحو الشط حتى استطاعت سييل النزول . وأمسك

بالعوامة ليتيح لها الخروج من الماء .

قالت سييل :

— الى اللقاء .

وذهبت وهي تجري ، دونما أسفٍ ، نحو الفندق .

* * *

ارتدى الشاب معطفه ، ولفه ، وأغلقه بعناية حول جسمه ، ودس المنشفة في أحد جيوبه ، والتقط العوامة المبتلة المزعجة ، ووضعها تحت ذراعه ، ثم راح يسير وحيداً نحو الفندق ، في الرمل الندي المحرق .

وفتش عن يد سيبيل ، وأمسك بها في يده ، وسألها :
- ما رأيك فيه ؟
- هل تذكر حين قفزت النمرور حول الشجرة ؟
- لقد تخيلت بأنها لن تتوقف أبداً . لم أرى في حياتي هذا العدد الكبير
من النمرور .

قالت سيبيل :
- لم يكن هناك إلا ستة فقط .
- ستة فقط . أنت تسمين ذلك فقط !
وسألت سيبيل :
- هل تحب الشمع ؟
ورد الرجل :
- أحب ماذا ؟

- الشمع ؟
- كثيراً . وأنت ؟
وأشارت سيبيل برأسها أن نعم .
واردفت :
- هل تحب الزيتون ؟
- الزيتون ؟ نعم . الزيتون والشمع . إنني لا أذهب أبداً الى مكان دون ان
أحمل شيئاً منها .

وسألت سيبيل :
- هل تحب شيرون ليبسكوتز ؟
ورد الشاب :

- نعم ، نعم ، إنني أحبها . إن ما أحبه فيها بشكل خاص هو انها لا تؤذي
أبداً الكلاب الصغيرة في هو الفندق ؛ لا تؤذي مثلاً هذا « البولودج » الصغير
الذي يخص السيدة الكندية ، ربما كنت لا تصدقيني ؛ هناك بنات صغيرات يلتمهن
بوخره بعود « مصاصتهن » . ولكن شيرون لا تفعل ذلك . إنها لم تظهر قط أية خسة

لاو قسوة ؛ ولذلك فانا احبها كثيراً .
 وصمتت سيبيل ، ثم قالت أخيراً :
 - اني احب ان امضغ الشمع .
 قال الشاب ، وهو يغط رجليه في الماء :
 - ومن منا لا يحب ذلك ؟
 برررر .. رر .. الماء بارد كالثلج .
 وترك العوامة تسقط في الماء .
 - لا ، انتظري لحظة يا سيبيل ؛ انتظري حتى نبتعد قليلا .
 وراحا يجران أقدامهما في الماء حتى غمر قامة سيبيل . وهناك أخذها الشاب
 بين ذراعيه ومددها على بطنها فوق العوامة ، وسألها :
 - الا تضعين ابداً قبعة استحمام فوق رأسك ؟ او شيئاً من هذا القبيل ..
 قالت سيبيل بلهجة الأمر :
 - لا تتركني اذهب . امسك بي جيداً .
 قال الشاب :
 - آنسة كارينتر . ارجوك . اني اعرف مهمتي .. كل ما عليك ان تغميله هو
 ان تفتحي عينيك جيداً لتري اسماء الموز ...
 إنه اليوم المثالي لأسماء الموز ...
 قالت سيبيل :
 - اني لا ارى شيئاً منها .
 - ذاك امر طبيعي . إن لها طبائع غريبة . غريبة جداً .
 وتابع دفع العوامة . كان الماء يغمره حتى صدره :
 قال :
 - إن خاتمة حياتها مأساة فظيعة . اتعرفين ماذا نفعل ؟
 وهزت براسها أن لا !
 - حسناً ، إنها تدخل في ثقب مملوء بالموز . وعندما تدخل تكون كسائر
 الأسماك الاخرى . ولكن ما ان تصبح في الداخل حتى تتصرف كاختنازير .

وعند باب الخدم ، الذي تطلب إدارة الفندق من المستحامين استخدامه ،
دخلت امرأة المصعد مع الشاب ، وكانت تضع مرهماً على أنفها .

قال لها عندما ارتفع بها المصعد :

- إنك تحديقين النظر في قدمي .

قالت المرأة :

- عفواً .

- أقول : إني ألاحظ بأنك تنظرين الى قدمي .

قالت المرأة :

- معذرة . كنت أنظر الى الأرض .

وأدارت عينيها نحو باب المصعد .

واستمر الشاب :

- اذا كنت تريدن النظر الى رجلي ، فقولي ذلك . ولكني لا احب الفضول .

قالت المرأة لعمالة المصعد :

- قفي بي هنا . أرجوك .

وفتح باب المصعد ، وخرجت المرأة دون أن تلتفت ، قال الشاب :

- ... إن لي قدمين طبيعيتين . وليس هناك من سبب للتحديق فيها .

الطابق الخامس من فضلك ..

وأخرج مفتاح غرفته من جيب معطفه .

ومضى الى الطابق الخامس ..

واجتاز الممر ..

ثم دخل الغرفة « ٥٠٧ » ..

كانت تفوح من الغرفة رائحة الأمتعة الجديدة المصنوعة من جلد العجل ،
ومزيج طلاء الأظافر .

وألقى نظرة على المرأة الشابة التي كانت تنام على أحد السريرين التوأمين .. ثم
التجّه نحو حقيبتها ، وفتحتها ، وأخرج من تحت طبقة من الملابس الداخلية مسدساً
أوتوماتيكياً من عيار ٧٥٥ ، ثم أخرج منه بيت الذخيرة ، وفحصه ، ثم أعاده إلى
مكانه ، بعد أن أعده للاستعمال .

ثم جلس على السرير غير المشغول ..

ونظر إلى المرأة الشابة ..

وسدّد السلاح ..

وأطلق رصاصة في صدغه الأيمن .

العَدَمُ الْمَرَضِيُّ فِي كُونَكْتِيكُوت

كانت الساعة تقارب الثالثة عندما عثرت ماري جين أخيراً على منزل إيلويز .
وابتدرت صديقتها التي كانت قد اجتازت الزقاق مقبلةً للقائها قائلةً بأن الأمور قد
سارت على ما يرام ، وأنها تذكرت الطريق بدقة الى أن لفت حول ممر يارك بريك .

قالت إيلويز : « يارك بريت يا عزيزتي . » وراحت تذكرها بأنها قد سبق لها
أن زارت المنزل مرتين . ولكن ماري جين اكتفت بههمة غامضة حول شيء ما
يتعلق بعلبتها « الكلينكس » ^(١) ، وعادت مهرولة نحو عربتها المكشوفة .

ورفعت إيلويز ياقة معطفها المصنوع من وبرّ الجمل ، وادارت ظهرها للريح ،
ووقفت تنتظر .

وما هي الا لحظة .. حتى عادت ماري جين بهيئة شعباء غبراء ، وهي تسمح
يديها بمبدال من الورق . وأعلنت إيلويز بلهجة مرحة أن الغداء اللعين قد احترق
بكامله .. حتى قطع الخبز .. كل شيء .

ولكن ماري جين لم تلبث أن صرخت بأنها على كل حال ، قد تناولت
غداءها في الطريق .

وبينما كانت الصديقتان تسيران معاً نحو المنزل سألت إيلويز كيف حدث أن
حصلت ماري جين على هذا اليوم من العطلة ؟

واجابت ماري جين بأنها لم تحصل على اليوم كاملاً ، وإنما يتلخص الأمر في ان

(١) الكلينكس : مناديل من الورق .

السيد وينبرغ يشكو من فتق الزمه بيته في « لارشمونت » . فكان لزاماً عليها أن تحمل اليه البريد كل يوم ، بعد الظهر ، وأن يملئ عليها رسالة او رسالتين ... ثم تساءلت :

— ماذا تعني كلمة فتق على وجه التحديد ؟
قالت إيلويز ، وهي تدع سيجارتها تسقط قرب قدميها على الثلج المتسخ :
— إنني لا أعرف ماذا تعني هذه الكلمة على وجه الدقة .. ولكن لا عليك يا عزيزتي .. فانك لن تكوني عرضة لخطر الإصابة بها على كل حال .
قالت ماري جين : « أوه ! » .

ودخلت الشابتان المنزل .

وبعد عشرين دقيقة كانتا تنهيان قدحهما الأول في البهو ، وتثران بتلك اللهجة الخاصة التي لا توجد أبداً الا بين فتاتين تقاسمتا في الماضي غرفة واحدة في القسم الداخلي ، في المدرسة الثانوية .

كانت هناك رابطة أقوى تشدهما الى بعضهما ، وهي أن كليهما لم تظفرا بأية شهادة من دراستهما .

كانت إيلويز قد تركت المدرسة عام ١٩٤٣ ، وهي في منتصف صف الشهادة الثانوية ، بعد أسبوع من مفاجأتها مع جندي ، في مصعد مغلق ، في الطابق الثالث من منزله . وتركت ماري جين الصف نفسه . في العام نفسه ، بل في الشهر نفسه تقريباً ، لتتزوج طياراً مبتدئاً من الفريق المربط في جاكسونفيل في فلوريدا ، وهو صبي نحيل حالم ، من مدينة إيل في المسيسيبي ، أمضى الشهرين الاثنين من أشهر زواجهما الثلاثة في السجن ، لأنه طعن أحد موظفي الأمن بخنجر .

قالت إيلويز :

— لا ، لقد كان أحر .

كانت مستلقية على أريكة . وساقاها النحيلتان الجميلتان جداً مع ذلك ،

مصلبتان على علو الرسغين .

وردت ماري جين التي كانت تجلس على المقعد الأزرق ..

- لقد بلغني أنه كان أشقر . ولقد أقسمت (لا اذكر من) ، أنه كان أشقر .

قالت إيلويز ، وهي تتشأب :

- لا ، لا ، أبداً .. لقد كنت بالفعل في الغرفة عندما صبغت شعرها . ما

هذا ؟ أليس من سجاثر هنا ؟

قالت ماري جين :

- لا أهمية لذلك . لديّ علبة سجاثر كاملة . يجب أن تكون في مكان ما .

وراحت تبحث في حقيبتها .

قالت إيلويز ، دون ان تغادر الأريكة :

- هذه الخادمة المحبولة .. لقد وضعت أمامها وزمتين كاملتين من السجاثر ،

منذ أقل من ساعة ؛ ستعود بعد فترة لتسألني ماذا ينبغي أن تفعل بها ... يا إلهي !

عم كنت أتحدث ؟ ..

وهست ماري جين ، وهي تشعل إحدى سجاثرها :

- ثيرنجر .

- آه ، نعم . إني أتذكر الآن ، كما لو حدث ذلك البارحة . لقد صبغته في

الليلة التي سبقت زواجها بهذا « الفرانك هانك » .. هل تذكرينه ؟

- نعم . ولكن بصورة غامضة . إنه طالب في الصف الثاني ، سنه أكبر من

صفه ، ضعيف الجاذبية الى حد خفيف .

- ضعيف الجاذبية .. يا إلهي ! يتخيل اليك أنه بيلا لوجوزي ، ولكن بدون

أن يغتسل .

وألقت ماري جين برأسها الى الوراء ، وضحكت بصوت عالٍ . وقالت وهي

تعود الى جلستها لتكمل شربها :

- رائع .

قالت إيلويز :

- هاتي كأسك .

وأعادت رجلها الى الأرض ، وانتصبت واقفة وهي حافية القدمين :

- حقاً ! كم هي مخبولة .. لقد عملت كل ما بوسعي لأجعلها تقنع بالبحي الى هنا ، اللهم اذا استئذيت تحريضي « لو » على مشاجرتها . لو كنت أعرف .. من أين لك هذه ؟

قالت ماري جين ، وهي تضع يدها على أيقونة معلقة في عنقها :

- هذه ؟ لقد كنت أضعها منذ أيام المدرسة . إنها آلت الي من أمي ..

قالت إيلويز ، وفي كل من يدها قدح فارغ :

- يا إلهي ! إني لا أملك أي شيء ديني لأحمله . واذا ما حدث أن ماتت أم « لو » ... آه ، آه ، فربما تركت لي ملقط جليد محفور عليه الحرفان الأولان من اسمها ، أو شيئاً من هذا القبيل ..

- بالمناسبة .. كيف تسير الأمور معها في هذه الايام ؟

قالت إيلويز ، وهي متجهة نحو المطبخ :

- لا تسخري مني .

وصاحت ماري جين من وراء ظهرها :

- إنها الكأس الاخيرة بالنسبة لي .. حقاً ..

- كما تشائين .. ولكن من الذي طلبني في الهاتف ؟ من الذي جاء متأخراً ساعتين عن الموعد المضروب ؟ ستمكثين هنا حتى أمل رؤيتك . الى الجحيم ترفيتك القدرة ! ..

وألقت ماري جين برأسها الى الخلف وانفجرت في الضحك من جديد . ولكن إيلويز كانت في تلك اللحظة قد ادركت المطبخ ..

لم تكن ماري جين تعرف كيف تبقى وحدها في غرفة .. فاذا هي تنهض ،
وتتجه الى النافذة ، ثم تفتح الستائر ، وتسد معصمها على احدى العوارض ، ونحس
الغبار فلتسجبه ، ونمسحه باليد الاخرى ، ونعكث على تلك الحال واقفة ، منتصبه ..
كان وحل الثلج المتسخ في الخارج قد بدأ يتجمد بصورة ظاهرة . وأغلقت
ماري جين الستائر ، وعادت الى المقعد الازرق ، دون أن تلقي في طريقها نظرة
على المكتبتين المكتظتين بالكتب . وما ان جلست حتى فتحت حقيبتها ، وأخرجت
مرآتها ، وراحت تفحص أسنانها ، ثم ضمت شفتيها ، وأمرت لسانها بقوة على
أسنانها الامامية ، ثم فحصتها من جديد .. وقالت وهي تلتفت :

— ما أشد البرد في الخارج ! يا إلهي ! كم انتهيت بسرعة .. ألم تضعي فيه
شيئا من الصودا ؟

توقفت إيلويز وفي كل من يديها قدح مجلل ، بالبخار ، ومدت سبابتها :
كفوهي مدفع ، وقالت :

— لا يتحرك أحد ! لقد أمرت . بمحاصرة الحظيرة ...

وضحكت ماري جين ، وهي تعيد مرآتها الى مكانها .

واقتربت إيلويز مع الاقداح .. وأسندت قدح ماري جين بشكل منحرف على
منضدة صغيرة ، واحتفظت بقدحها في يدها ، وعادت الى أوريكتها تتمدد عليها
من جديد ثم قالت :

— ماذا تظنينها كانت تفعل في المطبخ ؟ إنها تجلس هناك على وركيها السمينين
الاسودين ، وهي تطالع كتاب « السترة » لقد سقطت مني صحون الجليد وأنا
أخرجها من الثلاجة ، فلم تحرك ساكنا ، ولم تفعل اكثر من أن ترفع عينها بلهجة
بادية الازعاج .

تناولت ماري جين قدحها ، وقالت :

— إنه قدحي الاخير ، اؤكد لك .. أوه ! اسمعي . أتعرفين من رأيت في
الاسبوع الماضي ، في الطابق الارضي من محلات لورد وثايلور ؟

قالت ايلويز ، وهي تسوّي وسادة تحت رأسها :

- آكيم تاميروف .

قالت ماري جين :

- من ؟ من هو ؟

- آكيم تاميروف .. ممثل سينمائي .. إنه يقول دائماً : « أنتم تعلمون - لو تذكروا - قطعة .. هيه ؟ » لمي أعبد .. ليس في هذا البيت وسادة واحدة

أستطيع تحملها . من رأيت ؟

- جاكسون . كانت ...

- أي واحدة ؟

- لم أعد أعرف . تلك التي كانت معنا في دروس علم النفس . تلك التي كانت دائماً تعمل ...

- كانت الاثنتان معنا في دروس علم النفس .

- إذاً .. تلك التي كان لها « ... » يأخذ العقل ..

- مارسيا لويز . لقد سقطت عليها في أحد الأيام أنا أيضاً . هل حطمت لك

أذنيك ؟

- يا الهي . نعم ! ولكن ، أتدري ما قالته لي مع ذلك ؟ استاذتنا

هوايتنغ ماتت . لقد قالت لي بأن بربره هيل كتبت لها بأن هوايتنغ

اصيبت بالسرطان منذ الصيف الماضي .. وأنها ماتت .. وكل شيء .. كانت لا تكاد

تزن ثلاثين كيلوغراماً عندما ماتت . خيف أليس كذلك ؟

- لا .

- ايلويز .. انك على وشك أن تكوني أشد قسوة من الاسمنت المسلح .

- مم ! وماذا قالت أيضاً ؟

- قالت بأنها قادمة على التو من أوروبا ، كان زوجها في قوات الاحتلال في

ألمانيا .. أو شيئاً من هذا القبيل ، وكانت هي معه . وأكدت انها كانا يعيشان

في منزل مؤلف من سبع وأربعين غرفة ، هما وزوجان آخران فقط ، ولديهما عشرة من الخدم على أقل تقدير . كان لها أيضاً حصانها الخاص ، أما خادم الاسطبل الذي كان عندهم فهو مدرب هتار السابق على ركوب الخيل . أو شيء من هذا القبيل ... أوه ! وراحت تحكي لي كيف كانت على وشك أن تغتصب من قبل جندي أسود . تصوري انها كانت تقص ذلك علي في وسط الطابق الأرضي لمحات لورد وتايلور ، أنت تعرفين جاكسون لقد أخبرني بأنه سائق زوجها ، وأنه كان ذاهباً الى السوق في صبيحة أحد الأيام : قالت بأنها خافت لدرجة أنها لم تستطع أن ...

— انتظري لحظة .

ورفعت إيلوين رأسها ، ونادت :

— أهذي أنت يا رامونا ؟

وأجاب صوت طفل :

— نعم .

وصاحت إيلوين :

— أغلقي باب المدخل ، من فضلك ...

— انها رامونا .. أوه ! إنني أتلطف لرؤيتها .. لم أرها منذ ... أنتصرون

ذلك ؟

صاحت إيلوين من جديد ، وعيناها مغمضتان :

— رامونا . . أذهبي الى المطبخ ، وأطلبي من غراس أن تخلع لك حذاء

المطاط .

قالت رامونا :

— حسناً . تعال ، يا جيمي !

قالت ماري جين :

— أوه ، كم أنا متلهفة لرؤيتها .. أوه ، يا إلهي ! أنتظري ماذا فعلت ! إني

في غاية التأثر لما حدث .

قالت إيلويز :

— لا بأس دعي عنك هذا . إني أمقت هذه السجادة اللعينة على كل حال .
— أحضر لك قدماً آخر .

— لا ، انظري ، ما يزال فيه أكثر من نصفه . وارثها ماري جين كاسها .
قالت إيلويز .

— حقاً ، أعطيني سيجارة .

ومدت لها ماري جين علبتها : وهي تقول :

— أوه ! ما أشد لهفتي لرؤيتها ! من تراها تشبه الآث ؟
وأشعلت إيلويز عود ثقاب .

— آكيم تامبروف .

— لا ، تكلمي بحد .

— « لو » ، إنها تشبه « لو » . وعندما تأتي والدته يبدو كل من الثلاثة

مضروباً بقوة ٣ .

وبدون أن تنهض ، تمد إيلويز يدها الى مجموعة من منافض السجائر ، في
الطرف الآخر من المنضدة الواطئة ، وتنجح في التقاط المنفضة الأولى ، وتركزها
فوق بطنها . ثم تستطرد قائلة :

— إن ما يناسبني كل المناسبة هو كلب صيد ... أو شيء من هذا القبيل ...

رجل يشبهني

وسألت ماري جين :

— وكيف حال عينيها الآن ؟ أعني ألا تسير الى أسوأ ؟ أو شيء من ذلك ؟
— لا ، حسب ما اعلم .

— هل تستطيع أن ترى بدون نظارات ؟ أقصد عندما تستيقظ ليلاً لتذهب
الى « المكاتب الصغير » .. أو ما أشبه ..

— لو حدث ذلك لما ذكرت عنه شيئاً لأحد . إنها حريصة على أسرارها

« الصغيرة » .

- وادارت ماري جين رأسها ، وهي على مقدمها قائلة :
- حسناً ، صباح الخير ، يا رامونا .. أوه ! يا له من ثوب جميل !
وأسندت قدحها الى المنضدة .
- أراهن بأنك لا تتذكرينني مطلقاً .
- بلى ، انها تتذكر . من هي السيدة يا رامونا ؟
- قالت رامونا :
- ماري جين .
- وراحت تحك جسمها .
- قالت ماري جين :
- هذا رائع يا رامونا . تعالي هل تريدان ان تعطيني قبلة صغيرة ؟
- قالت ايلويز لرامونا :
- كفالك حكماً !
- وتوقفت رامونا عن الحك .
- ورددت ماري جين :
- ألا تقبلينني قبلة صغيرة يا رامونا ؟
- لا أحب تقبيل الناس .
- وانتفضت ايلويز ، وسألت :
- أين جيمي ؟
- إنه هنا .
- وسألت ماري جين ايلويز :
- من هو جيمي ؟
- آه ! يا إلهي ! صديقتها . إنه يذهب دائماً حيث تذهب ، ويعمل كل ما
تعمل ، إنها لا يفترقان أبداً .
- وقالت ماري جين باندفاع :

- حقاً ؟ وانحنيت الى الامام ثم استطردت .
- ألك صديق يا رامونا ؟
- لم تعكس عينا رامونا وراء نظارتها السميكتين أي ظل من حماسة ماري جين .
- قالت ايلويز :
- لقد سألتك ماري جين سؤالاً يا رامونا . وأدخلت رامونا إحدى أصابعها في أنفها الصغير الأفطس .
- قالت ايلويز :
- كفى . ماري جين تسألك عما اذا كان لك صديق .
- قالت رامونا وهي لا تزال مشغولة بأنفها :
- نعم .
- قالت ايلويز :
- رامونا ، كفى عن ذلك فوراً ، فوراً ...
- وتركت رامونا يدها تسقط .
- قالت ماري جين :
- حسناً ، أرى ان ذلك رائع . ما اسمه ؟ هل تريد أن تقولي لي اسمه ؟ أم أن ذلك سر كبير ؟
- قالت رامونا :
- جيمي .
- جيمي ؟ أوه اني أعبد هذا الاسم ! جيمي ماذا يا رامونا ؟
- اجابت رامونا :
- جيمي جيميرينو ..
- قالت ايلويز :
- ابقني هادئة يا رامونا .

— حسنًا ، هذا هو اسم بكل معنى الكلمة . واين جيمي ؟ ألا تريد أن تبوحي لي بذلك يا رامونا ؟
— قالت رامونا :
— هنا .

والتفتت ماري جين حولها ، ثم التفتت صوب رامونا بابتسامتها الخبيثة :
— هنا . أين يا جيمي ؟
— قالت رامونا :

— هنا . اني أمسك به بيدي .
— قالت ماري جين لإيلويز التي كانت تفرغ قدها :
— اني لا أفهم شيئًا .
— قالت ايلويز :

— لست انا التي يجب أن تتطلمي اليها .
— والتفتت ماري جين صوب رامونا :
— أوه ، لقد فهمت . جيمي صبي من صنع الخيال . هذا رائع !

— وانحنت ماري جين الى الأمام بشيء من الحفاوة ، ثم استطردت :
— كيف حالك ، يا جيمي ؟
— قالت ايلويز :

— انه لا يريد مخاطبتك . رامونا ، صفني عن جيمي لماري جين .
— أتكلم عن ماذا ؟

— قفني جيدًا ، من فضلك ... صفني جيمي لماري جين .
— له عيان خضراوان ، وشعر أسود .
— ثم ماذا ؟

— ليس له أب ولا أم .
— ثم ماذا ؟

- ولا نمش على الوجه .
- ثم ماذا ؟
- له سيف .
- وماذا أيضا ؟
- قالت رامونا .
- لا ادري .
- وعادت تحك جسمها .
- قالت ماري جين .
- يبدو انه جميل جداً .
- وانحنت على مقعدها اكثر فأكثر الى الامام .
- رامونا قولي لي هل خلع جيمي أيضا حذائه المطاط عندما دخلتا المنزل ؟
- قالت رامونا
- انه يحتذي جزمة .
- قالت ماري جين لايلويز .
- هذا رائع
- أنت ترين ذلك رائعا . أما انا فاني أسمعها فتكلم عنه طوال النهار . جيمي يأكل معها ، يستحم معها ، ينام معها ، انها تنام على طرف السرير ككلب الصيد ، لئلا تندحرج عليه وتؤذيته .
- وزمت ماري جين شفتها العليا ، وهي مأخوذة ، مشغولة . بما تسمع ، ثم فتحت فمها لتسأل :
- ومن اين له هذا الاسم ؟
- جيمي جيميرينو ؟ الله وحده يعلم .
- ربما كان اسم صبي من صبية الجيران .
- ليس في الحي أي طفل ؟ انهم يسمونني فاني الولود من وراء ظهري .

قالت رامونا :

— ماما .. هل أستطيع الخروج للعب؟

ونظرت اليها ايلويز قائلة :

— لقد عدت على التو من الخارج .

— جيمي يريد الخروج من جديد .

— ولماذا ؟ اذا سمحت لي بالسؤال .

— لقد نسي سيفه خارجاً .

قالت ايلويز :

— اوه ، حسناً ، هو وسيفه اللعين . اذهبي ، ولكن لا تنسي أن تلبسي
حذاءك المطاط .

قالت رامونا وهي تأخذ بيدها عود ثقاب محترق من منقضة السجائر :

— أمن المحتمل ان آخذ هذا ؟

— قولي هل أستطيع ان آخذ هذا ؟ نعم ، لا تذهبي الى الشارع من فضلك .

ورددت ماري جين بصوت اغن :

— الى اللقاء ، يا رامونا .

قالت رامونا :

— الى اللقاء . تعال يا جيمي .

وانتصبت ايلويز فجأة واقفة ، وقالت :

— هاتي كأسك .

— لا ، اكلم جادة يا ايل . . . كان علي ان اكون الآث في لارشيمونت ،

أعني ان السيد وينبرغ لطيف جداً ، لذلك اكره أن . . .

— تكلمي معه هاتئاً ، وقولي لي بانك قلت . . . هيا ، هاتي هذا القدر

اللعين .

— لا ، حقاً ، إيل ... أؤكد لك .. سيتجمد كل شيء .. وليس عندي
مذنية للجليد في السيارة .. أؤكد لك بأنني إن ...

قالت ايلويز :

— ليتجمد كل شيء ، إذ هي إلى الهاتف ، قولي بأنك قدمت . اعطني هذا ..
— حسناً ، أين الهاتف ؟

قالت ايلويز وهي تحمل القدرين الفارغين إلى غرفة الطعام .

— وأخيراً .. من هنا !

وتوقفت عند الحاجز الذي يفصل غرفة الجاوس عن غرفة الطعام ، وراحت
تهزه بعنف ، فيصر صريراً عالياً .

وضحكت ماري جين ضحكة عصبية .

قالت ايلويز :

— أريد أن أقول : إنك لم تعرفي والت معرفة حيقة .

كانت الساعة الخامسة الا ربعاً ، وكانت مستلقية على ظهرها ، فوق الأرض ،
وقد ركزت كأسها بتوازن على صدرها الصغير .

— انه الشاب الوحيد من بين جميع الذين تعرفت عليهم ، الشاب الوحيد الذي
كان يعرف كيف يضحكني ، أعني يضحكني فعلاً ...

ونظرت إلى ماري جين :

— اتذكرين تلك الليلة في سنتنا الدواسية الأخيرة ، عندما برزت تلك
المجنونة لويز هرمانسون في الغرفة بمشد صدرها الأسود الذي اشترته من شيكاغو ؟

ووافقت ماري جين بضحكة . كانت ممدودة على بطنها فوق الأريكة ،
وذقتها مسندة على ذراعها في مواجهة ايلوين . كان قدحها على الأرض في متناول
يدها .

قالت ايلوين :

حسناً ، هكذا كان يعرف كيف يجعلني أضحك . كان يضحكني حين يتكلم
معي .. يضحكني على الهانف .. كان يضحكني حتى بالرسائل .
والقريب أنه لم يكن يعتمد أن يبدو مضحكاً . كان قادراً على أن يضحكني ..
وهذا كل شيء ..

وادارت رأسها قليلاً نحو ماري جين :

— هيه ! هل يزعجك ان تعطيني سيجارة ؟

قالت ماري جين :

— لا أستطيع أن التقطها .

— أوه !

وعادت ايلوين تنظر الى السقف . قالت :

— في ذات يوم سقطت على الأرض .

كنت انتظره عادة عند موقف الاوتوبوس ، أمام خروج ال « ب » ، اكس .
وذات مرة وصل متأخراً ، في نفس اللحظة التي كان الأوتوبوس يتحرك فيها
للسير . ورحنا ندور وراءه واذا بي أسقط على الأرض ، وبرز كعبي . والتفت
الى قائلاً :

— مسكين ؛ هذا العم المرضوض .

كان يتكلم عن كعبي .

فسماه العم المسكين المرضوض (١)

(١) النكتة تشير الى التقارب بين كلمتي Ankle كعب ، و Oncle عم بالانجليزية .

يا إلهي ! ما كان أطفه !

— ألا يمتلك « لو » حسن الدعابة أيضاً ؟

— ماذا ؟

— ألا يمتلك « لو » حسن الدعابة هو أيضاً ؟

— أوه ! يا ربي ، من يدري ؟ أظن ان نعم ، إنه يضحك للرسوم المتحركة ..
ولكل هذه الأشياء .

ورفعت ايلويز رأسها ، وأخذت كأسها من على صدرها ، وشربت :

قالت ماري جين :

— على كل حال . ليس هذا كل شيء . صدقيني ، ليس هذا كل شيء .

— ما هذا الذي ليس كل شيء ؟

— أوه ! أترين ؟ الضحك ، وما شابه ذلك ..

قالت ايلويز :

— من يقول بأنه ليس كل شيء ؟ اسمعي ، عندما لا يكون المرء على وشك

ان يصبح « أختاً » أو ما يشبه ذلك ، فليس هناك أجمل من ان يضحك .

وضحكت ماري جين بعصبية ، وقالت :

— ما أفضحك !

قالت ايلويز :

— آه ! يا إلهي ! لشد ما كان لطيفاً ! كان مضحكاً وناعماً في آن واحد ، ولكنه

لم يكن ذلك الضرب من الصيبة الصغار . كان لطيفاً بطريقة خاصة . أتدريين ماذا

فعل ذات يوم ؟

قالت ماري جين :

— لا .

— كنا في قطار ترنتون عاندين الى نيويورك . كان ذلك فور تسريحه من

الجيش . كانت القاطرة باردة ؛ فوضعت معطفي علينا . أذكر اني كنت البس

تحت قميص جويس مورد . أتذكرين ذلك القميص الأزرق الرائع الذي كان
عندها ؟

وهزت ماري جين رأسها موافقة . ولكن ايلوين لم تنظر إليها لتتأكد من
جوابها .

— حسناً ، كان يمر بيده على بطني . أتريين ؟ شيء من هذا القبيل . وفجأة قال
لي بأن بطني جميل جداً لدرجة أنه يكاد يشتهي أن يبرز ضابط ويأمره بأن يخرج
يده الثانية من النافذة . لقد قال بأنه يريد أن يعمل الأشياء باستقامة . بعد ذلك
سحب يده ، وطلب الى قاطع التذاكر أن يقف جيداً ، ثم قال له :

« اذا كان هناك شيء لا أستطيع احتماله فهو الرجل الذي لا يبدو عليه
الاعتزاز بزيته الرسمية . »

واكتفى قاطع التذاكر بأن نصح اليه بالنوم من جديد .

وفكرت ايلوين قليلاً ، ثم قالت :

— لم يكن الطريف دائماً ما يقوله ، ولكن طريقته في القول . هل تفهمين ؟
— هل تحدثت عنه للو ؟ أعني هل حدث لك ذلك ؟

قالت ايلوين :

— اوه ، لقد بدأت ذات مرة . ولكن أول ما سألتني عنه هو رتبته العسكرية .
— وماذا كانت رتبته ؟

قالت ايلوين :

— باء !

— لا ، أريد فقط أن أقول . . .

وانفجرت ايلوين فجأة بضحكة من الحنجرة .

— هل تدريين ماذا قال ذات يوم ؟ قال أنه يشعر كل الشعور بأنه يتقدم في
الجيش . ولكن في اتجاه مختلف عن كل الآخرين . قال أنه سيطلب ، في أول

ترقية له ازالة الاكام ، بدلا من وضع الشارات . قال بأنه عندما يصبح جنرالاً سيكون عارياً تماماً . وكل ما سيلبسه حينئذ زر صغير من أزرار فوقة المشاة ، يشبه على مرته ..

ونظرت ايلويز الى ماري جين التي لم تكن تضحك :

— ألا ترين ذلك غريباً ؟

— بلى ، ولكن لماذا لا تتحدثين عنه الى « لو » من حين لآخر .

قالت ايلويز :

— لماذا ؟ لأنه بليد الى حد لا يطاق . هذا هو السبب . ومن جهة أخرى ، اصفي الي جيداً ، يا بنت الحلال اذا ما تزوجت من جديد فحذار أن تتلفظي بشيء امام زوجك . أسمعيني ؟

قالت ماري جين :

— لماذا ؟

قالت ايلويز :

— لايني أقول لك ذلك ، هذا هو السبب . ان ما يريدونه هو أن يعتقدوا بأنك تقضين حياتك بالتقيؤ في كل مرة يقترب فيها شاب منك . إني لا اهزل ، صدقيني .

— أوه ! تستطيعين ان تخترعي لهم ما تشائين من القصص ، ولكن لا تتكلمي ابداً بصدق ، ذاك هو رأيي . لا تقولي الصدق ابداً . اذا دويت لهم بأنك عرفت ذات يوم شاباً وسيماً ، فيجب أن تضيفي قبل ان تلتقطي انقاسك بأن جماله كان أكثر مما ينبغي . واذا ما سردت على مسامعهم بأنك عرفت شاباً ذكياً ، فحينئذ يجب أن تذكري بأنه كان من ذلك الضرب من السادة الذين يعرفون كل شيء أو انه ما كبر كبير . والا فانهم سيلقون بالصبي المسكين على رأسك في كل فرصة تسنح لهم .

وتوقفت ايلوين ، وتناولت جرعة من كأسها كمن يفكر ، ثم قالت :
- أوه . سيصفونك اليك بانتباه زائد . وكل شيء ... سيتخذون هيئة
القام اللبيب . ولكن لا يفرنك ذلك . صدقيني ، ستقاسين الف عذاب اذا وثقت .
ولو قليلا بفهمهم وادراكهم . تقي بكلامي .

ورفعت ماري جين ذقتها من على مسند الاريكة تعلوها سحابة من
الكآبة ، وأسندتها على ذراعها ، وراحت تفكر في نصيحة ايلوين ، ثم استطردت
بصوت مرتفع :

- لا يمكنك ان تسمي « لو » غيبا .

- ولم لا ؟

قالت ماري جين بلهجة ساذجة :
- إنه رجل ذكي . أليس كذلك ؟

قالت ايلوين :

- أوه ، ماذا يجدي الحديث ؟ دعيك من ذلك . أراني أخيب ظنك في كل
ما اقوله الآن . فدعيني اسكت .

قالت ماري جين :

- اصفي الي ، لماذا تزوجته اذا ؟

- أوه ، يا الهي ! لا ادري . لقد قال لي بأنه يعبد جين اوستن ، ثم راح
يشرح لي اية مكانة كبرى تحتل كتب هذه المؤلفة في نفسه . هذا ما كان يقوله
بالضبط لقد اكتشفت بعد زواجنا أنه لم يقرأ قط أيا من كتبها . هل تعرفين من
هو أدبيه المفضل .

وهزت ماري جين رأسها :

ل . مانينغ فاينز . هل سمعت به ؟

لا .

وانا كذلك . لا أعتقد ان احداً سمع به قط .

لقد كتب كتاباً عن أربعة رجال ماتوا من الجوع في آلاسكا . لم يعد «لوه» يتذكر العنوان ، ولكنه يصر مع ذلك على أنه اروع كتاب قرأه في حياته . يا الهي ! ليس عنده من الشرف ما يجعله يقول بصراحة بأنه احب هذا الكتاب لأنه يحكي قصة أربعة اشخاص ماتوا من الجوع في جزيرة .. أو شيء من هذا القبيل . ولم يستطع أن يقول الا أنه رائع الاسلوب .

قالت ماري جين :

— انك تبالغين في النقد ، أوكد لك ذلك ، انك تمضين وقتك في البحث عن النقائص . وما أدراك أن الكتاب كان جيداً مع ذلك !

قالت ايلويز :

— صدقيني ، لا يمكن ان يكون كذلك .

وفكرت لحظة ، ثم قالت :

— انت على الأقل تعلمين ، أتفهمين ؟ على الأقل ...

قالت ماري جين :

— اصفي لي ، الا يخطر لك بأنك ستقولين له يوماً ما على الأقل بأن وولت قد قتل ؟ اعني انه لن يكون غيوراً ، لا ، اذا ما عرف بأن وولت قد ... انت تعرفين .. قتل ..

قالت ايلويز :

— أوه . ما أروعك ! أيتها الفتاة ، العاملة ، المسكينة . سيكون ذلك أشد ايلاماً له . سينقلب الى عفريت . اسمعي جيداً . كل ما يعرفه هو اني عاشرت شخصاً اسمه وولت .. جندي عادي يجيد النكتة . ان آخر ما يخطر في بالي أن افعله هو أن أقول له بأنه قتل . ان ذلك آخر شيء ! واذا ما فعلته — ولن

افعله - ، ولكن اذا ما فعلته ليكون كل شيء كاملا ، فاسأل له بأنه قتل اثناء المعركة .

ودفعت ماري جين ذقنها قليلا الى الامام على ذراعها وقالت :

- ايل ..

- نعم ؟

- لماذا لا تريدن أن تقولي لي كيف قُتل ؟ أقسم لك بأنني لن أكرر ذلك لأي انسان . أرجوك .

- لا .

- أرجوك . أقسم لك . لن أعيد ذلك لأحد .

وأفرغت ايلويز كأسها . واعادته فارغا فوق صدرها ، وقالت :

- ستذكرين ذلك أمام آكيم تاميروف .

- لا ، اؤكد لك . لن أتكلم عنه بصورة خاصة امام ...

قالت ايلويز :

- اوه ، كانت فرقته قد عسكرت في مكان ما ، بين عمليتين حربيتين ، لو شيء من هذا القبيل .. هذا ما قاله لي زميله الذي روى لي الحادث . كانت وولت وشاب آخر يلفان مدفأة صغيرة يابانية ، كان كولونيل يريد ارسالها الى منزله ، لو انها كانا يحلان الغلاف ليغلفاها من جديد ، لم اعد اذكر بالضبط . كل ما كان هنالك هو انها كانت ملأى بالبزير والخيوط . وانها انفجرت في وجهيهما ، لقد فقد الشاب الثاني احدى عينيه ...

وراحت ايلويز تبكي ، وهي تضع احدى يديها حول كأسها الفارغة لتثبتها على صدرها .

وانزلت ماري جين من على الارصفة ، وجرت نفسها على ركبتها عدة خطوات نحو ايلويز ، وراحت تمرر يدها على شعرها .

- لا تبكي ، ايل ، لا تبكي .

قالت ايلوين :

- من الذي يبكي ؟

- أعرف ، ولكن لا تبكي ؛ اني اؤكد لك بأن ذلك لن يغير من الأمر شيئاً .
وفتح باب المدخل .

قالت ايلوين وهي تشخر :

- إنها رامونا . لقد عادت . أرجوك ، قدمي لي هذه الخدمة . اذهبي الى
المطبخ ، واطلبي من يوجد فيه ان يعيشها دوننا إبطاء .
- أوافق . اذا وعدتني بالكف عن البكاء .
- أعدك بذلك . اذهبي ليست بي رغبة الآن للذهاب الى هذا المطبخ اللعين .
ونهضت ماري جين وهي تترنح ؛ ثم لم تلبث ان وجدت توازنها ، وغادرت
الغرفة .

وبعد دقيقتين .. كانت عائدة . وكانت رامونا تهرب امامها . كانت رامونا
تركض ورجلاها مسطحتان تماماً لتحدث اكبر قدر من الضوضاء . بجذائها المطاط ،
المفكك الأزرار .

قالت ماري جين :

- انها لا تريد ان اخلع لها حذاءها المطاط .

كانت ايلوين التي ما برحت ممددة على ظهرها فوق الأرض ، تتمخط ، ومن
خلال منديلها راحت تخاطب رامونا .
- اخرجي من هنا ؛ واطلبي من غراس أن قترع لك حذاءك المطاط . انت
تعرفين بأنه ممنوع أن تدخلني الى ...

قالت رامونا :

- انها في بيت الحلاء .

ونحنت ايلويز منديلها ، ورفعت ظهرها استعداداً للجلوس ، وقالت :
- هاتي قدمك . اجلسي أولاً من فضلك . لا ، ليس هنا ... يا إلهي !
كانت ماري جين تبحث عن علبة سجائرنا تحت المنضدة ، وهي تجلس
للقرفصاء . قالت :

- هيه : احزري ما جرى لجيمي .
- ليس عندي أية فكرة . هاتي القدم الأخرى . لا ، القدم الأخرى .

قالت ماري جين :
- لقد دهس ، ألا تعدين ذلك مأساة ؟

قالت رامونا لايويز :
- لقد رأيت سكيبر يحمل عظماً .

وسألت ايلويز :
- ماذا حدث لجيمي ؟
- لقد دهس ، ومات . رأيت سكيبر يحمل عظماً ولم يقبل أن ...

قالت ايلويز :
- أريني جبينك لحظة .

ومدت يدها ، وجست جبين رامونا .
- يبدو أنك محومة قليلاً . اذهبي وقولي لغراس أن تمد لك عشاءك في
الطابق الأعلى ، وبعد ذلك ، تنامين فوراً . وسأصعد بعد قليل . اذهبي الآن
من فضلك ، واحلي معك حذاءك المطاط .

وخرجت رامونا من الغرفة بخطى كبيرة بطيئة قالت ايلويز لماري جين :
- أعطني واحدة منها . سنأخذ كأساً أخرى . وقدمت ماري جين سيجارة
لايلويز .

- انها لشيء مذهل ، مع ذلك ، قصة جيمي هذا ! يا للسخيفة !

- مم ! ستهبين لاحضار شيء للشرب ، اليس كذلك ؟ أحضري معك الزجاجة ... لا أريد ان اذهب الى هناك . كل هذا المنزل اللعين .. كله تفوح منه رائحة البرتقال .

ما كادت الساعة تتخطى الساعة السابعة بعدة دقائق حتى رن جرس الهاتف . ونهضت ايلويز من المقعد ، امام النافذة ، وراحت تتلمس حذاءها في العتمة ، فلم تستطع أن تعثر عليه ؛ ثم ذهبت الى الهاتف . بخطى هادئة ، مترنحة ، وهي تمشي بجورها .

لم يزعج الجرس ماري جين التي كانت تنام منبطحة على بطنها فوق الأريكة . قالت ايلويز دون أن تنير الغرفة :

- هالو ، لا أستطيع الحضور لا يصلك الى البيت . هنا ماري جين وقد صفت سيارتها أمام باب المنزل غاماً ، وفقدت مفتاحها . لا أستطيع الخروج . لقد امضينا عشرين دقيقة . ونحن نبحث في - ماذا يسمى ؟ - الثلج ، وكل هذه التركيبة ... ربما استطعت ان تطلب من ديك ايصالك . (وأصغت) . أوه ، حسناً ، هذا مزعج يا بطي . اصغ الي ، لماذا لا تُولفون ، انتم الرجال ، مفرزة ، وتعودون مصطفىين اثنين اثنين .. يمكنكم ان ترددوا هذه اللازمة . واحد ، اثنين ، بين ، يسار ... ستحدثون تأثيراً عظيماً ...

وأصغت من جديد .. ثم تابعت :

- لست غريبة ، على الاطلاق ،ؤكد لك . انها مجرد فكرة ، وعلقت الساعة .

وعادت بخطى اقل ثباتاً الى غرفة الجلوس . وعلى المقعد ، امام النافذة ،
سكنت في كأسها ما تبقى في زجاجة السكوتش ؛ وكان لا يكاد يتجاوز الإصبع ،
فشربته وهي ترتعش .. ثم جلست .

وعندما اضاءت غراس غرفة الطعام انتفضت ايلوين ، وصاحت دون ان
تنهض :

— ليس من الضروري ترتيب المائدة قبل الساعة الثامنة . سيتأخر السيد وينجار
قليلاً .

وبرزت غراس في ضوء غرفة الطعام ، ولكنها لم تتقدم ، وقالت :

— هل ذهبت السيدة ؟

— انها تستريح .

قالت غراس :

— اوه ، سيدة وينجار ؟ كنت تسأل فيها اذا كنت توافقين على أن يمضي
زوجي السهرة هنا ، في غرفتي متسع من المكان . وهو بدوره ليس مضطراً للعودة
الى نيويورك قبل صباح الغد .

إن الجواب بالغ الرداءة في الخارج .

— زوجك ؟ أين هو ؟

— إنه الآن في المطبخ .

— حسناً يا غراس ، أخشى ألا يستطيع تمضية الليل هنا .

— سيدتي !

— أقول ، أخشى الا يستطيع تمضية الليلة . تعرفين اني لا أدير فندقاً هنا .

وظللت غراس واقفة فترة دون حراك . ثم قالت :

— نعم ، سيدتي .

وعادت الى المطبخ .

تركت ايلويز غرفة الجلوس ، وصعدت الدرج على ضوء خافت ينبعث من حجرة الطعام .

كانت فردة حذاء رامونا المطاط ملقاة على قرص الدرج ، فالتقطتها ، والقت بها بكل قوتها من فوق الدرابزون ، فتدحرجت بقوة على أرض الطابق الأرضي . ثم اشعلت نور غرفة رامونا ، وتركت يدها على الزر ومكثت بعض الوقت هادئة وهي تنظر الى رامونا . ثم تركت الزر ، ومشت نحو السرير في خطوات سريعة .

— استيقظي ، رامونا ، استيقظي .

كانت رامونا توقد بطمأنينة على حافة السرير وردفها الايمن خارج السرير ، وكانت نظارتها مطبقتين بعناية على منضدة نوم صغيرة . وزجاجها الى الأعلى . وكانت المنضدة مزينة بصورة لدونا لدوك .

— رامونا !

واستيقظت الفتاة ، وهي تتنفس بسرعة ، وفتحت عينيها بقوة ، ثم اغمضتها على الفور .

— ماما ؟

— خيل الي بأنك قلت لي إن جيمي جيميرينو قد دُهِس ، ومات ...

— ماذا ؟

قالت ايلويز :

— لقد سمعتي جيداً . لماذا تنامين هكذا على حافة السرير ؟

قالت رامونا :

— لأن ...

— لأن ماذا يا رامونا ؟ ليست بي رغبة ا ...

— لأنني لا أريد أن أؤذي ميكى .

— من ؟

قالت رامونا وهي تفرك انفها :

— ميكي ، ميكي ميكيرانو .

وراحت ايلويز تصيح :

— عودي الى وسط السرير ، هيا !

وسيطر على رامونا الذعر ، ولم تفعل شيئاً سوى ان تحديق في امها .

— جيد !

أمسكت ايلويز برسفي قدم رامونا ، وأعادتها الى وسط السرير بحركة

جبر ورفع .

لم تقاوم رامونا ولم تبك . بل تركت امها تفعل ما تريد دون حراك ،

ولكن دون أن تدعن .

ورددت ايلويز بصوت متهدج :

— ستنامين الآن . اغمضي عينيك . أتسمعيني ؟ اغمضي عينيك .

وأغمضت رامونا عينيها .

ومشت ايلويز نحو زر النور ، واطفاؤه ، ومكثت فترة طويلة على عتبة

الباب ، ثم هرولت فجأة في العتمة نحو منضدة الليل ، واصطدمت ركبتيها بخشب

السرير ، ولكنها كانت في شغل عن أن تشعر بالألم . وأمسكت بنظارتي رامونا

بكلتا يديها ، وضمتها الى خدها .

كانت الدموع تسيل على وجهها ، وتبلل زجاج النظارة .

وراحت تردد :

« مسكين العم المعجوز المروض ... مسكين العم المعجوز المروض . »

وأخيراً ، أعادت النظارة الى مكانها فوق المنضدة ، والزجاج الى الأسفل ،

والنحت وقد اضاعت توازنها ، وراحت تتلمس اغطية السرير .

لم تكن رامونا قد اغفت . كانت تبكي منذ فترة ؛ فقبلتها ايلوين برفق من فمها
وازاحت شعرها من على عينيها ، ثم غادرت الغرفة .

وهبطت هذه المرة وهي تترنح بشكل واضح ، وايقظت ماري جين .

قالت ماري جين وهي تنتصب فجأة فوق الأريكة :

— ماذا هنا ؟ من هنا ؟ هوه !

قالت ايلوين وهي تنتحب :

— أصغي الي يا ماري جين . أرجوك . هل تذكرين المرة الاولى في المدرسة ،

عندما كنت ارتدي الثوب الكستنائي والأصفر الذي اشتريته من عند بواز ،

والذي قالت عنه ميريام بول بأنه ما من أحد يرتدي هذا النوع من الألبسة في

نيويورك ؟ وبكيت اثر ذلك طوال الليل ...

وهزت ايلوين ذراع ماري جين ، وراحت تتكلم بلهجة دفاع :

— كنت فتاة لطيفة آنذاك ...

أليس كذلك ؟

عَشِيَّةُ الْحَرْبِ مَعَ الْأَسْكِمُو

كانت خمسة اسابيع قد مضت تباعاً منذ ان بدأت جيني مانوكس تلعب التنس في الجانب الشرقي مع سيلينا غراف ، احدى زميلاتها في صف الانسة باسيهار .

ولم تكن جيني لتخفي عن نفسها بأنها ترى في سيلينا أجمل طالبة كسولة في صف الانسة باسيهار . وهو صف يبع على كل حال بالطالبات الكسولات الجميلات . ولكن من ناحية اخرى ، لم تكن هناك اية واحدة منهن تستطيع أن تخسر هذا العدد كله من طابات التنس الجديدة كسيلينا .

كان والدها يصنع طابات التنس ، او شيئاً من هذا القبيل .

و ذات يوم ، عند العشاء ، ارادت جيني ان تصور لاهلها كيف يكون العشاء الفاخر عند آل غراف :

يمثل خادم بيزة رسمية ، ويقرب من يسار كل ضيف ، ويقدم له ، بدلاً من عصير البندورة ، علبة طابات تنس .

ولكن ما حدث هو ان هذه العادة الصغيرة وهي تتلخص في ايصال سيلينا الى منزلها بالتاكسي ، بعد لعبة التنس ، واضطرارها في كل مرة الى دفع الحساب وحدها .. هذه العادة بدأت تثير أعصاب جيني . لا سيما ان سيلينا هي التي اقترحت العودة ، بعد لعب التنس ، بالتاكسي بدلاً من الاوتوبوس .

وما ان بدأت السيارة تصعد شارع يورك ، في يوم السبت الخامس ، حتى انفجرت جيني فجأة :

- هيه ، سيلينا .

- ماذا ؟

كانت سيلينا منهمكة في امرار يدها على السجادة التي تفرش أرض التاكسي .

ومهمت شاكية :

— يبدو اني أضعت جعبة مضربي .

كانت الفتاتان ، بالرغم من حرارة هذا اليوم من ايار ، ترتديان معطفا فوق بنطاليهما القصيرين .

قالت جيني :

— لقد وضعتها في جيبيك . اصفي الي قليلا . . .

— أوه يا الهي ! لقد انقذت حياتي .

ولم يكن عرفان سيلينا لهذا الجليل لهم جيني في كثير أو قليل . فقالت لها :

— اصفي الي .

— ماذا ؟

وقررت جيني ان تتكلم بصراحة ، من دون لف او دوران .

كان التاكسي يقترب من الشارع الذي يقع فيه بيت سيلينا .

قالت :

— ليست بي رغبة اليوم في أن التحمل وحدي أجرة التاكسي مرة أخرى .
لست مليونيرة كما تعرفين .

وبدت على سيلينا الدهشة في البدء ، ثم ما لبثت أن أجابت ببراعة وهي بمتعة :

— ألا أدفع دائما النصف ؟

قالت جيني بصوت واضح :

— لا ، لقد دفعت النصف اول سبت فقط ، في منتصف الشهر السابق .
ومنذ ذلك الحين لم تعودني الى ذلك . لا أريد ان أكون شحيحة ، ولكن ذلك

صحيح . علي ان اتدبر امري بالدولارات الاربعة والنصف في الاسبوع . . .
وبالاضافة علي ...

وسألت سيلينا يحفاف :
- ألا احضر أنا بدوري طابات التنس دائماً ؟ وكانت لحظات ودت فيها جيني
من كل قلبها لو تخنقها .. قالت :
- ان والدك يصنعها .. أو شيء من هذا القبيل . انها لا تكلفك قرشاً واحداً
أما انا فاني أدفع كل شيء من دراهمي الخاصة .

قالت سيلينا بلهجة متعالية قاطعة ، لتكون لها الكلمة الأخيرة :
- حسناً ، حسناً .

وبهيئة ممتعة راحت تبحث في جيوب معطفها ، ثم استطردت يحفاف :
- ليس معي الا خمسة وثلانون سنتاً الآن . الا يكفي ؟
- آسفة ، لا ؛ أنت مدينة لي بدولار وخسة وستين سنتاً . لقد سجلت كل ..
- أراني مضطرة للصعود الى الاعلى ، وطلب الدرام من امي . الا تستطيعين
الانتظار حتى يوم الاثنين ؟ سأحضرها لك في حصة الرياضة ، اذا كان ذلك
يسرك .

وكانت لهجة سيلينا لا تنم أبداً عن الرضا والسعي للمصالحة فقالت جيني .
- لا . علي ان أذهب الى السينما هذا المساء . إني بحاجة اليها .
ولبثت الفتاتان غارقتين في صمت مشوب بالعداء حتى وصول التاكسي الى
البنابة التي تقطن فيها سيلينا .
كانت عينا كل منهما مثبتتين على نافذة السيارة التي تجاورها .

ونزلت سيلينا التي كانت تجلس الى جهة الرصيف اولاً ، وتركزت باب البنابة
الخارجي مفتوحاً بعض الشيء ، ودلفت الى البناء بخطوات حثيثة ، وهيئة شاردة
كاحدى ملكات هوليوود .

أما جيني التي احتقن وجهها بالغضب فقد دفعت الاجرة ، ثم جمعت أدوات التنس « المضرب ، المذشقة ، القبعة » ولحقت بسيلينا .
كانت جيني في الخامسة عشر يبلغ طولها ١٧٥ ستمتراً وهي تحتذي حذاء التنس ، (مقاس ٤٠) .

وكان شعورها ، وهي تدلف الى مدخل البناية ، يهبطها الحشنة ، وحذاءها المطاط ، أن منظرها أقرب ما يكون الى منظر الدب .

ورأت سيلينا أن تثبت بصرها في الساعة المعلقة على جدار المصعد .

قالت جيني ، وهي تتبعه نحوها بخطى واسعة :

— لقد أصبحت مدينة لي الآن بدولار وتسعين سنتاً .

والتفتت سيلينا قائلة :

— ألا يملك ان تعلمي بأن والدتي مريضة جداً ؟

— وماذا بها ؟

— انها على وشك ان تصاب بذات الرئة . وهل تعتقدين بأنه يسرني ان أزعجها بموضوع يمكنه الانتظار كموضوع الدرام ؟

وجهت سيلينا عبارتها البتراء بكل ما تستطيع من رباطة الجأش ؛ وبدأت على جيني في الواقع شيء من الحيرة نتيجة لهذا النبا ، سواء أكان صادقاً ام كاذباً ! ولكن ذلك لم يبلغ الحد الذي يجعلها تلين .

قالت :

— ليست هي التي أقرضتها الدرام .

ولحقت بسيلينا داخل المصعد .

وعندما قوعت سيلينا جرس الباب ، أدخلت الفتاتان الى المنزل — او على

الأصح - فتح الباب من قبل خادمة زنجية وترك نصف مفتوح، ولم توجه سيلينا أية كلمة للخادمة . وتركت جيني اغراضها على كرسي عند المدخل وتبعته سيلينا .

وفي الصالة التفتت سيلينا ، وقالت :

- هيه ! ألا تودين الانتظار هنا ؟ قد أضطر الى ايقاظ والدتي و ...

قالت جيني :

- لا بأس .

واستلقت على أريكة .

- لم يدر في خلدي قط أنك خسيصة الى هذا الحد .

قالت سيلينا ذلك ، وقد بلغ بها الغضب حداً جعلها تستعمل كلمة خسيصة ، ولكن لم تكن لديها الجرأة لتقولها بصوت مرتفع .

قالت جيني :

- انت الآن على علم بذلك .

وفتحت عدداً من مجلة « فوغ » امام عينيها ، وأبقت وجهها مختفياً وراءه ، حتى غادرت سيلينا الغرفة ثم أعادت المجلة الى ظهر المدياع .

وفحصت الغرفة ، ثم أعادت ترتيبها في مخيلتها ، وهي تحذف الشمعدانات ، وتنقل الازهار الصناعية من مكان الى آخر . وكانت الصالة - في رأيها - بشعة ، مقرقة الى حد لا يوصف .

وفجأة ، رن صوت 'وجل' في الطرف الآخر من المنزل :

- أهذا انت يا أريك ؟

وحزرت جيني بأنه أخو سيلينا الذي لم يسبق لها ان رآته قط ، فوضعت رجلها الواحدة فوق الأخرى ، وردت أطراف معطفها فوق ركبتها ، ومكنت

تنتظر .

وسرعان ما برز في الغرفة شاب له نظارتان ، يرتدي بيجامة ، عاري القدمين ،
فاغر الغم ، وقال :

— أوه ، يا إلهي ، ظننت أنه أريك 1 .

ودون أن يتوقف ، اجتاز الصالة كلها بتلك الهيبة ، وهو يضم إلى صدره
الضيق شيئاً ما ، وجلس في الطرف الآخر من الأريكة ، وقال بلمحة حائقة :

— لقد جرححت إصبعي منذ لحظات .

ونظر إلى جيني كأنما كان يتوقع أن يراها جالسة إلى جانبه ، وسألها :

— ألم يحدث لك أن جرححت إصبعك جرحاً بالغاً حتى العظم ؟

كان في صوته الصارخ ما يشبه النداء ، كما لو أن جيني متوفر عليه — لو هي
أجابته — كل الجهد الذي ينبغي أن يقوم به لاذابة الجليد بينها .

كانت جيني تنظر إليه بعينين واسعتين . ولم تلبث أن قالت :

— لقد وقع لي ذلك فعلاً ، ولكنني لم أجرح تماماً حتى العظم .

لقد كان أغرب صبي ، أو رجل ، — يصعب تحديد ذلك — رأته عيناها .

كان يستدل من شعره بأنه خارج لتوه من السرير . أما لحيته الشقراء المبعثرة
فيرجع تاريخها إلى يومين على أقل تقدير .

كان كل ما فيه يوحي بأنه إنسان عبيط .

وسألته جيني :

— وكيف جرححت يدك ؟

وراح يتأمل إصبعه الجريح فاغر الغم ، متهدل الشفتين ، ثم قتم :

— ماذا ؟

— كيف جرحت يدك ؟
وأجاب بلهجة يفهم منها بأن جواب هذا السؤال سيبقى غامضاً الى الأبد :
— وما أدراني . كنت أبحث عن شيء في سلة الاوراق هذه ، وكانت ملأى
بشفرات الخلاقة .

واستطردت جيني :

— أنت شقيق سيلينا ، أليس كذلك ؟
— نعم ، يا إلهي ، إنها تنزف بصورة مخيفة ! ابقِ مكانك ، قد احتاج الى
عملية نقل دم قذرة ؛ من يدري ؟
— هل وضعت شيئاً ما عليها ؟
وازاح شقيق سيلينا إصبعه الجريح ببطء عن صدره ، ورفعها لتراها جيني .
— لا ، لم أضع عليها غير قطعة الورق اللعينة هذه ، كما افعل عندما تجرح
ذقني أثناء الخلاقة .

ونظر الى جيني من جديد ، وسألها :

— ومن انت ؟ صديقة « المصروعة » ؟
— انا وهي في صف واحد .
— آه ، نعم ، وما اسمك ؟
— فيرجينيا مانوكس .
قال وهو يحدق فيها من خلال نظارتيه :
— انت اذاً جيني ؟ انت فيرجينيا مانوكس ؟
قالت جيني :

— نعم .

وأزلت ساقها عن الساق الأخرى ، وحول اخو سيلينا عينيه الى إصبعه التي

كانت بالنسبة اليه مركز الاهتمام الوحيد ، على ما يبدو ، في الحجرة كلها .

قال بلمجة لا مبالية .

— انا أعرف سقيقتك . انها مغرورة كبيرة .

واعتدلت جيني في جلستها .

— من ؟

— لقد سمعتني جيداً .

— انها ليست كما تقول .

قال أخو سيلينا :

— ليأخذني الشيطان إن لم تكن كذلك .

— لا . إنها ليست كذلك !

— ليأخذني الشيطان إن لم تكن كذلك . إنها الملكة ، ملكة رابطة المتعجرفات .

ونظرت اليه جيني وهو يرفع قطعة الورق من على إصبعه ، ويلقي نظرة الى ما تحتها .

— انك لم تر أخوتي قط .

— ليأخذني الشيطان إن لم اكن رأيتهما .

وسألت جيني :

— ما اسمها ؟ ما اسمها الأول ؟

— جون .. جون المنغطرس .

وصمتت جيني فترة ، ثم سألت فجأة :

— وكيف هي ؟

ولما لم تحظ بجواب أردفت :

— كيف شكلها ؟

قال اخو سيلينا :

— لو كانت على نصف الجمال الذي تظن انها تتمتع به لكانت محظوظة جداً .
وشعرت جيني بأن الجواب على غاية من الحذق ، ولكنها لم تعقب عليه بشيء .
واستطردت بعد ذلك :

— لم اسمعها قط تتحدث عنك .

— إن ذلك يحز في قلبي .. يحز في قلبي ، لا تدرين الى أي حد ..
قالت جيني وهي تلاحظه بانتباه .

— انها مخطوبة على كل حال ، وستتزوج خلال الشهر القادم .
فبادرها وهو يرفع عينيه :

— بمن ؟

واستغلت جيني الفرصة التي قدمها لها وهو ينظر اليها :
— لا يعني اسمه شيئاً بالنسبة لك .

وعاد يهبت بضاده الهزيل ، ثم قال :

— اني أرثي له .

وانفجرت جيني في قهقهة عالية .

— ان الدم ما يزال يتدفق منه . هل تعتقدين بان علي ان اضع شيئاً ما
فوقه ؟ ماذا يوضع على الجرح عادة ؟ مركورو كروم ؟

قالت جيني :

— في هذه الحالة 'تفضل' صبغة اليود .

ثم أحسست ان جوابها كان على غاية من التهذيب اذا ما قورن بالجواب العام
المحيط بها ، فأردفت :

- لا علاقة للمركوروكروم بما تشكو منه .
 - ولم لا ؟ ما هو وجه اعتراضك عليه ؟
 - ليس له صلة بشكلك . هذا كل شيء . إن ما تحتاجه هو صبغة اليود .
 ونظر الى جيني ، ثم سألها :
 - أليس هو ذلك الدواء الذي يؤلم ؟ أليس هو الذي يخز كالشيطان ؟
 قالت جيني :
 - نعم انه يؤلمك . ولكنك لن تموت من جرّائه .
 وأعاد شقيق سيلينا بصره الى اصبعه دون ان يبدو عليه أنه اغتاض من لهجة
 جيني ، وقال :
 - لا أحبه .
 - لا أحد يحبه .
 ووافق بهزة من ذقنه . ثم استطرد :
 - نعم ، أعرف ذلك .
 وراحت جيني تراقبه بصمت ، ثم أردفت فجأة :
 - توقف عن العبث به .

وسحب شقيق سيلينا يده بقوة عن الجرح كمن مسته شحنة كهربائية ، واعتدل
 في جلسته ، او على الاصح ، بذل جهده لئلا يبدو بمظهر الضعف الكامل . وراح
 يتحدث في طرف الحجرة الآخر ، وقد علا قسماته غير المتناسقة تعبير حالم .
 وأدخل ظفر سبابته السليمة بين اثنتين من اسنانه ، وقذف بقايا طعام ، وهولتفت
 نحو جيني ، وابتدرها سائلا :

- هل أكلت ؟

- ماذا ؟

— هل تغذيت ؟

وهزت جيني رأسها قائلة :

— سأتناول غذائي عندما اعود الى المنزل ، لأن والدتي تترك لي طعامي

جاهزاً حتى عودتي .

— في غرفتي نصف شطيرة بلحم الدجاج . هل ترغبين فيها ؟ أوكد لك انني لم

أمسها .. وأن ...

— لا ، شكراً .

— يا آلهي . انك تعودين للتو من لعب التنس ، لا بد انك جائعة الى حد

قالت جيني :

— ليس ذلك هو السبب . انه بالأحرى مجاملة لوالدتي التي تترك لي الغذاء

ساخناً حتى عودتي . انها تمرض اذا لم أصب منه شيئاً . هل تفهم ذلك ؟

وبدا على شقيق سيلينا انه يقدر ذلك . لقد هز رأسه على الأقل ، وحول

بصره الى مكان آخر ، ولكن لم يلبث ان التفت على الفور قائلاً :

— ما رأيك بقدح من الحليب ؟

— لا ، شكراً ، شكراً .. أوكد لك ..

وانحنى بجرعة آلية ، وراح يحك كعبه للعاري ، ثم سأل :

— ما اسم الشخص الذي ستزوجه ؟

قالت جيني :

— أتتكلم عن جون ؟ اسمه ديك هفتر .

واستمر شقيق سيلينا في حك كعبه .

قالت جيني :

— انه ملازم في البحرية .

— يا للمصيبة !

وضحكك جيني ببلاهة، وتركته يحك كعبه حتى أصبح أحمر اللون. وعندما بدأ يحك بطرف ظفره 'دملة' صغيرة على ريلة ساقه حولت الفتاة طرفها وسألته :

- كيف تعرفت الى جون؟ أليس غريباً اني لم ألتق بك عندنا في المنزل قط؟
- لم اضع قدمي قط في حظيرتك ! ..

وانتظرت جيني .

ولما لم يتبع اعترافه هذا بشيء آخر سألت :

- اين تعرفت عليها اذا؟

- في حفلة .

- في حفلة ؟ متى ؟

- لم أعد اذكر . أفتناء عيد الميلاد ١٩٤٢ .

وسحب بإصبعيه سيجارة من الجيب العلوي لقميص بيجامته ، كان شكل السيجارة ينسب بصورة واضحة أنه قد نام فوقها . قال :

- أعطيني علبة الثقاب ، من فضلك .

وتناولت جيني علبة ثقاب من على المنضدة المجاورة ، وقدمتها له .

ودون ان يلتفت أشعل سيجارته ، ثم أعاد عود الثقاب المنطفيء الى العلبة ، وألقى برأسه الى الوراء ، ثم نفث من فمه ببطء نفثة هائلة من الدخان ، ما لبث أن استعادها بمنخريه ، واستمر يدخن على هذا النحو « على الطريقة الفرنسية » .

لم يكن وضعه على الأريكة دوراً يمثل في رواية صغيرة بكل تأكيد ، ولكنه كان على الأصح يشبه تجربة شخصية لشاب خطر له ذات يوم أن يخلق ذقنه بيده اليسرى ، أمام الجمهور .

وسألت جيني :

- لماذا تطلق على جون اسم المتعجرفة ؟
- لماذا ؟ لأنها كذلك . ليأخذني الشيطان إن كنت أعرف لماذا ؟
- لا . أريد أن أقول : لماذا تسميها متعجرفة ؟
- والتفت نحوها بهيئة متعبة .
- اصغي إلي . لقد كتبت لها ثمانين رسالة لعينة ، ثمان ، لم تجب على أية واحدة منها .
- وترددت جيني :
- ربما كانت مشغولة .
- نعم ، صحيح ذلك . مشغولة ، نعم كما تشغل الحيوانات اللعينة التي تنام طول الشتاء .
- قالت جيني :
- لماذا تشتم على هذا الشكل ؟
- ... صحيح أنني أتكلم بصورة زرية .
- وضحكت جيني ضحكة مقتضبة .
- دعنا من ذلك . منذ متى تعرفها ؟
- منذ أمد بعيد على كل حال .
- نعم ، ولكنني أريد أن أقول : هل اتصلت بها هاتفياً ، أو قمت بشيء من هذا القبيل ؟ أعني هل تكلمت معها بالهاتف أو ...
- لا .
- إذاً يا الهي ، ماذا تريد منها أن تفعل إذا كنت لم تتصل بها قط بالهاتف ؟
- لم أكن أستطيع ، يا الهي !
- قالت جيني :
- لماذا ؟
- لأنني لم أكن موجوداً في نيويورك !

— أوه ! وابن كنت اذا ؟

— أنا ؟ في الأوهيو !

— أوه ! هل كنت تدرس ؟

— مطلقاً ، لقد تركت الدراسة .

— أوه ، هل كنت في الجيش ؟

— لا . أبداً .

وراح يدق على الحجة اليسرى من صدره بيده التي تحمل السيجارة . ثم استنلى

قائلاً :

— خافقي .

قالت جيني :

— قلبك ؟ ما بال قلبك ؟

— لا أدري ما به . لقد أصبت في طفولتي بحمى ذات منشأ روماتيزمي . ألم

لمين في ...

— ايه ، ألم يمنعوك من التدخين ؟ أعني ألا يحذر بك ان تتوقف عن التدخين

وعما يشابهه ؟ لقد سمعت الطبيب يقول ...

قال :

— ان الاطباء يرددون دائماً ثرثرة لا حصر لها .

وصمتت جيني لحظة ، لحظة قصيرة جداً ، ثم سألت :

— ماذا كنت تعمل في الأوهيو ؟

— أنا ؟ كنت اعمل في معمل قذر للطيران .

قالت جيني :

— انت ؟ وهل كنت مسروراً من عملك ؟

وردد وهو يقلدها :

— هل كنت مسروراً من عملك ؟ كنت أعبد هذا العمل . إني مغرم بالطيارات

حتى الجنون . انها لطيفة جداً .. الطيارات ..
كانت جيني منساقة في حديثها لدرجة يصعب معها ان تغتاض .
- وكم مكثت تعمل هناك ؟ أعني في معمل الطائرات ...
- لا أدري ، يا إلهي ، سبعة وثلاثون اسبوعاً ...
ونهض ، ثم توجه الى النافذة ، وراح يتأمل الشارع وهو يحك عموده الفقري
بإبهامه . ثم التفت الى جيني قائلاً :
- انظري اليوم .. الى هذا القطيع .. قطع من الاغبياء .
قالت جيني :
- من ؟
- لا أدري . كل الناس .
- اذا أبقيت إصبعك متجهة الى الأسفل على هذا النحو ، فسوف يزداد
تزييف الدم منها .
فانصاع لكانتها . واتكأ برجله اليسرى على حافة النافذة ، ووضع يده
الجريحة على فخذه بشكل افقي ، وواصل نظره الى الشارع . ثم اردف قائلاً :
- انهم يقفون في الصف ، امام هذا المركز اللعين للتجنيد . كلهم .. سننازل
الاسكيمو في المعركة القادمة . هل تعرفين ؟
قالت جيني :
من ؟
الأسكيمو ! يا إلهي ! افتحي أذنيك جيداً .
- ولماذا الأسكيمو ! بالذات ؟
- لا أدري لماذا ؟ وكيف تريدني أن أعرف يا إلهي ؟ سيحشدون هذه
المرّة جميع الحرفين ، الأزلام الذين يناهز عمرهم الستين ... كل ذلك لكي
تكون ساعات العمل اقل على ما أظن . هذا هو كل شيء ! إنها فكرة جهنمية ..
أليس كذلك ؟

قالت جيني دون أن تحمل شيئاً من سوء النية :
- "ومهما يكن ، فلن تكون مضطراً بهذه الشروط الى الالتحاق بهم .."
وأحسست قبل ان تنهي جملتها بأنها قد ارتكبت زلة .
قال بسرعة :
- أعرف ذلك .

وسحب قدمه من حافة النافذة ، وفتحها ، ثم القى بعقب سيجارته الى الشارع ، ثم استدار ، وجعل ظهره الى النافذة :
- هيه ! هل تريدان ان تؤدي لي خدمة بسيطة ؟ عندما يأتي أحد الى هنا قولي له بأنني سأكون مستعداً خلال ثائتين . لم يبق علي الا أن احلق ذفني .

هذا هو كل شيء . هل توافقين ؟
وهزت جيني رأسها موافقة .
- هل تريدان أن أطلب من سيلينا ان تسرع ؟ او شيئاً من هذا القبيل ؟ أها
علم بوجودك هنا ؟
قالت جيني :

- أوه ! إنها على علم بـوجودي . لست على عجلة من أمري . شكراً .
وهز شقيق سيلينا رأسه ، ثم امعن النظر للمرة الأخيرة في إصبعه الجريش ، كما لو انه يحاول التأكد من أنه في وضع يسمح له بقطع المسافة حتى غرفته .
- لماذا لا تضع له ضهاداً لاصقاً ؟ أليس عندك ضماد ، أو شيء من هذا القبيل ؟
قال :

- لا ، لا تهتمي بذلك .
وخرج من الغرفة وهو يحرق قدميه . وما هي الا ثوان معدودة حتى عاد وهو يحمل بيده قطعة الشطيرة . قال :
- كلي هذا .. انه شهبي .
- لا . لا استطيع فعلاً ..

- خذي هذا يا إلهي . لم أضع فيه السم ، أو ...
وتنازلت جيني قطعة الشطيرة منه ، وأردفت قائلة :
- شكراً .

وتريث ينظر إليها ، ثم قال :
- انه بلحم الدجاج . لقد اشتريته مساء البارحة من حانوت حقيير .
- يبدو أنه لذيذ جداً .
- لماذا لا تأكلينه إذا ؟
وأخذت جيني لقمة .
.. أليس للذيذ ؟ هيه !
وازدردت جيني اللقمة بصعوبة وقالت :
- لذيذ جداً .

وهز أخو سيلينا رأسه ، وأجال في الحجرة نظرة غائمة وهو يحك عظام صدره .

- حسناً ، أظن أنه يحذر بي الآن أن أذهب ، وارتدي ملابستي ... يا إلهي
الجرس يقرع ! لا تتحركي ! ابقِي مكانك ..
وابتعد ..

وما ان خلت جيني لنفسها حتى راحت تبحث فيما حولها ، دون ان تنهض ،
عن مكان تخفي فيه قطعة الشطيرة .

ثم تناهى الى سمعها صوت أقدام تجتاز الممر ، فдستها في جيب معطفها .
ودخل الغرفة رجل في الثلاثين ، متوسط القامة . كانت قسبات وجهه متناسقة
وشعره مقصوصاً . ولم تستطع ان تعرف شيئاً عن وضعه من تفصييلة بذلته ، أو

من لون ربطة عنقه ، ونقوشها . من يدري ؟ ربما كان أحد المحررين في مجلة من
المجلات الكبرى ، او انه يحاول أن يكون كذلك .

ربما كان ممثلاً في مسرحية تقدم على مسارح فيلادلفيا ..

ربما كان يدرس المحاماة ..

كل هذا جائز ..

ونوجه الى جيني بحفاوة قائلاً :

— مرحباً !

— مرحباً !

وسألها :

— هل رأيت فرانكلين ؟

— انه يخلق ذقنه . لقد سألتني ان أطاب اليك انتظاره . لن يتأخر اكثر من
دقيقة .

— أوه يا الهي ، انه يخلق .

ونظر الشاب الى ساعة في معصمه ، ثم جلس على اريكة من الديباج الأحمر ،
ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، وأمسك بوجهه بين يديه ، وإما لأنه كان
متعباً ، وإما لأن عينيه المرهقتين كانتا تؤلماناه .

وفرك اجفانه طويلاً بأطراف أصابعه ، ثم قال وهو يبعد يديه عن وجهه :

— لقد اجتزت منذ لحظات أقسى صباح في حياتي .

كان صوته ينبعث من الخنجرة فقط ، كما لو انه كان منهكاً الى حد لا يستطيع
معه استخدام رثتيه .

وسألت جيني ، وهي تنظر اليه :

— ماذا حدث لك ؟

— أوه ... انها قصة طويلة . لم أعود ازعاج الاشخاص الذين لا يعرفهم على
الأقل منذ عشرة قرون .

كان يحيل على النوافذ نظرات كثيفة غير محددة .

- على كل حال ، لم أعد ادعي على الإطلاق اني أعرف النفس البشرية ،
حتى ولو بشكل سطحي . يمكنك أن تصدقني دون تردد .
ورددت جيني :

- ماذا جرى لك ؟

- آه ، يا إلهي ! هذا الخلق الذي يقاسمني غرفتي منذ أشهر طويلة . . وأشهر . .
لم أعد أريد الحديث عنه . .

هذا الكاتب ! أضاف ذلك بشيء من الرضا ، وهو يتذكر على الأغلب اللعنة
الحبيبة لأحدى روايات همنغواي :

- وماذا عمل لك ؟

قال الشاب :

- بصراحة . الأفضل أن لا أبدأ الحديث مطلقاً .

وتناول سيجارة من علبته الخاصة . دون أن ينتبه الى العلبة الموضوعة .
يجلاء على المنضدة ، ثم اشعلها بقداخته .

كانت يسداه كبيرتين ، ولكن لم يكن يبدو عليها انها قويتان ، او
حاذقتان ، او ناعمتان بشكل خاص ، رغم أنه كان يحركهما كما لو انها تمتلكان
في ذاتهما قدرة جمالية لا تحد .

قال :

- لقد قررت الكف عن التفكير في الموضوع . ولكنني ما ازال حائقاً .
أصغي الي . لقد حط علي فجأة هذا الخلق النذل القادم من ألتكونا في بنسلفانيا ،
او شيء من هذا القبيل ، وعليه سماء من يموت جوعاً . وانا على قدر من الطيبة
والفهم من مازكة - السامري الطيب - المكفولة المنشأ ، فاقصدته الى مسكني .
وهو مسكن صغير لا تكاد تراه عينك الا بالمجهر ، صغير لدرجة اني أتحرك فيه
بصعوبة بالغة ، وقدمته الى كل أصدقائي ، وتركته يسد علي مسكني بخطوطاته ،
وأعقاب سجائره ، وأقداره .

وكنت أمر على ذلك كله مرور الكرام ، ثم أعرفه الى كل منتجبي

المسارح في نيويورك ، واحمل قصصه المتسخة من مسكني حتى حانوت المنظف ،
ثم أعيدها .. فماذا كانت النتيجة ؟

والتقط الشاب أنفاسه ثم اردف :

— أما المكافأة على تلطفي ، على فهمي ، فهي انه انسحب على الطريقة
الانجليزية هذا الصباح ، بين الساعة الخامسة والسادسة ، دون أن يترك كلمة
صغيرة . فعل ذلك بعد ان حمل كل ما وقع تحت يديه القذرتين .

وتوقف قليلا ليسحب الدخان من سيجارته ، ثم نفثه في خط رفيع متعرج .
— وبعد ذلك ، آه ، لا اريد ان أسمع شيئا عنه . وألقى نظرة على جيني ،

ثم استطرد قائلا :

— اني أعبد معطفك .

كان قد ابتعد عن مقعده ، واجتاز الحجرة ، وأمسك بطرف معطف جيني
بين أصابعه :

— انه هائل . إنه أول وبر جل من النوع الجيد أراه منذ الحرب . هل لي
في سؤالك من أين حصلت عليه ؟

— لقد احضرته لي والدتي من ناسو .

وهز الشاب رأسه بهيئة مدركة ، وعاد الى مقعده :

— انها أحد الأمكنة النادرة التي ما يزال المرء يعثر فيها على وبر جمل من
النوع الجيد .

وجلس .

— هل مكثت هناك فترة طويلة ؟

قالت جيني :

ماذا ؟

— هل مكثت والدتك فترة طويلة فيها ؟ إنني أسألك ذلك لأن أمي كانت

هناك طوال شهر كانون الاول ، وشرطاً من كانون الثاني . إني أصحبها اليها عادة ، ولكنني كنت مشغولاً هذا العام لدرجة لم استطع معها أنت أتغيب قط .

قالت جيني :

— لقد كانت ماما هناك في شباط .

— رائع . وأين نزلت هناك ؟ هل تعرفين ؟

— عند عمي .

وهز الرجل رأسه .

— هل لي أن أسألك عن اسمك ؟ انك صديقة لشقيقة فرانكلين على ما

اعتقد ؟

قالت جيني :

— نحن في صف واحد .

ولم تجب بذلك إلا على الشق الاخير من السؤال .

— أأست ما كسيم الشهيرة التي ما تنفك سيلينا تتحدث عنها ؟

قالت جيني :

— لا .

وراح الشاب فجأة ينفذ قلبات بنطاله براحة يده . وقال :

— إني مغطى بشعر الكلب من رأسي حتى قدمي . لقد سافرت امي الى واشنطن

أثناء عطلة نهاية الاسبوع ، وتركت كلبها الصغير في مسكني . انه في الحقيقة

لطيف جداً ، ولكنه قليل التهذيب الى حد لا يطاق . أعندك كلب ؟

— لا .

— أقول لك الصدق . إني اجد في الاحتفاظ بالكلاب في المدن ضرباً من

القسوة .

وتوقف عن التنفيض ، وغاص في مقعده ، ثم نظر من جديد الى ساعة معصمه .

— ما رأيت هذا الصبي قط يحافظ على موعد من المواعيد . سنذهب لمشاهدة « الوحش والجميلة » لكوكر ، وهو الفلم الذي ينبغي بصورة خاصة حضوره منذ بدايته ، والا .. فقد كل ميزته . هل رأيتَه ؟
— لا .

قال :

— اوه ، يجب أن تراه . لقد شاهدته ثماني مرات . انه العبقريه بعينها . إنني أحاول اصطحاب فرانكلين منذ أشهر لرؤيته .
وهز رأسه دلالة على الخيبة .

— ما أغرب ذوقه ! لقد عمل كلانا أثناء الحرب في نفس المكاتب البشع . وكان هذا الصغير يجرني لرؤية افلام لا معنى لها ، افلام قطاع الطرق ، ورجال الغرب حتى الفكاهات الموسيقية ! ...

وسألت جيني :

— هل عملت أنت ايضاً في مصنع الطائرات ؟
— نعم ، يا إلهي ! طوال سنوات وسنوات .. لا تعودني بي الى هذا الموضوع أرجوك .

— أأنت مصاب بالقلب مثله ؟

— حمد الله ، لا . لنلمس الخشب !

وضرب ذراع المقعد ضربتين قويتين .

— إن لي بنية كـ ..

ما ان دخلت سيلينا الحجرة حتى نهضت جيبي مسرعة للقاءها . كانت سيلينا قد استبدلت ثوباً ببساطها القصير . وكانت ذلك حرياً باثارة جيبي في الظروف العادية .

قالت سيلينا بدافع من الادب فقط :

— أنا آسفة لأني جعلتك تنتظرين . واسكني اضررت بدوري لانتظار والدتي حتى تستيقظ ..

— هالو إريك !

— هالو مرحباً !

قالت جيبي بصوت منخفض بحيث لا تسمعها الا سيلينا وحدها .

— على كل حال ، لم أعد راغبة في تلك الدرام .

— ماذا ؟

— لقد فكرت في الموضوع . أترين ؟ أنت تقدمين الطابات طوال الوقت .

لقد نسيت ذلك .

— ولكنك كنت تقولين بأنني ما دمت لا أدفع عنها ...

قالت جيبي ، وهي غر أمام اريك دون أن تلقي اليه بتمحية وداع :

— رافقيني حتى الباب .

وعندما بلغنا الممر ، قالت سيلينا :

— لكنني اظن بأنك كنت تودين الذهاب الى السينما هذا المساء ! وانك كنت

بحاجة الى الدرام !

قالت جيبي :

— إني في غاية التعب .

وانحنت ثم جمعت كل امثلة التنفس التي تخصها .

- اسمعي سأقصل بك هاتفياً بعد العشاء. هل تخرجين هذا المساء؟ ربما مررت
لرؤيتك؟

ونظرت اليها سيليئا بشيء من الدهشة وقالت :
- حسناً .

وفتحت جيني باب المدخل واتجهت نحو المصعد ، وضفطت على الزر ثم
قالت :

- لقد قابلت أخاك .

- آه ! انه شخص طريف ، أليس كذلك ؟

قالت جيني بلمجة تنم عن عدم الاهتمام :

- ماذا يعمل في الواقع ؟ هل يعمل ؟ أو ...

- لقد توقف عن العمل . يريد بابا أن يعود الى الدراسة . ولكنه غير راغب

في ذلك .

- لماذا ؟

- لا أدري . يقول إنه قد جاوز السن ...

- وما سنه ؟

- لا أدري . اربع وعشرون .

وفتح باب المصعد .

قالت جيني :

- سأقصل بك فيما بعد .

وانطلقت في الخارج بخطوات واسعة نحو شارع لكسنجتون لتستقل

الاتوبوس . وبين الشارع رقم ٣ وشارع لكسنجتون بحثت عن حافظة النقود في جيبها ، وعثرت على قطعة الشطيرة ، فأخرجتها ، وخفضت ذراعها لتلقيها في الشارع . ولكنها عادت فوضعتها نهائياً في جيبها .

لقد امضت ، منذ عدة سنوات ، ثلاثة أيام كاملة لكي تتخلص من فرخ من فراخ عيد الفصح وجدته ميتاً بين نشارة الخشب في قاع سلة المهملات عندها ...

الرَّجُلُ الضَّيَّاعُ

٤

كان ذلك في عام ١٩٢٨ .

وانا في التاسعة من عمري .

كنت منضوياً الى منظمة تعرف باسم « نادي الأشبال » بكل ما تحمل روح الجماعة من معنى .

وفي ايام الدراسة ، في الساعة الثالثة من بعد الظهر ، وهي ساعة الانصراف من مدرسة المنطقة ذات الرقم ١٦٥ ، الواقعة في الطريق ١٠٩ قرب شارع امستردام ، كنا نطلق خمسة وعشرين مثبلاً تحت إشراف قائدننا ، فنركض بتدافع الأكتاف ، وركلات الأقدام ، في الأوتوبوس العتيق الذي رممه قائدننا ، ثم يقودنا الى الحديقة العامة « ببدل اشتراك يتفق عليه مع اوليائنا . »

أما فيما يتبقى من الوقت بعد الظهيرة ، فكنا ، اذا ما سمح لنا الجو نلعب « الركبي » ، او كرة القدم ، او البيسبول .

كان ذلك يتوقف على حالة الطقس .

وفي الايام الماطره ، كان القائد ينطلق بنا بصورة دائمة إما الى متحف التاريخ الطبيعي ، او الى متحف الفن .

أما في ايام السبت ، وأكثر أيام الأعياد ، فكان الرئيس يمر علينا في منازلنا منذ الصباح ، ويحملنا في سيارته الهرمة ، ويمضي بنا خارج مانهاتان نحو ما كانت يخيل إلينا انه فضاء شاسع ، حيث تقع حديقة « فان كورتلان » والاحراج الكثيفة . فاذا ما استبدت بنا الرغبة في اللعب ذهبنا الى حديقة « فان كورتلاند »

حيث الملاعب الممتازة ، وحيث لا تعثر ضمن فريق الخصوم على عربة للأطفال ،
أو على عجوز نزقة ، مسلحة بهراوة كبيرة .

أما عندما كانت قلوبنا ، نحن الأشبال ، نحقق المذهب الى نجيم ، فكنا نذهب الى
الأحراج ، وكنا نلاقي مصاعب جساما .

أذكر اني تهمت ذات يوم من أيام السبت في مكان ما من تلك البقعة الاعمىنة
التي تقعد من الصوثة المركزة على جانب طريق « لينيت » حتى النهاية الغربية
لجسر جورج واشنطن . ومع ذلك لم افقد رشدي . جلست الى لوحة اعلان هائلة ،
يعصف بي النغم ، وفتحت سلة طعامي ، ورحت اتناول افطاساري ؛ وأنا أحس
احساساً غامضاً ان القائد لن يلبث أن يعثر علي . كان القائد يعثر علينا دائماً .

واذا ما شئت ان تعرف شيئاً عن قائدنا فانه شاب في الثانية ، أو الثالثة
والعشرين ، من « ستاتن آيلاند » ، اسمه جون جيتوسكي . مفرط في الخجل ،
مفرط في الرقة ، وهو الى ذلك طالب في كلية الحقوق ، في جامعة نيويورك ،
والخلاصة : كان في مجموعه إنساناً لا تنساه الذاكرة بسهولة .

ولست هنا لأعرض سجلا لماآثره ، ومزاياه كلها ، وانما سأكتفي بأن اسجل
خلال حديثي العابر أنه كان قائد كشاف بكل ما في الكلمة من معنى ، وأنه كاد
أن ينتخب أحسن قائد للكشافة في امريكا عام ١٩٢٦ . ويعلم الجميع ان فريق
العمالة للبيسبول في نيويورك قد دعاه ذات يوم للانضمام اليه .

كان دائماً الحكم الهاديء الحياديء رغم كل ما نثيره من صخب اثناء
الرياضة ، وكان أحذق من يشعل النار او يطفئها في الرحلات .. يضاف الى هذا
كله براعته في فن التمرير ، وقواضيه ، وتجربته الواسعة .

وكنا جميعاً ، من أصغر جرموز فينا ، حتى اكبر كشاف نعبده ، ونكن له
أعق الاحترام .

إن صورة القائد عام ١٩٢٨ ما زالت واضحة في تخيلتي كل الوضح .

وإذا ما كانت العواطف تقاس بالسنتيمترات ، فإننا نحن الأشبال كنا نحولها
الى عملاق في أقل من لحظة .

ولكن ما دامت الحقيقة لا تخضع لرغباتنا فلنعتزف بالواقع .

كان قائدنا شاباً ، ضخيم الجذع ، طوله مائة وستون سنتماً ، او مائة واثنان
وستون على الأكثر . كان شعره فاحم السواد . تكاد منابته تلتصق حاجبيه ،
أنفه كبير الحجم ، اما طول جذعه فكان يقارب طول ساقيه . كانت كتفاه
تحت سرة الجلد التي يرتديها ، قويتين ، ولكنها ضيقتان هابطتان .

ومع ذلك كله فقد كان يبدو لنا في ذلك الوقت أنه يجمع في جمال جسمه ،
وتناسقه ، معظم المزايا التي يتمتع بها بوك جونس ، وكين ماينارد ، وتوم ميكس
مجتمعين .

وفي كل يوم ، عندما كان الظلام يهبط مبكراً حيث لا يبقى مجال للفريق
المهزوم ليضاعف ضرباته المضادة ، البعيدة عن أصول اللعب ، كنا نحن الأشبال
ننتف حول قائدنا بكثير من الحاسة والأناية ، ونستسلم لموهبته الفذة في مرد
القصص .

كنا نذلق حينذاك الى قطيع محوم ، غاضب ، نتسابق بضربات الأيدي ،
أو بالصرخات الحادة ، لنظفر بمقاعد السيارة القريبة من مجلس القائد .

كانت السيارة تشتمل على صفين متوازيين من المقاعد المحشوة بالقش ، وكانت
الصف الأيسر يضم ثلاثة مقاعد إضافية ، على ارتفاع مقعد السائق ، هي أحسن
مقاعد السيارة .

لم يكن القائد يصعد الى سيارته حتى يكتمل عقدنا .

وحينئذ كان يجلس مدلياً ساقيه على طرف المقعد ، ثم ما يلبث ان يفتح فصلا
جديداً من قصة « الرجل الضاحك » ، بصوته الرتيب ذي النبرة الموقعة .

ومنذ اللحظة التي يبدأ فيها حديثه لا يعود اهتمامنا يفتر أبداً .

كان « الرجل الضاحك » أكثر القصص ملاءمة للأشبال .

لقد كانت تبلغ حجم القصص الكلاسيكية الشهيرة وكانت تميل الى التفرع في جميع الاتجاهات ، ولكنها تبقى مع ذلك مترابطة ، متسقة في اذهاننا . بحيث يمكن دائما أن تنقلها الى منزلك ، وتستعيد افكارها وانت في حوض الاستحمام مثلا .

لم يكن « الرجل الضاحك » سوى الابن الوحيد لزوجين ثريين من اعضاء الارساليات التبشيرية . وقد اتفق ان اختطف ، وهو ما يزال رضيعا ، من قبل قطاع طرق صينيين . ولما رفض الوالدان الغنيان دفع فدية طفلها ، متقيدين ببعض التعاليم الدينية ، بلغ الغيظ بقطاع الطرق حد الجنون . وانتقموا من الوالدين بأن أدخلوا رأس الطفل بين فككي كلابة ، وراحوا يدبرون ذراعها عدة دورات نحو اليمين .

ونظر الفتى - موضوع هذه التجربة الفريدة - الى نفسه عندما بلغ مبلغ الرجال فاذا هو جمجمة صلاء ، متطاولة كقطعة من خبز السكر ، وفتحة هائلة بيضوية الشكل تحت الأنف ، تقوم مقام الفم ، ولم يكن الأنف نفسه سوى منخرين مسدودين .

وهكذا كانت الفتحة القبيحة ، المثيرة للشفقة ، التي تستقر تحت اذن الرجل الضاحك تنقلص ، وتمدد ، كلما تنفس ، كحجم هائل ، او هكذا كنت أتصورها على الأقل .

كان قائدنا يجيد شرح تنفس بطله بالمحاكاة أكثر مما يجيده بالوصف ، وكان الغرباء سرعان ما يسقطون صرعى لجورد رؤية ذلك الوجه الخفيف ، اما المحيطون به فكانوا يهرون من طريقه لئلا تقع أعينهم عليه . وعلى النقيض من ذلك ، كان رجال العصابة يفسحون له المجال ليتجول طليقا في مخابئهم ، لا يطلبون منه أكثر من ان يحفظ وجهه تحت قناع خفيف أحمر من تويج شقائق النعمان . ولم يكن من

شأن هذا القناع أن يوفر عليهم مشهد وجه ابنهم المنبني فقط ، بل كان يساعدهم أيضاً على متابعة روحاته وغدواته ، أضف الى ذلك انه كان ينبعث رائحة الافيون كيميها تحرك .

وفي كل صباح ، كان الرجل الضاحك ينزلق خارج حجر العصابة ، منقطعاً عن كل ما حوله في عزلة قصوى . كانت مشيته رشيقة كمشية القط . وكان يغوص في العابة الكثيفة المجاورة ، وهناك كان يقيم صداقاته مع الحيوانات من كل نوع .

من الكلاب ..

الى الفئران البيض ..

الى النسور

والأسود

وأفاعي البوا

والذئاب ..

الى آخر ما هنالك ...

كان يرفع قناعه بين هذه البهائم ، ويتحدث إليها بلغاتها الخاصة ، بصوت ناعم أغن . ولم تكن تلك الحيوانات تراه مخيفاً .

وهكذا أمضى القائد شهوراً طويلة حتى انتهى الى هذا الموضع من القصة . واذ ذاك بدأ يتصرف بسياق القصة ، ويخضعها لمزاجه الخاص ، وكان ذلك يلاقي الرضا ، كل الرضا ، من الأشبال .

كان الرجل الضاحك لا يجارى اذا ما ألصق اذنه بالارض ، راح ينصت الى ما تسر به .

ولكنه لم يستطع ان يكتشف شيئاً من أمرار مهنة العصابة ؛ ويبدو انه لم يكن يعير ذلك كبير اهتمام ، فلم يلبث أن طلع ذات يوم بنظام جديد لهذه المهنة يفوق كل ما سبقه .

استهل حياته في اللصوصية بعمليات على نطاق ضيق في الريف الصيني .
كانت تلك العمليات مغامرات هادئة يسرق وربما قتل . . ولكنه لا يلجأ الى
القتل الا في الحالات التي لا يجد فيها بداً من ذلك .

وما هي الا فترة حتى أصبح « الرجل الضاحك » ذائع الصيت بطرقه
الاجرامية المبتكرة ، المزودة بحب فريد للعدالة والأمانة ، جعله محبباً الى القلوب
عند الجميع .

ومع ذلك فان أهله الذين تبناه - ونعني بهم العصابة التي دفعته في الاصل الى
الاجرام - كانوا آخر من علم بأخبار مغامراته . وعندما اتصلت بهم انبأوها
انتابهم الغيرة حتى الهوس .

وفي ذات ليلة ، راحوا يهرون الواحد تلو الآخر امام سرير الرجل الضاحك
وهم يعتقدون انهم قد اسلموه الى نوم عميق ، بعد ان أعطوه مخدراً ، وانهم سألوا على
الجسد المرتسم تحت الملاءة بضربات القدوم ، واتضح فيما بعد بأن الضحية لم تكن
سوى ام رئيس العصابة ، وهي امرأة شرسة ، سليطة اللسان ، لا تتوقف عن
المشاكسات ، ولم ينتج عن ذلك الا زيادة نهم العصابة الى دم الرجل الضاحك .

ووجد الرجل الضاحك نفسه في النهاية مضطراً لسجن كل أفراد العصابة في
مزار تحت الأرض ، ولكنه لا يخلو من جمال في الزخرفة .

كانوا يهرون خلصة من حين لآخر ، فيحنق عليهم ، ولكنه كان يأبى قتلهم .
وكان هذا الجانب الرحيم من طباع الرجل الضاحك يتركه مذهولاً .

وما هي الا فترة حتى اعتاد الرجل الضاحك على اجتياز الحدود الصينية ،
والعبور بانتظام الى باريس في فرنسا .

وهناك ، كان يتلمى بأن يضع عبقريته الهائلة بكل تواضع وجهاً لوجه أمام
مارسيل دوفارج ، رجل المخابرات الدائع الصيت .

كان دوفارج ، شعله من الذكاء ، ولكنه كان مصاباً بمرض الصدر ، ولم يلبث ان أصبح هو وابنته أشد أعداء الرجل الضاحك ، ابنته الصبية ، الرائعة الجمال ، رغم ما تنطوي عليه من خبث .

كان الرجل وابنته ما يفتآن يحاولان من حين لآخر اجتذابه حتى باب الحديقة وكان الرجل الضاحك يرافقها حتى منتصف الطريق بدافع من حب المخاطرة ، ثم يتوارى أغلب الأحيان دون ان يترك اي تفسير معقول عن الطريقة التي كان يختفي بها .

ومن حين لآخر كان أيضاً يرسل بطاقة وداع لاذعة بواسطة فتحات الكهاريض في باريس . وكانت سرعان ما تصل الى دوفارج . واذ ذاك يقضي رجل الخبايا وابنته وقتاً طويلاً وهما يتخبطان في كل مكان تقريباً داخل كهاريض باريس .

ولم يلبث الرجل الضاحك ان جمع اضعف ثروة عرفها شخص في العالم ، كان يقدم الجانب الأعظم منها تحت اسم معونات مغفلة لرهبان دير محلي .. نساك زاهدين ، كرسوا حياتهم لتربية كلاب بوليسية ألمانية .

وكان بما يتبقى لديه من ثروته يشتري احجاراً كريمة يخفيها أثناء طريقه في مغارات من الزبرجد تحت البحر الأسود .

كانت حاجاته الخاصة قليلة جداً ، فكان يعيش بصورة دائمة على الارز ، ودم النسر ، في كوخ صغير على الجانب المعرض للرياح في أعالي التنييت . ولم يكن كوخه اكثر من حجرة ألعاب تحت الأرض وحجرة الأسلحة .

وكان يشاطره العيش اتباع أربعة شديرو الاخلاص له :

ذئب من ذئاب الغابات ثثار ، محتال ، يحمل اسم « الجناح الاسود » .

وقزم محبوب جداً اسمه أومبا .

وعملق منغولي اسمه هونغ ، أحرق البيض لسانه ..

وفتاة خلاسية « اوربية - آسيوية » رائعة الجمال ، كانت لحبها الشديد غير

المتبادل لسوء الحظ للرجل الضاحك ، ولحرصها الشديد على سلامتها الخاصة ، تجد في نفسها ميلا الى الجريمة في بعض الاحيان .

كان الرجل الضاحك يصدر أوامره الى العصابة من وراء ستارة من الحرير الأسود . ولم يكن لأحد حتى لأومها المحبوب الحق في رؤية وجهه .

لن أفعل ذلك بكل تأكيد ، ولكني قادر على التطواف بالقاريء ساعات – وبالقوة اذا لزم الأمر – حول الحدود الصينية الباريسية من جميع الجهات .

ومرد ذلك الى اني اري في الرجل الضاحك أحد اجدادي الأجداد .. أرى فيه نوعاً من روبرت ، اي ، لي ، مع كل الفضائل التي تتصل بالسحر . وهذه الاوهام متزنة جداً اذا ما قورنت بتلك التي كنت أغندها عام ١٩٣٨ ، عندما كنت التحيل نفسي ليس الخلف المباشر للرجل الضاحك فحسب ، بل الحفيد الوحيد الشرعي له الذي لا يزال على قيد الحياة .

لقد بلغ ذلك مني أني لم اكن اتصور نفسي ابنساً لوالدي في عام ١٩٣٨ ، ولكن على العكس ، كنت أرى نفسي محتملاً شيطانياً مرانياً ، يرتقب أصغر أخطاء أبويه ليكون له العذر في ان يؤكده هويته الحقيقية – والأفضل ان يتم ذلك دون اللجوء الى العنف ما لم تقض الضرورة بالعنف – .

ولئلا أجرح قلب والدي المزيفة كنت اخطط لاشراكها في نشاطي السري وأجهد ما وسعني الجهد لأجد لها المهمة الملكية التي كانت جديرة بها وان لم اكن قد حددتها بعد . ولكن العمل الرئيسي الذي كان علي أن أقوم به على الأخص في عام ١٩٣٨ هو أن اراقب قصر فاني ، متظاهراً باللعب ، متشاعلاً بتسويك اسناني وتمشيط شعري ، واخفاء دماغي الطبيعية الرائعة بأي ثمن .

وفي الواقع لم اكن انا وحدي الخلف الشرعي الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة للرجل الضاحك ، بل كنا خمسة وعشرين شبلاً من أشبال النادي . ولأقل ذلك بشكل آخر : خمسة وعشرون خلفاً شرعياً احياء ، يجوبون المدينة ، مجهولي

الهوية ، يرتسم على وجوههم التهديد والتحدي .

كنا نحجج بأعيننا عمال المصاعد كأعداء خطرين ونهمس بأطراف شفاهنا صابرين الاوامر الشديدة في آذان الطبّاحين، ونشير باهمامنا الى جبين معلمي الحساب ... نقوم بكل هذا ، ونحن بانتظار اللحظة المناسبة لنلقي الرعب والاعجاب في قلوب الناس اجمعين .

وفي ذات يوم - بعد الظهر - من شهر نيسان بينما كان موسم البيسبول عند الأشبال في اوائله لاحظت شيئاً جديداً معلقاً في اوتوبوس القائد .

كان ذلك الشيء صورة ذات جوانب مسننة ، مثبتة فوق مرآة السيارة .

كانت تمثل فتاة في لباس جامعي .

وبدا لي ان وجود صورة فتاة يتنافي كل التنافي مع مظهر الاوتوبوس المفرط في الذكورة .

وبادرت القائد بالسؤال عن تكون ؟ فتملص باديء الامر من الجواب ، ثم اعترف اخيراً بأنها صورة فتاة .

سألته عن اسمها فأجاب بدون ارتياح : « ماري هدسون » .

ثم سألته من جديد : هل هي نجمة سينائية ؟ او شيء من هذا القبيل ؟ فرد : لا . ليست كذلك ! انما هي طالبة في كلية ويلسلي . واذاف بعد تفكير عميق بان كلية ويلسلي هذه مؤسسة راقية جداً .

ثم سألته : لماذا يضع صورتها على كل حال في الاوتوبوس ؟

فهز كتفيه كما لو انه يحاول ان يفهمني بأن الصورة شبه مفروضة عليه .

وخلال الاسبوعين التاليين ظلت الصورة محتلة مكانها في الاوتوبوس ، سواء اكانت مفروضة ام لا ! ولم تختف مع أوراق التغليف .

« بببي روث » ، وعيدان المصاصات .. وانتهى بنا الأمر نحن الأشبال ، الى الاعتياد عليها ، ولم تعد قنير فينا من الاهتمام اكثر بما تثيره دائرة عقرب السرعة .

وبينما كنا في طريقنا الى الحديقة العامة ذات يوم ، فوجئنا بالقائد يوقف
الاولتوبوس الى جانب رصيف في الشارع رقم ٥ ، في الجهة القوية من الطريق
رقم ٦٠ ، على بعد كيلو متر واحد من ملعب البيسبول الذي اعتدنا ان نلعب فيه .

واندفع عشرون من الاشبال ، اشبال المقاعد الخلفية ، بصوت واحد يطلبون
تفسيراً للحادث . ولكن القائد لم يكثر بهم ، وبدلاً من ان يقدم التفسير
المطلوب أخذ بكل بساطة وضعه المؤلف عندما يقص حكاية ، فدى ساقه على
طرفي المقعد ، وانطلق في فصل جديد من « الرجل الضاحك » قبل ساعتين على
الموعد المحدد له .

ولم يكذباً حتى دق شخص ما على زجاج الباب . كانت أعصاب القائد
متوترة في ذلك اليوم بصورة خاصة ، فوثب من مقعده وثباً وراح يعالج الباب .
وماهي الا لحظة حتى تسلفت السيارة فتاة ترتدي معطفاً من الكاستور .

لست اذكر ، اذا ما عدت الى ذكرياتي بشكل عام ، اني مارأيت في حياتي غير
ثلاث فتيات لغتن انتباهي منذ الوهلة الأولى بحال منقطع النظير .

كانت الاولى فتاة نحيفة ترتدي لباس بحر اسود تحاول يجهد ظاهر أن تغرس
مظلة برتقالية اللون في رمال شاطئ جونس حوالي عام ١٩٣٦ .

وكانت الثانية فتاة تقوم بجولة في البحر الكاريبي على ظهر سفينة خاصة ،
وقد رأيتها تلقي بقداحتها الى خنزير بحر .

أما الثالثة فكانت ماري هدسون صديقة القائد .

سألت الفتاة قائداً وهي تبسم :

— هل تأخرت كثيراً ؟

قالت بنفس اللهجة التي تستطيع ان تقول بها : أتراني قبيحة المنظر ؟

أجاب القائد :

- لا ، أبداً .

وبشىء من العصبية نظر الى الأشبال الجالسين قربه ، وأشار الى الصف الأول
بافساح مكان جلوسها .

وجلست ماري هدسون بيني وبين صبي اسمه إدكار ... لا أذكر بقية اسمه ...
كان عمه صديقاً جليماً لأحد مهربى الخمر . وأفسحنا لها كل ما نستطيع من المكان .
وانطلق القائد يسوق السيارة ، وهو يرجها رجاً كسائق مبتدىء ، ولم يكن من
الأشبال الا أن صمتوا من الصف الاول حتى المقاعد الخلفية .

وفيما كنا نعود الى المكان الذي اعتدنا أن نوقف سيارتنا فيه ، انحنت ماري
هدسون في مقعدها الى الأمام ، وراحت تعرض على القائد ، بجاسة ، قاعة القطارات
التي لم تستطع اللحاق بها ، والقطار الذي استطاعت ركوبه .

كانت تقطن دوغلاستون في لونج آيلاند .

كان القائد بادى العصبية ، ولم يستطع ان يفتح فمه بكلمة . وكان لا يكاد
يسمع ما تقوله . كان - كما اذكر - مرتبكاً لا يكاد يضبط درجات السرعة .

ولحقت بنا ماري هدسون عند النزول ، وكنت على ثقة طوال الطريق الموصل
الى ملعب البيسبول بأن تعبيراً معيناً كان يرتسم على وجوه كل الأشبال ، تعبير
من يريد أن يقول ، ألا تدرك هذه الفتاة بأن عليها أن تعود الى منزلها !

وأخيراً ، بينما كنت اقدف قطعة النقود على أحد وجهيها لتحديد الفريق الذي
سيبدأ الهجوم ، توجت ماري هدسون الموقف بأن صرحت بأنها تود ان
تلعب معنا .

لم يكن هناك جواب أشد إفحاماً من سكوتنا جميعاً .

لقد كنا في دهشة لمجرد رؤية فتاة بيننا ، ولكننا بدأنا الآن ننظر اليها شزراً .
وكأنها ادركت ما يدور في اذهاننا فلم تلبث ان فاجأتنا بابتسامة زعزعت
موقفنا ، وأربكتنا .

وتدخل القائد آنذاك ، كأنما يريد أن يفهمنا بأنه اذا كان قد صمت حتى الآن فإنه يعرف كيف يوقف كل فرد منا عند حدوده . فانتحى باري هدسون جانباً وابتعد بها بحيث لا نستطيع سماع ما يقولان . وبدأ عليه أنه يريد ان بقنمها يهدوء بالعدول عن رغبتها .

وفي النهاية قاطعته ماري هدسون ، ووصل اليها صوتها وهي تردد :

— ولكنني أريد انا ايضاً أن ألعب !

وهز القائد رأسه ، وقام بمحاولة جديدة . وأشار بإصبعه الى ناحية الملعب الذي كان غارقاً في الوحل ، مملؤاً بالحفر ، ثم التقط مضرباً ، وراح يبين لما مدى ثقله بالنسبة اليها .

قالت ماري هدسون بنبرة واضحة :

— لا يهمني ذلك . لقد قطعت الطريق حتى نيويورك لمراجعة طبيب الأسنان ، وأجهدت نفسي .. اريد أن ألعب .

وهز القائد رأسه من جديد ، وانحنى صاعراً ، وعاد بخطى بطيئة الى نقطة الانطلاق ، حيث وقف الابطال والمحاربون ، فريقا الاشبال ، ينتظران .

ونظر الي . كنت رئيساً لفرقة المحاربين ، ولفظ اسم لاعب القلب في فرقتي . كان هذا اللاعب قد تخلف في المنزل لمرضه ، وسرعان ما اقترح أن تأخذ ماري هدسون مكانه . فأجبت بأني في غير ما حاجة الى لاعب قلب . فانتهرني القائد :

— يا للشيطان ! من اين أتيت بهذه الفكرة اللعينة ؟ وكيف تجرؤ أن تعلن أنك لست بحاجة الى لاعب قلب ؟

لقد صدمت ..

كانت المرة الأولى التي أسمع فيها القائد يلعن ويشتم ، والأنكى من ذلك أني كنت أحس أن ماري هدسون تبتسم وهي تنظر الي . فالتقطت قطعة حجر غاضباً وقذفت بها على احدى الاشجار .

وبدأ الفريق الآخر الهجوم . وفي أول جولة للعب لم يكن أي عمل في قلب الدفاع . وكنت من مكاني في الموقع الامامي القبي من حين الى آخر بنظرة الى الوراء . وفي كل مرة كانت ماري هدسون تجيبني بحركة مرحة من يدها . كانت تلبس قفازاً ضخماً اختارته حسب مزاجها . كان منظره كريهاً .

كانت لماري هدسون في مخطط لعب « المحاربين » جولة اللعب التاسعة . وعندما ذكرت لها ذلك مطت شفتها ، وقالت : « حسناً ، اذاً اسرعوا ! »

والغريب أننا أسرعنا فعلاً ، فجاء دورها في اللعب في الجولة الأولى وعند ذلك خلعت معطفها الكاستور ، وقفازها الضخم ، واحتلت مكانها في ثوب غامق . وعندما قدمت لها المضرب سألتني عن سبب كونه ثقبلاً الى هذا الحد . فلما كان من القائد الا ان ترك مكان الحكم الذي يشغله وراء الرامي ، واقترب منا وعليه سياء القلق ، ونصح ماري هدسون بأن تجعل طرف المضرب يرتكز على كتفها اليمنى . قالت :

— هذا ما اقوم به .

ثم نصح اليها بأن لا تشد كثيراً على المضرب .

قالت :

— إني لا أضغط عليه . افسح لي الطريق .

وضربت الهواء بقوة عندما قذفت لها أول كرة ، واعادتها من فسوق رأس لاعب اليسار . كانت ضربة معلم ؛ ضربة يمكن ان تصل بصورة عادية حتى الموقع الثاني . ولكن ماري هدسون اوصلتها الى الموقع الثالث وهي واقفة .

وعندما أفقت من ذهولي ، ثم من إعجابي ثم من فرحسي ، رحت أنظر الى القائد . لم تعد تبدو عليه هيئة الرجل الزائع بنظراته وراء الرامي . كان سعيداً كل السعادة . وأومات ماري هدسون لي من الموقع الثالث . بحركة من يدها ، فأجبتها بالطبع . لم اكن أستطيع الامتناع عن جوابها ، حتى لو كانت بي رغبة

لذلك ، فقد كانت بالإضافة الى ضربة المضرب الرائعة فتاة تجيد الایاء بيدها
للآخرين من الموقع الثالث .

وطوال بقية اللعب كانت قبليغ الهدف في كل مرة ترفع فيها المضرب . ولسبب
او لآخر كان يبدو عليها أنها تكره الموقع الأول . ولم يكن هناك من طريقة
لاقناعها بالوقوف عنده . لقد انسلت ثلاث مرات على الاقل الى الموقع الثاني .

ولم يكن لعبها باتجاه العمق في مستوى اقل من سابقه . ولكن الجولات كانت
تتراكم عندما كان يأتي دورنا في تسديد الضربات . لذلك لم نكن نستطيع تركيز
انتباهنا . أعتقد بأنه كان من الأجدي لها أن توافق على ملاحقة الكرات بأي
شيء ما عدا قفاز البيسبول . ولكنها كانت تتمسك به . كانت تقول إنه
لطيف جداً .

وفي الاشهر التالية لعبت ماري هدسون البيسبول مع الأشبال مرتين كل اسبوع
(في الأيام التي كانت فيها على موعد مع طبيب الاسنان على ما يبدو) .

كانت في بعض الأيام تأتي لتستقل الاوتوبوس في الموعد المحدد ؛ وفي بعضها
كانت تصل متأخرة . كانت أحياناً تتكلم دون توقف طوال الطريق ، وأحياناً
أخرى تجلس صامتة تدخن سجائرهما الـ « هربرت تاريتون » (ذات العقب المرشحة)
كانت رائحتها لذيذة عندما يجلس المرء الى جانبها .

و ذات مساء من أماسي شهر نيسان العاصفة ، مر علينا القائد كالمعتاد في الساعة
الثالثة عند ملتقى الطريق رقم ١٠٩ بشارع امستردام . وعندما انعطف في الطريق
رقم ١١٠ اتجه بصورة طبيعية نحو الشارع رقم ٥ . كان القائد قد بلل شعره
ليمشطه . وقد ارتدى معطفه بدلاً من السترة الجلدية . وكان بوسعي أن أراهن
دوفاً بمجازفة بأن ماري هدسون ستلتحق بنا . وعندما مررنا بسرعة خاطفة أمام
مدخل الحديقة التي نسير فيها دوماً تأكدت من ذلك تمام التأكد . فقد أوقف
القائد سيارته في الزاوية المختارة لمثل تلك المناسبة بجانب الطريق رقم ٦٠ ،
واتخذ جلسته المألوفة على طرفي المقعد . وشرع في فصل جديد من « الرجل

الضاحك ، لتزجية الوقت .

إنني ما أزال اذكركه بكل تفاصيله ، ذلك الفصل ؛ وسأقصه عليكم بإيجاز .
شاعت مصادفة مؤسفة أن توقع أعز أصدقاء الرجل الضاحك ، ذئبه « الجناح
الاسود » في فح مادي ومعنوي نصبه له آل دوفارج :

ونظراً لمعرفة آل دوفارج بشعور الرجل الضاحك بالواجب ، فقد اقترحا
عليه المقايضة على حرية الجناح الأسود بحريته . وسرعان ما وافق الرجل الضاحك
على الاقتراح عن طيبة خاطر . (كان يصيب بعض نواحي تفكيره الثانوية أحياناً
شيء من الخور) ؛ وتم الاتفاق بين الطرفين على أن يقابل الرجل الضاحك آل
دوفارج في منتصف الليل ، في مكان ما من الغابة الكثيفة ، التي تحيط بباريس .

وهناك في ضوء القمر يطلق سراح الجناح الأسود .

ولكن آل دوفارج لم يكونا يتويان إطلاق سراح الجناح الاسود مطلقاً .
فقد كانا يخشيان منه ، ويكرهانه كرهاً شديداً .

وفي الليلة الموعدة ربطا بدلاً منه ذئباً آخر مزيغاً ، صبغاً له قدمه الخلفية
اليسرى باللون الأبيض ليصبح الشبه تاماً بينه وبين الجناح الأسود .

لقد فات آل دوفارج نقطتان لم يعيراهما انتباههما وهما :

دقة حساسية الرجل الضاحك ومعرفته التامة بلغة الذئاب .

وما أن اسلم نفسه لآل دوفارج لتربطه الفتاة بسلك شائك من الحديد الى
جذع شجرة حتى فاق الرجل الضاحك الى توجيه بضع كلمات يودع بها ذلك
الذي كان يفترضه صديقه العتيق . وتوجه اليه بصوته الأغن الجميل . ودهش
الصديق المزيف الواقف على قيد عدة أمتار منه لمعرفة الرجل الغريب التامة
بلغته . وأصغى بأدب فترة غير قصيرة للنصائح الأخيرة ، النصائح الشخصية
والمهنية التي كان يوجهها اليه الرجل الضاحك .

ولكن صبره في النهاية بدأ ينفذ . وراح يهتز متناقلاً على قدميه . وفجأة ،

وبلهجة غير مهذبة قاطع الرجل الضاحك قائلا له بأن اسمه قبل كل شيء ليس الجناح القاتم ، او الجناح الاسود ، او الاطراف الرمادية ، او أي شيء من هذا الكلام الفارغ . انه يدعى « آرمان » ؛ وانه من ناحية ثانية لم تطلأ قدماء أرض الصين طوال حياته ، وليست به أية رغبة للذهاب اليها .

وهنا ثارت ناثرة الرجل الضاحك وأسقط قناعه بلسانه ، وكشف وجهه عاريا أمام آل دوفارج تحت ضوء القمر ، فسقطت الانسة دوفارج من جراء الصدمة على الأرض دون وعي . أما والدها فقد كان على قسط اكبر من الحظ . لقد انتابته بغتة ، وفي اللحظة الحاسمة ، نوبة من نوبات السعال القوية ، ولم ير بسبب ذلك عملية كشف القناع المميتة .

وعندما انتهت نوبة سعاله نظر الى ابنته فاذا هي طريحة على الأرض في ضوء القمر . فغلا دمه ، ثم غطى وجهه باحدى يديه ، واطلق عبارات مسدسة الالي دفعة واحدة باتجاه التنفس المصحوب بالصفير الذي كان يصعده الرجل الضاحك . وانتهى الفصل هنا ...

واخرج القائد ساعته الـ « أنجرسول » التي لا يزيد ثمنها عن الدولار من جيبه ، والقى عليها نظرة خاطفة ، واستدار على مقعده ، وادار المحرك . نظرت بدوري الى ساعتي . كانت الساعة فيها تقارب الرابعة والنصف ، وبينما كان الاوتوبوس يتحرك للسير سألت القائد عما اذا كان ينتظر ماري هيدسون . فلم يحجر جوابا . وقبل أن أتمكن من اعادة سنوالي ، رمى برأسه الى الخراء ، والقى اليينا بالكلمة التالية :

— شيء من الصمت ، هناك في الداخل ، بحق الشيطان !
وأيا كانت العبارة التي قيلت بها .. فان هذه التوصية كانت في غير محلها ، لأن الصمت كان يخيم في السيارة منذ فترة لا بأس بها .

كان اكثرنا يفكر في الحالة التي تركنا فيها الرجل الضاحك .
لقد انقضى الزمن الذي كنا نخشى فيه على مصير كائن مثله كانت ثقتنا به

تفوق الحدود . ولكننا لم نكن قد بلغنا بعد الدرجة التي نستطيع أن نتقبل فيها دون انفعال أزماته التي يتعرض فيها لخطر من هذا النوع .

في الجولة الثالثة ، أو الرابعة ، للعب ، في نفس ذلك اليوم أبصرت فجأة ماري هدسون من مركزي في الموقع الأول .

كانت جالسة على مقعد لا يبعد أكثر من مائة متر الى جهة اليسار بالنسبة الي .

كانت تجلس بين مريتين تصطحبان عربتين للاطفال . كانت ترتدي المعطف الكاستور وتدخلن سيجارة وكان يبدو عليها أنها تتابع اللعب فصرخت من مكاني لأزف الخبر للقائد وأنا شديد الانفعال بهذا الاكتشاف .

كان القائد يقف خلف الرامي ، وسرعان ما اتجه الي بخطى واسعة ولكن بدون أن يركض .

وسألني :

— أين ؟

أشرت للمكان . فأبقى عينيه مثبتتين عليها . ثم قال بأنه سيعود . وترك الملعب . سار اليها بخطى بطيئة . كان معطفه مفتوحاً ، ويداه غارقتين في جيوب بنطاله الخلفية . وجلست في الموقع الأول ، ورحت اراقبها وقبل أن يصل القائد الى ماري هدسون زرر معطفه ، وتقدم وذراعاه متدليتان الى جنيبه .

مكث واقفاً أمامها زهاء خمس دقائق . كان يبدو عليه أنه يتحدث اليها . ثم نهضت ماري هدسون واقبلت معاً نحو ملعب البيسبول . لم يكونا يتبادلان الحديث أثناء السير . ولم يكن احدهما ينظر الى الآخر . وعندما وصلا الى الملعب اتخذ القائد مكانه وراء الرامي ، فصحت به :

— هل تلعب ؟

أشار الي بأن أسد فمي ، فسددته ، ونظرت الى ماري هدسون ،

كانت تمر ببطء وراء اللاعبين ، وبدأها في جيوب معطفها الكاستور . ثم جلست على مقعد أعد لاستراحة اللاعبين وراء الموقع الثالث ، واشعلت سيجارة جديدة ، ووضعت ساقاً على الأخرى .

وعندما حان دور هجوم فريق «المحاربين» رحت اليها عند مقعدها ، وسألتهما عما اذا كانت تود أن تلعب مع الفريق في الجناح الأيسر . فهزت رأسها بالرفض ؛ فسألتهما عما اذا كانت مصابة بالبرد ، فهزت رأسها ايضاً بالرفض . ورددت على مسمعهما بأن لاعب الجناح الأيسر غائب ، وأن لاعباً واحداً يقوم بدور القلب والجناح الأيسر معاً . فلم اقل جواباً .

وعندئذ قدفت بقفازي في الهواء وحاولت استقباله برأسي ، ولكنه سقط في بركة من الوحل ، فمسحته على بنطالي ، وطلبت من مساري هدسون أن توافينا للعشاء ذات يوم في منزلنا ، وقلت لها بأن القائد غالباً ما يزورنا فقالت :

— دعني وشأني ، أرجوك ، دعني وشأني .

نظرت اليها في دهشة من أمري . ثم اتجهت نحو مقعد «المحاربين» وأنا أخرج قطعة ماندارين من جيبى ، ورحت ألقى بقذفها بيدي .

وفي منتصف الطريق على طول خط التوقف للموقع الثالث ، التفت ومشيت للقهقري وعيناي مثبتتان على ماري هدسون ، والماندرينة في يدي ، لم تكن لدي أية فكرة عما يحدث بين القائد ، وبين ماري هدسون (ولا اعلم ذلك الآن بالطبع او على الاقل لا اعرف عنه الا فكرة غامضة)

ولكني في حينها أيقنت بأن ماري هدسون قد تركت جماعة الأشبال الى غير عودة .

وهذا الضرب من اليقين يمكن أن يجعل من السير الى الوراء أمراً غير مضمون ، دون أي اعتبار آخر ، فقد سقطت بجلبة كبيرة على عربة من عربات الأطفال .

وعندما جاءت جولة اللعب الثانية كان الظلام يحول دون متابعة اللعب ،

فتوقفتنا ورحنا نجتمع الأدوات . وكانت آخر صورة أحفظها لماري هدسون هي صورة فتاة تبكي قريباً من الموقع الثالث .

أمسك بها القائد من ذراع معطفها الكاستور ، ولكنها ابتعدت عنه ، وخرجت من الملعب وهي تجري ، وسارت في الممر المزفت ، وواصلت جريها حتى غابت عن ناظري .

لم يلحق القائد بها . بل اكتفى بالبقاء واقفاً ينظر إليها ، وهي تتوارى . ثم انقفل عائداً الى الملعب ليحمل مضرتيّنا .

كنا نترك المضربين له يحملها دائماً . لحقت به وسألته عما اذا كان قد تشاجر مع ماري هدسون ، فزجرني طالباً مني ان لا أدرس أنفي فيها لا يعني .

رحنا نحن الأشبال كالعتاد نقطع الأمتار الخمسين الأخيرة التي تفصلنا عن المكان الذي ترك فيه الاوتوبوس ، وبطوننا تكاد تلامس الأرض من شدة الجري ، نصيح ونندافع ويسقط بعضنا الآخر بإدخال ساقه بين سيقان رفاقه الراكضين . كنا منشوقين ، منفعلين لفكرة دنو الموعد ، موعد انعام قصة الرجل الضاحك .

وبينما نحن نجتاز الشارع رقم ه ترك أحدهم سترة الصوف تسقط على الأرض فتسارت بها وسقطت على وجهي . ثم جريت بأقصى ما أستطيع نحو الاوتوبوس . ولكن المقاعد الممتازة كانت قد احتلت ، واضطرت للجلوس في المقاعد الوسطى .

لم اكن مشرحاً للنتيجة التي حصلت عليها فدفعت بمنكبي زميلاً جالساً الى يميني ، والقيت نظرة حولي ، ثم تبعت القائد ببصري . كان القائد يجتاز الشارع رقم ه ، لم تكن الساعة قد بلغت الثامنة . ولكن رداة الجو جعلت الظلام يهبط منذ الخامسة والرابع .

كانت القائد يجتاز الشارع ، وياقة معطفه مرفوعة ، الى الأعلى حول رقبة ، والمضربان تحت ذراعه اليسرى ، وانتباهه مثبت على الشارع . كان شعره الأسود

الذي بلله قبل عدة ساعات ليمشطه قد جف تماماً الآن ، وتعثت . تذكرت أنني
تجنيت حينئذ ان يكون القائد لابساً قفازاً .

كان الاوتوبوس غارقاً في الصمت كالمعتاد حين تسابق اليه القائد ، او كانت
على الاقل هادئاً كما يكون المسرح حين تطفأ الانوار . وماتت الاحاديث في همس
مقتضب ، او توقفت نهائياً . ومع ذلك فان أول ما ابتدرنا به القائد كان قوله :

— هيا ، كفوا عن الضجيج في الداخل . وإلا فلا قصة اليوم !

وانقلب الجميع على الفور الى تمائيل جامدة داخل السيارة . ولم يبق أمام
القائد الا أن يتخذ وضع القاص . وما ان استقر في مكانه المعتاد حتى أخرج
مندبلاً وتمخط بشكل نظامي ، المنخر بعد الآخر ، وكنا نتابع حركاته بصبر
نافد ، واهتمام بالغ . وعندما انتهى من ذلك ، طوى مندبله بعناية اربع طيات ،
وأعاده الى جيبه . وأخيراً منحنا الفصل الاخير من « الرجل الضاحك » . ذلك
الفصل الذي لم يستغرق حتى نهايته اكثر من خمس دقائق .

أصابني أربع من رصاصات دوفارج الرجل الضاحك : اثنتان منها أصابتنا
القلب مباشرة . وعندما سمع دوفارج الذي كان ما يزال يغطي وجهه لثلاث تقع
عينه على تلك الصورة المنكورة ، عندما سمع حشرة تززع مفجع تعلو في المكان
الذي صوب اليه أحس بالسعادة تفجره ، وراح قلبه الدنيء يضرب بوحشية ،
فهرع نحو ابنته المغمى عليها ينعشها ، وتجراً حينئذ على النظر الى الرجل الضاحك
بسرور السفلة وجرة الجبناء .

كان رأس الضحية يتدلى كراس الميت ، وذقنه تمس صدره الذي ينزف دماً .
واقترب الأب والابنة ببطء مشوب بالجشع ليتأملوا جريمتها . ولم يدرك في
خلدهما أن مفاجأة كهري تنتظرهما هناك .

لم يكن الرجل الضاحك ميتاً ، بل كان يركز قواه ليجعل عضلات معدته

تتقلص حسب طريقة سرية . وما أن وصل إليه آل دوفارج حتى رفع فبجأة رأسه ، وصب في أسماعها قهقهة خفيفة ، وبدون جهد ، وبوضع لا مبال ، تقيماً بالرصاصات الأربع التي أصابته واحدة واحدة ..

لقد صدم آل دوفارج صدمة جعلت قلبها ينبفجران من هولها ، وسقطا عيتين تحت قدمي الرجل الضاحك .

(وما دام الفصل سيكون قصيراً على كل حال ، فقد كان من الممكن إنهاءه هنا . وكان بإمكان الأشبال أن يدبروا أمرهم ليجدوا تفسيراً معقولاً للمحنة الفجائية التي أودت بآل دوفارج .

ولكن القارئ لم ينهه هنا .)

مكث الرجل الضاحك أياماً طويلة مربوطاً الى الشجرة بسلك شائك من الحديد . وتحملت جثتها آل دوفارج أمام عينيه . ولكنه كان على حافة الهلاك بسبب النزف الغزير ، وانقطاع مؤونته من دم النسر .

وفي ذات يوم استغاث بحيوانات الغابة بصوت ضعيف مؤثر ، وأمرها أن تذهب للبحث عن أومبا ، القزّم المحبوب ، فصعدت بالأمر . ولكن الطريق كان شامساً جداً للذهاب الى الحدود الصيفية الباريسية والعودة منها ، وعندما وصل أومبا الى المكان مع جعبة ادويته ، ومؤونته من دم النسر كان الرجل الضاحك قد راح في غيبوبة .

كان أول ما قام به أومبا هو أن التقط قناع سيده الذي قذفت به الريح على صدر الانسة دوفارج ، الصدر الذي نخرته الديدان . ووضعته باحترام على القصات القيحية ، ثم ضمها الجراح .

وعندما تفتحت عينا الرجل الضاحك الصغيرتان أخيراً ، رفع أومبا بسرعة زجاجة دم النسر حتى القناع . ولكن الرجل الضاحك امتنع عن الشراب . وبدلاً من ذلك لفظ بصوت ضعيف اسم حبيبه « الجناح الأسود » ، فحنا أومبا رأسه

المشوه قليلا واخبر سيده بأن آل دوفارج قد قتلوه .

كان ذلك قمة الأحزان بالنسبة للرجل الضاحك ، فاذا هو يرسل زفرة تفتت القلوب . وبحزن شديد تناول زجاجة دم النسر وسحقها بيده ؛ وسال الدم القليل الباقي في خيط رفيع على معصمه ، وأمر أومبا بأن يدير عينيه ، فانصاع للامر وهو يبكي .

وكانت آخر حركة قام بها الرجل الضاحك قبل ان يدير وجهه نحو الارض المبللة بالدماء أن نزع قناعه .

توقفت القصة هنا ...

ولم يعد اليها القائد فيما بعد قط .

وحرك قائدنا اوتوبوسه ...

وفي الصف الذي اجلس فيه كان « بيلي والش » أصغر الأشبال قد انخرط في النحيب .

لم يطلب احد منا اليه أن يكف عن البكاء . أما انا فأذكر أن ركبتي كانتا قصطكان .

وبعد لحظات .. عندما كنت انزل من اوتوبوس القائد كان اول ما وقعت عليه عيناى قطعة من ورق الحرير الأحمر كانت الريح تقذفها على قاعدة عمود أحد المصابيح .

كان يخيل المرء أنها القناع المصنوع من تويج شقائق النعمان .

وبلغت المنزل ، واسناني تصطلك .. دون أن استطيع غمالك نفسي ، ونقلت فورا الى السرير .

تحت ... في المركب

كان ذلك بعد الساعة الرابعة بقليل ، من إحدى أمسيات صيف «سان مارتان» ،
وفي المطبخ كانت الخادم «ساندرا» تعود للمرة العشرين من النافذة التي تطل
على البحيرة وهي تزم شفتيها .

كانت ، في أثناء التفاتها ، فحل وتعقد من جديد ، بحركة آلية زئار صدارتها ،
وهي تشده بمقدار ما يسمح لها خصرها الضخم . وأخيراً ارتدت إلى المنضدة التي
غطى سطحها بطبقة عازلة ، وتهاوت على الكرسي ، بلباسها المنشئ حديثاً قبالة
السيدة «سنيل» .

كانت السيدة سنيل قد فرغت من شؤون التنظيف والكي ، وجلست كالعتاد
تتناول قدح الشاي قبل أن تنزل إلى الطريق ، وتسهر حتى موقف الاوتوبوس .
وكانت السيدة سنيل تضع قبعتها على رأسها ، تلك القبعة الفريدة من اللباد
الأسود التي لم تغادر رأسها طوال الصيف ؛ بل إنها لم تتدخل عنها طوال مواسم
الصيف الثلاثة الماضية ، أثناء موجات الحر اللاهبة ، أيام السراء والضراء ، وهي
مخنية على اثني عشرية من مناضد الكي ، وعلى اثني عشرية أخرى من المكائس
الكهربائية ، وما تزال تلك القبعة تحمل في داخلها ماركة «هاني كارنيجي» التي
ربما كانت قد تفضت قليلاً ، ولكنها لا تخلو مع ذلك من أثر بليغ في النفس .

وصرخت ساندرا للمرة الخامسة والسادسة وهي تتوجه بالكلام إلى السيدة
سنيل وإلى نفسها في آن واحد .

— لن احطم رأسي من أجل ذلك . هذا ما قررته . لن احطم رأسي من أجله ،
وما جدوى ذلك ؟

قالت السيدة سنبل :

— انك على صواب . لو كنت مكانك لما أعرت الموضوع أي اهتمام . أقسم لك بأعز ما لدي إلي لم أكن لأهتم بالأمر . أتريدن أن تسدي إلي هذه الخدمة؟ ناوليني حقيقتي .

كانت الحقيبة الجلدية التي استعملت حتى الاهتراء والتي ما تزال مع ذلك تحمل في داخلها ماركة ممتازة كماركة قبعتها ، موضوعة على خزانة الطعام بحيث تستطيع ساندرا التقاطها دون أن تنهض ، فقدمتها إلى السيدة سنبل من فوق المنضدة ، ففتحتها السيدة وأخرجت علبة سجائر بالنعناع ، وعلبة ثقاب من نادي ستورك .

أشعلت السيدة سنبل سيجارة ، ثم أدنت فتجارت الشاي من شفتيها ، ثم أعادته فوراً إلى طبقه وقالت :

— إذا لم يبرد بأسرع من ذلك ، فسأضيع اتوبوسي .

ونظرت إلى ساندرا التي كانت تحدق في القدرور النحاسية المصقوفة على الجدار بنظرات كثيفة ثم تابعت بلمحة آمرة :

— يكفيك إرهاقاً . وماذا يجديك أن تحطمي رأسك؟ إما أن تقول لها كل شيء ، وإما أن لا تقول لها شيئاً .. هذا هو الموضوع كله .. ماذا يجديك أن تحطمي أعصابك من أجل ذلك ؟

قالت ساندرا :

— لا ، إلي لن أحطم رأسي .. وإن آخر شيء أعمله هو أن أحطم رأسي من أجل ذلك . ولكن ما يفترقني صوابي هو الطريقة التي يحرق نفسه بها في أرجاء البيت دون أن يسمع له صوت . هل تفهميني؟ هذا الولد لا يسمعه لمنسارت حين يقترب . واليك مثلاً : منذ أيام كنت أعرق الفاصولياء ، هنا ، على هذه المنضدة بالذات . حسناً .. كدت أمشي على يده . لقد بوغت به فجأة تحت المنضدة .

- موافقة ، ولكن هل يكفي ذلك لكي تفقدي أعصابك .

قالت ساندرا :

- لا ، ولكن هل تفهميني ؟ يجب أن يتنبه المرء الى كل ما يقوله أمامه . إن ذلك يجعلني كالمخبولة .

قالت السيدة سنيل :

- ما يزال الشاي ساخناً ... ما أصعب أن يضطر الانسان للاحتراس عندما يتكلم .

- هذا ما يفقدي صوابي ! أقسم لك ، إنني لا اكاد أملك صوابي اكثر الأحيان .

ونفضت ساندرا عن جحرها فتاتاً وهيماً وهممت :

- صبي في الرابعة !

قالت السيدة سنيل :

- إنه لطيف جداً . ما أجل عيفيه السوداوين الكبيرتين . فأجابت ساندرا بجنق :

- سترين إنه سيحمل انف والده .

ورفعت فنجانها ، وارتشفت منه رشقة دون صعوبة ، واكملت بلمحة مشوبة بعدم الرضا ، وهي تضع فنجانها ، في مكانه :

- إنني لا ادرك لماذا يريدون البقاء هنا طوال شهر تشرين الاول . هل تفهميني؟ لم يعد أحد يدنو من الماء الآن ولو من بعيد ، انهم لم تعد تسبح ، وهو لم يعد يسبح ، والطفل نفسه لم يعد يسبح .. لم يعد أحد يسبح .. ولم يعودوا ينزلون البتة في ذلك الزورق القذر . لا ادري لماذا يريدون دراهمهم في البقاء هنا .

- لا افهم كيف تستطيعين شرب شايبك ، في حين أني لا أستطيع لمسه .

وراحت ساندرا تتأمل الجدار قبالتها بعنق :

- وإني لا أضن بكل ما أملك ، لأعود الى المدينة . لا أقول ذلك من باب الهذر . إني أمقت هذا المكان القذر ، ونظرت الى السيدة سذيل نظرة حاذقة واردفت :

- ان الأمر مختلف بالنسبة لك . انت تعيشين هنا طوال السنة ، وتعرفين عدداً لا يستهان به من الناس . وكل شيء ... لست في مثل حالتي .

قالت السيدة سذيل ، وهي تنظر الى عقرب الساعة فوق الفرن الكهربائي .

- علي أن أبتلع هذا الشاي حتى ولو كان فيه هلاكي .

وسألتها ساندرا فجأة :

- ماذا كنت تفعلين لو كنت مكاني ؟ بربك ماذا كنت تفعلين ؟ أجيبيني بصراحة .

كان السؤال من النوع الذي تنزلق فيه السيدة سذيل بمنتهى السرور كما تنزلق في معطف من فرو السمور

لقد جعلها تنسى على الفور فنجان الشاي . قالت :

- حسناً ، لو كنت مكانك لما أعرت الأمر أدنى اهتمام ، أما ما أعمله فسأقوله لك ، أفقتش عن ...

فقاطعتها ساندرا :

- إني لا اهتم الأمر .

- أعرف ، أعرف .. ولكن ما أعمله أنا هو أن أبحث حالاً عن ...

وفتح باب غرفة الطعام ، ودخلت المطبخ ربة المنزل « بوبوتا نوم » .

كانت في الخامسة والعشرين من العمر ، قصيرة ، بردفين هزيلين ، وشعر منكوش ، بلا شكل ولا لون ، ترده وراء أذنيها الكبيرتين . كانت ترتدي

بنظراً كورسيكياً يصل حتى ركبتيها ، وقميصاً أسود بياقة ملفوفة ، وجواربين قصيرين ، وخففاً . فإذا نحيث جانباً اسمها المضحك ، وانعدام مساحة الجناح في وجهها ، فإنها لا تخلو من صفات أخرى لامعة ، تجعلها فتاة كاملة مدهشة ، وانجذبت فوراً إلى الثلاثية وفتحتها .

كانت تصفر بين أسنانها مع اهتزاز خفيف من ردفها للإيقاع ، وهي واقفة تنظر في داخل الثلاثية .. ساقاها منفرجتان ، ويداهما على ركبتيها ..

وصمتت ساندرا ، والسيدة سنيل ، واطفأت السيدة سنيل سيجارتها بدقة :
— ساندرا .

— نعم ، سيدتي ؟

ونظرت ساندرا حالاً من فوق قبعة السيدة سنيل :
— هل بقي عندنا مخال خيار ؟ أريد أن أعطيه قطعة .
قالت ساندرا بلهجة ساخرة :

— لقد أكله . لقد أتى عليه مساء البارحة قبل النوم . لم يكن قد بقي منه إلا قطعتان .

— أوه .. حسناً ! علي أن أشتري مزيداً منه في أثناء ذهابي إلى المخطلة . ربما أخرج به ذلك من المركب .

واغلقت بابو الثلاثية ، وراحت تنظر من النافذة المطلة على البحيرة . ثم سألت وهي إلى جوار النافذة :

— هل هناك شيء آخر يمكن إعطاؤه إياه ؟

— هناك الخبز فقط .

— سيدة سنيل .. لقد تركت لك شيكاً على المنضدة في مدخل البيت . شكراً للعمل الذي قمت به .

قالت السيدة سنيل :

— لا داعي للشكر. يبدو أن ليونيل اراد الهرب؟ وضحكت ضحكة خفيفة.
قالت بوبو وهي قدس كلتا يديها في جيوب بنطالها الخلفية .
— هذا ما يبدو لي .

قالت السيدة سنيل ، مع ضحكة خفيفة جديدة .

— لن يستطيع الذهاب بعيداً على كل حال .
وتحركت بوبو قليلا من جوار النافذة لئلا تدير ظهرها الى منضدة المرأتين .
— لا ..

واعادت خصلة من شعرها الى ما وراء أذنها ، واكملت بلمحة من 'يسر'
بشيء :

— إنه ينأى يجانبه ليحيا حياته الخاصة بانتظام منذ بلوغه سن الثانية .. ولكنه
لا يعتمد مطلقاً .

كان أبعد مكان ذهب اليه في المدينة ذاتها هو وسط « الحديقة المركزية » ،
والحديقة لا تفصلها عن منزلنا سوى مجموعتين من منازل مجاورة ، وأقرب مكان
يذهب اليه هو مدخل بناية منزلنا . كان يقبع هناك في زاوية ليودع والده .
وضحكت السيدتان الجالستان حول المنضدة ، وشرحت ساندرا للسيدة سنيل
بلمحة تحجب :

— ان وسط الحديقة هو المكان الذي يتجمع فيه كل الاولاد في نيويورك .
انهم يتزلقون هناك .

اجابت السيدة سنيل :

— اوه !

قالت بوبو وهي تخرج علبة سجائر وثقاباً من أحد جيوبها :

— لم يكن قد تجاوز الثالثة ، كان ذلك في السنة الماضية .
واشعلت سيجارة ، بينما كانت المرأتان تنظران اليها بعينين تطفحان بالاهتمام .

— كانت قصة عظيمة ، لقد اضطررنا أن نجند كل شرطة المدينة للبحث عنه .

قالت السيدة سنيل :

— وهل عثروا عليه ؟

قالت ساندرا بازدره :

— لقد عثروا عليه بالطبع ، ماذا تظنين ؟

— لقد عثروا عليه بعد الحادية عشرة ليلاً في وسط الـ ... يا إلهي ! في شهر شباط على ما اعتقد . لم يكن أي ولد في الحديقة . لم يكن هناك إلا العشاق ، كما اذكروا طائفة من المتشردين المنحلقين . كان جالساً على الأرض ، في كشك الموسيقى يدحرج دحلاً الى الأمام وإلى الوراء في أحد الشقوق ، وهو يكاد يتجمد من البرد ، ينظر الى ...

قالت السيدة سنيل :

— يا إلهي ! ما الذي دهاه ؟ أعني لماذا ذهب على هذه الصورة ؟

ونفخت بوبو حلقة من الدخان وحيدة ، مجهضة ، على الزجاج :

— لقد قال له أحد الأطفال في ذلك اليوم يمزحه « إن رائحتك كريهة ، أيها الصغير . » ونعتقد بأن ذلك هو السبب على الأرجح . لا أدري على وجه التوكيد . إن ذلك ليتجاوز ادراكي .

وسألت السيدة سنيل :

— وهل يقوم بذلك منذ فترة طويلة ؟ أعني منذ متى بدأ يقوم بهذه التصرفات

قالت بوبو بلهجة مؤرخ :

— حسناً ، منذ أن بلغ الثانية والنصف . لقد راح يختبئ تحت مغسلة في الطابق الأرضي لمنزلنا .

في غرفة الغسيل . كان هناك بنت اسمها نوامي وهي صديقة عزيزة عليه قد

فأفهمته بأن لديها دودة في زجاجة « الترموس » التي تحملها . هذا كل ما استطعنا فهمه منه على الأقل .

وتنهدت ، وتركت النافذة ، وقد تعلق بسيجارتها ذيل طويل من الرماد ، واتجهت نحو باب الحديقة ، وبدلاً من كلمة الوداع قالت :

— يجب أن أعود اليه .

وضحكت السيدتان . وقالت ساندرا للسيدة سميل :

— « ميلدريد » ! إذا لم تتحركي فسيفوتك الاوتوبوس .

واغلقت بوبو باب الحديقة وراها ...

كانت تستند الى الحاجز الصغير الذي يحيط بالموج ، وهي تتلقى أشعة الشمس الأخيرة في ظهرها . وعلى بعد مئتي خطوة أمامها ، كان ابنها ليونيل جالساً على المقعد الخلفي لزورق والده . كان الزورق مربوط الى الشاطئ دون شراع ولا صاري يؤلف زاوية قائمة تماماً مع نهاية الجسر . كانت هناك حديقة ترلج مهمة او لملمها ضائعة ، تطفو على بعد بضعة عشرات من الأمتار ، مقلوبة على قفاها لم يكن يبدو على البحيرة أي مركب للتنزه ، اللهم الا مركب المقاطعة الذي يلوح من بعيد وهو يقترب من مرسى « ليتش » ولم تتمكن بوبو من أن تلتقط صورة واضحة لليونيل . أما الشمس فلم تعد شديدة الحرارة ، ولكنها كانت شديدة الوهج تفرق كل ما كان يوجد على مسافة ما — صيباً كان او مركباً — كل ذلك كان يبدو غائماً منكسراً كما تبدو عصا ألقيت في الماء .

وما هي الا لحظات حتى أقلمت بوبو عن ذلك ، فزقت عقب سيجارتها بين أصابعها ، كما يفعل الجنود ، وانحدرت نحو الجسر .

كان ذلك في شهر تشرين الأول . وكان الجسر يعكس أمواج الحرارة على الوجوه . كانت تتقدم وهي تصفر بين أسنانها لحن « كنتكي بيب » . وما ان وصلت

الى نهاية الحشبة التي تؤلف الجسر حتى جلست القرفصاء على حافتها مبادعة بين ركبتيها ، ونظرت الى ليونيل القابع تحتها . كان على أقل من طول مجذاف منها فلم يرفع عينيه اليها . قالت بوبو :

— اويه يا صديقي القرضان القابع في المركب . ما أنذا هنا أيتها السمكة القنبرة !
وبان على ليونيل فجأة أنه يريد أن يظهر مهارته كبشار دون أن يرفع عينيه ، فعمط الدفة الى اليمين عطفاً قوية ، ثم أعادها اليه على الفور . كان يثبت عينيه باصرار على ظهر السفينة .

قالت بوبو :

— هذه انا ، بوبو قانبوم . . . بوبو غلاس قبل الزواج . . . نائبة الأميرال . . .
أقوم بجولة تفتيشية على المبتدئين .

وسمع جواب .

قال ليونيل :

— لست أميرالاً ، انك سيده .

كان يلجأ الى التقاط أنفاسه في منتصف عباراته فاذا هو يبتلع الكلمات التي كان يريد ما أن تبرز واضحة عالية . وكانت بوبو تبدو مصغية اليه بأذنيها وعينها معاً .

— من قال لك ذلك ؟ من قال لك إني لست أميرالاً ؟

فقعم ليونيل بجواب غير مسموع .

وسألت بوبو من جديد .

— من ؟

— بابا .

ومدت بوبو يدها وهي ما تزال تجلس القرفصاء بين الرقم ٧ الذي يتألف من

ساقبها المنفرجتين ، وامسكت بحافة الجسر الخشي لتحفظ توازنها ، ثم قالت :
- إن أباك رجل لطيف . وهو في يقيني أمهر بحار أعرفه في المياء العذب .
صحيح كل الصحة أني لست الا سيدة عندما اكون على اليابسة ، ذلك صحيح
جداً ، ولكن مهني الحقيقية ، بالدرجة الأولى ، هي أن أصارع ...

قال ليونيل :

- لست اميرالا .

- ماذا تقول ؟

- لست اميرالا . انك أبداً سيدة .

وران صمت قصير استغله ليونيل الذي كان يمسك بالدفة بكلمات يديه ليغير
الاتجاه من جديد . كان يرتدي بنطالا قصيراً من الكتان الأسمر ، وكنتزة نظيفة
من القطن الأبيض نقشت على صدرها صورة « جيروم لوتروش » وهو يعزف
الكمان . كان جسمه قد لوحته الشمس ، وشعره الذي يشبه شعر أمه قد تصل
لونه بتأثير الحرارة . قالت بوبو :

- كثيرون هم الذين يظنون بأنني لست أميرالا ، ذلك لأنني لا اصرخ بهذا
دائماً على رؤوس الأشهاد .

وسحبت سيجارة وثقاباً من جيب بنطالها وهي تحاذر أن تفقد توازنها :

- إني نادراً ما ارجب في الحديث عن رقبتي مع الناس ، وخاصة مع الصبيان
الذين لا يرفعون أبصارهم الي اذا ما تحدثت معهم . لا بد أن اقوم بعمل يضطرهم
الي طردي من البحرية بخسارة وضجة بالغتين . وبدون أن تشعل سيجارتها
نهضت فجأة ، وانتصبت بوضع استعداد ؛ وجمعت أيهام يدها اليمنى وسبابتها على
شكل بيضوي ، أدنته من شفتيها ، واخرجت صوتاً يشبه صفارة البوق .

وسرعان ما رفع ليونيل رأسه ، وبداله أن ذلك الصفيو لم يكن الا مزاحاً
على الأغلب ، ولكنه كان مهتماً به أشد الاهتمام ، ففتح فاه ، واطلقت بوبو لحناً

هو مزيج من النقر وقرع الطبل - ثلاث مرات دون توقف - ، ثم ألقت تحية حسب الأصول الى الشاطئ الآخر . وعندما عادت أخيراً الى جلستها الأولى على حافة الجسر الخشبي بدت وكأنها تفعل ذلك مرغمة ، كما لو أنها كانت مضطربة بتأثير الافضاء بتقليد بحري يستعصي فهمه على المدنيين والصبية الصغار ، ثم راحت تتأمل أفق البحيرة الممدود لحظة ، ثم تذكرت بأنها ليست وحيدة ، فأرسلت الى ليونيل نظرة مفعمة بالخطورة ، وكان فمه ما يزال مفتوحاً :

- انه صغير مري لا يحق لغير الأميرالات أن يسمعه .

واشعلت سيجارتها ، واطفأت الثقاب بنفثات طويلة من الدخان بشكل

مسرحي .

- ماذا سيحل بي لو عرفوا بأنني قد استعنتك هذا الصغير .

وهزت رأسها . ومن جديد حولت بصرها الى الأفق .

- أعيدي ذلك .

- مستحيل .

- لماذا ؟

وهزت بويو كتفها .

- هناك عدد كبير من صف الضباط في الاماكن المجاورة ، وكلهم من طراز ..

وبدلت مكانها ، وجلست وساقاها متصلبتان على الطريقة الهندية ، ثم رفعت

جواربها القصيرة وقالت بلمهجة مراضية :

- سأقول لك ماذا سنعمل الآن ، اذا قلت لي لماذا هربت ؟ سأصفر لك كل

ضروب الصغير السرية التي أعرفها ... أتوافق على ذلك ؟

واعاد . ليونيل عينيه الى سطح المركب على الفور وقال :

- لا .

- لماذا لا ؟

- لأن ...

- لأن ماذا ؟

قال ليونيل :

- لأنني لا أريد .

وإدار الدفة بحركة قوية ليؤكد ما قاله .

كانت بوبو تحمي بيدها جانب وجهها الأيمن من الشمس :

- ألم تقل لي بأنك انتهيت من كل هذا ، وأنتك لن تعود إلى الحرب . لقد ناقشنا

ذلك معاً . ووعدتني ألا تعود إلى ذلك . لقد وعدتني ... اليس كذلك ؟

وهمهم ليونيل بجواب لم تسمعه .

قالت بوبو :

- ماذا ؟

- لم أعد بشيء قط ...

- بلى ، لقد وعدت . وكيف لا ؟

واستمر ليونيل يمسك بدفة سفينته . ثم أردف قائلاً :

- إذا كنت أميراً لاحقاً ، فأين أسطورك ؟

- أسطولي ؟ إني مسرورة جداً لأنك طرحت علي هذا السؤال . ونهضت

لتنزل بدورها إلى القارب .

وأمر ليونيل دون أن يرفع صوته أو يدير بصره :

- إلى عرض البحر ... لن يركب أحد ؟

- ألا تريد أن يركب أحد ؟

كانت قدم بوبو قد لامست مقدمة المركب فسحبته طائفة ، وأعادتها إلى

محاذاة الجسر .

- لا أحد على الإطلاق .

وعادت إلى الجلوس على الطريقة الهندية .

- لماذا ؟

واجاب ليونيل دون تردد ، ولكن بصوت خفيض من جديد .

قالت بوبو :

- ماذا تقول ؟

- لأنه ليس لأحد الحق في ذلك .

ونظرت بوبو بجهد الى الصبي الصغير . ومكثت فترة لا تقول شيئاً .

ثم تابعت أخيراً :

- يؤلمني كثيراً أن أسمع ذلك . لقد كنت أرغب حقاً في الصعود الى مركبك ..

إني وحيدة جداً بدونك . انك توحشني كثيراً . فهل تعرف ذلك ؟ كنت وحيدة

في المنزل طوال اليوم دون أن أجد بجانبني من أنحدث اليه .

لم تبدر أية حركة لادارة الدفة خلال ذلك . كانت ليونيل يتفحص قطعة

الخشب على يد الدفة ذاتها . قال :

- عندك ساندرا ... يمكنك أن تتحدثي اليها .

قالت بوبو :

- ان ساندرا مشغولة ؛ وعلى كل حال فانا لا أرغب في الحديث مع ساندرا ،

بل معك أنت . إني أرغب في الصعود الى مركبك ، والتحدث اليك .

- تستطيعين أن تتكلمي وانت مكانك .

- ماذا ؟

- تستطيعين الكلام من هناك ...

- لا . لا أستطيع . إني بعيدة جداً . يجب أن نكون أشد قرباً .

وادار ليونيل الدفة ، وقال :

- لا ، لن يصعد أحد .

- ماذا ؟

— لن يصعد أحد .

وسألت بوبو :

— حسناً . هل تريد إذاً أن تقول لي من أين انت ؟ ولماذا هربت ؟ بعد أن وعدتني بالآ تعود الى ذلك !

كانت هناك نظارة لأعماق البحر تقبع في قاع المركب ، بجوار المقعد الخلفي ، وكجواب وحيد أمسك ليونيل بانشوطتها الجلدية بين أيهام قدمه اليمنى والاصبع الاخرى ، ومد ساقه بسرعة ، ثم القاهامن فوق الحاجز فالتحدرت بسرعة الى الأعماق .
قالت بوبو :

— هذا لطيف منك ، هذا عمل بئس ... إنها نظارة عمك ويب . سيكون شديد السرور بهذا العمل .

— لا يهمني ذلك .

وسحبت من سيجارتها نفساً طويلاً .

— وقبل ذلك كانت لعمك سيمور .

— لا يهمني ذلك

قالت بوبو :

— أرى ذلك ، أرى ذلك جيداً .

كان الطرف المشتعل من سيجارتها المرصوص بين أصابعها قد بلغ نهاية خطرة . لقد مس إحدى عقد أصابعها ، وسرعان ما فوجئت بالحرارة ، والقت باللفافة على سطح البحيرة . ثم اخرجت شيئاً ما من احد جيوب بنطالها . كانت علبة بحجم علبة ورق اللعب تقريباً ، مغلفة بورق أبيض ، مربوطة بشريط أخضر . قالت وهي تحس بنظرة الصبي ترتفع نحوها :

— انها حاملة مفاتيح ... تماماً كذلك التي يملكها بابا ... لكنها تشتمل على عدد اكبر من المفاتيح . في هذه الحاملة عشرة منها ...

ومد ليونيل يديه ، وهو ينحني على مقدمه الى الأمام ، ليلتقطها ، قائلاً :

— هل ترمين بها من فضلك ؟

— لنتفحص الأمور جيداً ، امهلني لحظة . يجب ان افكر قليلاً . يجب أن أرمي حاملة المفاتيح هذه في البحيرة ...

فحملق فيها ليونيل باندهاش ، ثم أغلق فاه ، وأردف قائلاً وهو غير واثق من حقه فيها :

— إنها لي ...

وهزت بوبو كتفها ، وبصرها مثبت عليه :

— سيان عندي .

وعاد ليونيل الى الجلوس بهدوء على المقعد . وكان ما يزال يحرق في أمه . ويبحث باليد اليمنى عن الدفة خلفه . كانت نظراته تنبئ بأنه قد فهم تماماً ، كما كانت والدته تنتظر منه ذلك !

— خذ !

ورمت اليه بوبو بالعبة ، فسقطت تماماً على ركبتيه ، فنظر اليها ثم امسكها واعد النظر كرة أخرى ، عندما أصبحت في يده ، ثم قذف بها بقوة ، ومن خلف كتفه ، في البحيرة . ثم رفع عينيه على الفور الى بوبو ، عينين لم تر فيها التحدي بل الدموع . وما هي الا لحظة حتى كانت شفتاه تتمددان على هيئة ثمانية اقية ، وراح يبكي بكل جوارحه .

نهضت بوبو بخذر ، كمن تخدرت رجلاه وهو جالس في المسرح ... وهبطت الى المركب ، وما هي الا لحظة حتى كانت تجلس في المقعد الخلفي ؛ واليبحار على ركبتيها ، وهي تهدده ، وتقبله في عنقه ؛ وتقول له :

البحارة لا ييكون يا صغيري .. إنهم لا ييكون مطلقاً الا عندما تفرق باخترتهم ، او عندما يفرقون ، ويتمسكون بقطعة من الخشب ، ولا يبقى معهم

شيء للشرب ، ولا ...

- ساندرا ... انها ساندرا ... قالت للسيدة سنيل بأن بابا قدر .. برميل كبير قدر ..

وكبحت بوبو انتفاضة ، ثم رفعت الصبي من على ركبتها ، ووقوفته أمامها ، ثم أزاحت خصلة من الشعر كانت على جبينه :
- لقد قالت ذلك .. هيه ؟

وهز ليونيل رأسه بجد أن نعم .. ثم اقترب ، وهو ما يزال يبكي ، ليكون بين ساقى أمه .
قالت بوبو :

- حسناً ، ليس ذلك فظيماً الى هذا الحد ،

وحبسته بين ذراعيها وساقها :

- كان يمكن ان يكون أسوأ من ذلك .

وراحت تمض بلطف أذن الصبي .

- هل تعرف يا حبيبي معنى « البرميل » .

وسواء أكان لا يقدر .. أم لا يريد ذلك ، فقد امتنع ليونيل عن الإجابة فوراً ، وترك نشيجه هداً قليلاً ... وعندما تكلم كان صوته يخرج مختفياً تحت تأثير حرارة عنق بوبو .

ثم قال :

- انه وعاء كبير يوضع فيه الماء .

وازاحت بوبو ابنها قليلاً لتستطيع أن تراه بصورة أفضل . ودست يدها في

اسفل بنطال الصبي وهو ينتفض ، ثم رفعته ، ورقبت له قميصه القطني بعناية ،
وادخلته تحت البنطال . ثم اردفت :

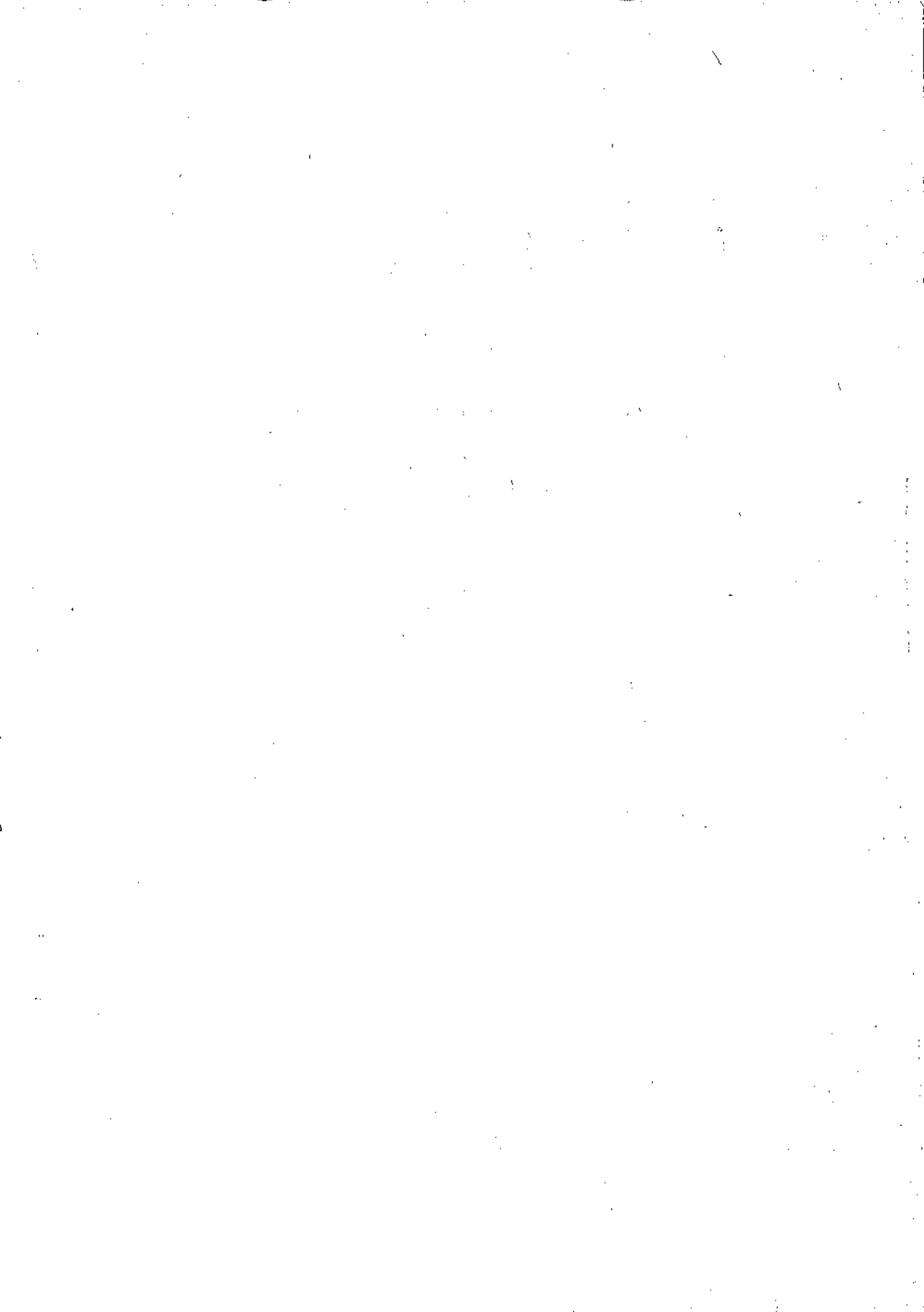
— سأقول لك ماذا سنعمل ؟ ستركب السيارة في جولة حتى المدينة ..
وسنشترى مخلل الخيار وشيناً من الحبز .. ثم نأكل مخلل الخيار في السيارة .. ثم
نذهب لانتظار بابا في المحطة .. ثم نعود الى البيت ... ونطلب اليه أن يأخذنا في
تزهة بالمركب .. يجب أن نساعد في تثبيت الشراع .. هل توافق ؟

قال ليونيل :

— موافق .

لم يسيرا على قدميهما في عودتهما الى المنزل ، بل قاما بالجولة المتفق عليها ...
وهكذا انتصر ليونيل .

مِنْ أَجْلِ اِسْمِهِ
مَعَ الْحُبِّ وَالِدَنَاءَةِ



تلقيت ، منذ أيام ، دعوة بالبريد الجوي لحضور زواج في انكلترا يتم في ١٨ نيسان : وكنت شديد الرغبة في حضور هذا الزواج . وعندما وصلتني الدعوة بدا لي أولاً أنني أستطيع أن أقطع المسافة بخفة جناح . وليذهب الحرص الى الجحيم ! ثم قلبت الأمر على وجهه مع زوجتي ، وهي فتاة متزنة الى حد يبهز الانفاس وقرقرارنا في النهاية على أن نهمل الموضوع .

وكان من أهم الدواعي لذلك أنني كنت قد نسيت كل النسيان أن حماي تبتهج أيما ابتهاج بقضاء الاسبوعين الاخيرين من نيسان معنا .

ولم تكن الفرصة لتسرح لي دائماً برؤية الأم غرونشر ، لا سيما وقد بعد العهد بينهما وبين الشباب . إنها الآن في الثامنة والخمسين ، (او هي على الأقل السن التي تتحمل أن يعطيها اياها الآخرون) .

ومها يكن من أمر فاني لم اكن على أية حال من اولئك الذين لا يبادرون ، أينما وجدوا ، لكي يمنعوا زواجاً من الانعطاف في طريق الكارفة . وهذا ما دعاني الى أن ألقى على الورق ببضع ملاحظات تلقي ضوءاً على العروس التي كنت اعرفها منذ ما يقرب من ست سنوات .

ولن اكثر كثيراً اذا ما كان من شأن تلك الملاحظات أن تحمل الى العريس الذي لا اعرفه بعض اللحظات القاسية فانا لا اسمي في هذه الصفحات التالية الى ارضاء الآخرين بقدر ما ارغب في البناء وزرع العير في الطريق .

كنت في نيسان من عام ١٩٤٤ واحداً من ستين جندياً امريكياً يتبعون ، في

مقاطعة « دوفونشاير » بانكلترا ، تدريباً خاصاً بعمليات الانزال تحت إشراف
شعبة المخابرات . وعندما ترجع في الذكريات الى تلك الفترة الآن يخيل الي أننا
نحن الجنود الستين كنا من نوع فريد . ذلك أنه لم يكن فينا ما يسمى بالشخص
الاجتماعي الذي يحسن الاتصال بالناس . كنا جميعاً من أولئك الذين يجيدون تحوير
الرسائل بشكل خاص ، وكنا عندما يفتح أحدها فاه بشيء لا يتعلق بالخدمة
فذلك لكي يسأل زميله عما اذا كان لديه بعض الخبر الذي لا يستعمله هو نفسه .
فاذا لم تكن بصدد كتابة رسالة ، او سماع محاضرة اتبع كل منا طريقه الخاص .

كان طريقي بوصافي عادة الى الريف المجاور كلما وجدت الجو رائقاً . فاذا
ما وجدت الجو طراً بحثت عن زاوية جافة ، وجلست أطالع ، مبتعداً أقصى ما
استطيع عن منضدة « البنغ بونغ » .

ودام التدريب ثلاثة أسابيع ، وانتهى ذات يوم من أيام السبت . كان يوماً
شديد المطر . وفي ذلك المساء الأخير كان على فرقتنا كلها أن تنتقل الى لندن في
حوالي الساعة السابعة . وكانت الشائعات تتردد بأننا كنا سنلحق بفرق المشاة التي
نقلت بالطائرات وأعدت لليوم ج ...

وما كادت الساعة الثالثة تدق حتى كنت قد حزمت جميع متاعني في حقبي ،
بما في ذلك جعبة قنار الغاز الذي وزع علينا . كانت الجعبة مصنوعة من القماش
فملأناها بالكتب التي حملتها معي مما وراء المحيط . أما قنار الغاز نفسه فكنت قد
قذفت به الى البحر من نافذة الباخرة « موريتانيا » منذ أسابيع ، لأنني كنت على
يقين من أنه اذا ما خطر للعدو يوماً أن يستخدم الغاز فلن يتاح لي مطلقاً أن أضع
هذا القنار اللعين في الوقت المناسب . واذكر أنني مكنت فترة طويلة أمام ثكنتنا
اراقب المطار يطل خطوطاً مائلة مكفهرة ، وكانت إصبعي تؤلمني حقاً لكثرة ما
ضغطت على لسان البندقية .

كنت أسمع وراء ظهري الصرير البغيض لعشرات من أقلام الخبر على عشرات
من البطاقات تحمل في أعلاها عبارة « البريد الجوي » . وفجأة ، ودون أن يكون

في رأسي شيء محدد ، ابتعدت عن النافذة ، ووضعت مطري ، ولثامي الذي يخفي حتى أنفي ، وحذائي الضخم ، وقفازي الصوفيين ، وسدارة ما وراء المحيط التي كنت ارتديها مائلة حسب زاوية خاصة ما زال رفاقي يتحدثون عنها حتى الآن ، زاوية تجاوز الأذنين بقليل . ثم ضبطت ساعتي على ساعة دورة المياه ، وهبطت المدينة عن طريق الهضبة الطويل ذي الاسفلت المبلل .

لم اكن اكثر اياما اكثرث للبرق يخطف البصر من حولي ، كأنما كانت تلك فرصتي الأخيرة ، فلما أن اقنصها ، او ادعها تغلت مني الى الأبد

وفي وسط المدينة ، في اكثر امكنتها عرضة للبلل بالتأكيد ، توقفت قبالة كنيسة لأقرأ لوحة النشاط الكنسي ، لأن الأحرف البيضاء المرسومة على لوحة سوداء استرعت انتباهي من جهة ، ولأني من جهة أخرى كان قد تكون عندي ، خلال الأعوام الثلاثة التي سارحتها في الجيش ، فعل منعكس وهو قراءة كل اللوحات أياً كان مضمونها .

كان الجدول يشير الى أن ثريناً لجوقة المنشدين سيجري في الساعة الثالثة والرابع . ونظرت الى ساعة معصمي ، ثم الى اللوحة . كان هناك جدول بأسماء الأولاد الذين سيشاركون في التمرين . مكثت واقفاً تحت المطر أطلع قائمة الأسماء حتى آخرها ... ثم دخلت الكنيسة .

كانت مجموعة من البالغين قد انتشرت في الأروقة . وكان بعضهم يسك فوق ركبتيه احذية من المطاط صغيرة الحجم ، مقلوبة على قفاها ، فاجتزت صحن الكنيسة ، واتخذت مكاني في الصف الأول .

كانت الجوقة تتألف من عشرين ولداً تتراوح أعمارهم بين السابعة والثالثة عشرة ، معظمهم من البنات : وكانوا يتراصون في صفوف ثلاثة من الكراسي الصغيرة . وفي تلك اللحظة أطلقت مدرسة الموسيقى ، وهي امرأة ضخمة ترتدي ثوباً من « التويد » ، وطلبت الى الأولاد أن يزيدوا في فتحة أفواههم . ثم ابتدروا بهذا السؤال :

— هل فيكم من سمع عصفوراً صغيراً يغني أغنيته الجميلة دون أن يبدأ بفتح منقاره الصغير الى أقصاه ، الى أقصاه .. الى أقصاه .. ؟

ويبدو أن أحداً منهم لم يسمع شيئاً من ذلك ، فاكتفوا بأن منحوها نظرة فيها شيء من الاهتمام ، ولكنها صامتة .. ثم تابعت قائلة : إنها تود أن يفهم كل أطفالها جيداً معنى الكلمات التي ينشدونها ، وألا يكتفوا بالقائها كالبيغاوات الحمقاء . ثم نفتحت في الآلة الموسيقية نغماً معيناً ، ورفع الأطفال ، على اثرها ، كتب الانشاد كمجموعة من المحكومين بالأشغال الشاقة في سن مبكرة .

كانوا ينشدون دون مرافقة الموسيقى ، او على الأصح ، دون أن يضايقهم أي اعتبار في وضعهم ذاك .

كانت أصواتهم جميلة ، صافية ، الى حد أن أي إنسان أشد تصوفاً مني قد يحمل ، دوناً ارغام ، على التحليق تحت تأثير الأصوات وحدها .

كان اثنان من الأطفال الصغار يمدون قليلاً أواخر المقاطع ، ولكن بطريقة لم تكن أم المؤلف نفسها بقادرة على أن تكشف أي خطأ فيها .

لم اكن قد سمعت هذا التشديد قط ، ولكني رأيت نفسي أتمنى لو أنه اشتمل على اثني عشرية من المقاطع .

كنت — وانا أصغي — أتفحص وجوه جميع الأطفال . ولكن أحدها لفت انتباهي على الأخص .

كان وجه البنية التي تقف أقرب ما يكون مني في نهاية الصف الأول ... كانت في حوالي الثالثة عشرة ، شعر أشقر ، سبط ، قص قصيراً ، جبهة رائعة ، عينان تنظران بعرف ونفور ، وتستطيعان بكل تأكيد — حسبما خطر لي — أن تقدموا لك بياناً عن شخصيتك في أقل من اثنتين .

كنت أميز صوتها بوضوح بين أصوات الأطفال الآخرين ، لأنها كانت أقربهم الى مكاني ، بل لأنها تملك أحسن أداء للأغنام العالية .

كان صوتها أصفى الأصوات وأرقها ، وأكثرها وثوقاً بنفسه ، وكانت بالطبع تقود الآخرين ، وكان يبدو على الأنسة الصغيرة أنها ضجرة من موهبتها ، أو أنها ضجرة من المكان والزمان اللذين تمارس فيهما هذه الموهبة فقط .

رأيتها مرتين تتناوب بين المقاطع . كان تتأولاً شبيهاً بتشاوب السيدات .. شفاء مغلقة .. لو لم يفصحها جناحاً منخريها حين يضطربان .

وما إن انتهى التشيد حتى راحت معلمة الغناء تشرح بأسهاب رأيها في الأشخاص الذين لا يعرفون كيف يحتفظون بأرجلهم ساكنة ، وفهمهم مغلقاً أثناء الموعظة .

أدركت أن التعرّين قد انتهى ..

وقبل أن يقضي صوت الاستاذة النشاز قضاء مبرماً على السحر الذي خلقه صوت الأطفال نهضت وغادرت الكنيسة ..

كان المطر ما يزال يتدفق بصورة أغزر حين هبطت الشارع ، وألقيت نظرة من النافذة على صالة الاستراحة في مقر الصليب الأحمر ، ولاح لي اثنان أو ثلاثة من الجنود يرتفقون المنضدة . وكنت حتى من خلال الزجاج اسمع وقع كرات « البنغ بونغ » في الغرفة المجاورة .

ولم البث أن اجتزت الطريق ، ودخلت مقهى للمدنيين قد خلا من الناس ، اللهم الا من خادمة نَصَف كانت تؤثر على الاغلب - كما تراهي لي - زبوناً بعطف جاف .

استخدمت المشجب ، وأنا أحاول الا ألفت النظر الي ، وجلست امام منضدة ثم طلبت فنجاناً من الشاي ، وقطعة من البسكويت بالقرفة . كانت تلك هي المرة الأولى التي أحدث فيها احداً هذا النهار . ثم رحمت افتش جيوبى كلها تفليساً دقيقاً ، حتى جيوب معطفي ، لاعترا اخيراً على رسالتين قديمتين رحمت أعيد قراءتهما من جديد . كانت احدهما من زوجتي تقص علي فيها كيف

أصبحت تجارة محل سكرافت في الشارع رقم ٨٨ ، والاخرى من حاتي ترجوني فيها أن أبعث اليها بصوف للحياكة حالما تسنح لي الفرصة بمفادرة الشكنة .

كنت ما أزال ارشف قندح الشاي الاول حين دخلت الصالة الآنسة الصغيرة التي أعجبت بها ، وأصغيت اليها في الجوقة .
كان شعرها مبتلا ..

وكانت أطراف أذنيها تظهر من تحته ..

وكان بصحبتهما صبي صغير جداً هو اخوها دون أي شك ، رفعت عن رأسه قبعته بجرعة من إصبعيها كما يفعل عالم في المختبر . واغلقت السير ، سير المجموعة ، امرأة قوية الجسم تعتمر قبعة من اللباد ، يبدو أنها المربية .

اجتازت منشدتنا الصالة وهي تخلع معطفها واختارت منضدة . كان اختياراً رائعاً بالنسبة لي ، فقد كانت المنضدة في مواجهةي تماماً . لا تبعد اكثر من مترين او ثلاثة عني . ولم تلبث أن جلست هي والمربية ؛ أما الصبي الصغير الذي لا يتجاوز الخامسة فقد بدا لي أنه لم يكن قد قرر الجلوس بعد . لقد خلع سترته وتركها تقع على الأرض . وراح يزعج مربيته بدون انقطاع وهو مقطب الوجه ، منقبض السحنة . كشيطان مكتمل . كان يدفع بكرسي المربية ثم يجذبه من الأمام الى الخلف ، ثم يحديق فيها وجهاً لوجه ليرى الانطباع الذي يخلقه عمله هذا في نفسها . وعبثاً حاولت المربية أن تطلب إليه بصوت خفيض مرتين او ثلاثاً أن يجلس ، ويكف عن تلك الحركات المزعجة ، ولكنه لم يستجب ، ويضع مؤخرته على كرسيه الا حينها أمرته شقيقته . وأخيراً التقط منشقته ثم وضعها على رأسه ، فما كان من شقيقته الا أن سحبتها ، وفرشتها على ركبتيه .

وفي اللحظة التي قدم اليهم فيها الشاي ، فاجأت المنشدة الصغيرة نظرتي التي كنت القياها على مجموعتهم ، فنظرت الي بدورها نظرة كلها اهتمام بعينيها الفاحصتين المنقبضتين ، والقت الي فجأة بابتسامة مجاملة خاطفة . كانت ابتسامة مشرقة كما تكون

أحياناً بسمات الجاملة الصغيرة . فقابلتها . بابتسامة أقل إشراقاً . كان علي أن أخفي
بشفني العليا الشمع الأسود الذي وضعه الطبيب على أسناني الأمامية . وقبل أن أنتبه
كانت الآنسة قففت بجانب منضدتي بثقة بحسدها عليها الكثيرون .

كانت قرندي ثوباً مخططاً تراهي لي أنه يلائم كل الملاءمة فناة في يوم مطير .

قالت :

— كنت اعتقد بأن الأمريكان لا يحبون الشاي .

لم تكن تلك الملاحظة ملاحظة فناة تعرف — كل — شيء . « بل واحدة
مفرمة بالدقة والاحصاء .

أجبت بأن بعض مواطني لا يشربون شيئاً خلافاً ؛ وسألها ما اذا كانت تقبل
أن تشاركني منضدتي . قالت :

— شكراً . يمكنني أن ألي دعوتك بعض الوقت .

نهضت ، وقدمت لها الكرسي المقابل لي ، فجلست على حافته مستقيمة ، في
وضع رشيق ، دون تصلب ؛ وعدت مسرعاً الى مقعدي ، وفي نيتي أن أجعل
الحديث بيننا شائناً . إلا أنني لم أجدهما أقوله عندما جلست .

ابتسمت من جديد ، دون أن أنسى اخفاء الشمع الأسود الذي يزين أسناني ،
وابديت ملاحظة عابرة حول الطقس الرديء .

قالت زميلتي بصوت يشير بوضوح وتأكيد الى انها تكره الحديث السطحي :

— نعم

ثم أسندت أصابعها على حافة المنضدة ، كما يفعل من يقوم بجلسة استحضار
الأرواح ثم أطبقت يديها حالاً . كانت أظافرها قد قرضت حتى الجذور . وكانت
تضع في معصمها ساعة من طراز عسكري جداً ، تشبه ميزان الجو الذي تستعمله
البحرية . كان حجمها ضخماً جداً بالنسبة لمعصمها النحيل .

قالت بلهجة من لا ينتظر جواباً :

- كنت تستمع الى الجوقة ، لقد رأيتك هناك .
واجبت مؤكداً بأنني كنت هناك ، وأني ميزت صوتها من بين سائر الأصوات .
وقلت بأنها تملك حنجرة جميلة جداً .
فردت :

- نعم ، أعرف ذلك . إني انوي احترام الغناء .
- حقاً ؟ في الأوبرا ؟
- لا ، بكل تأكيد . سأغني الجاز في الاذاعة ، واكسب مالا كثيراً ، ثم
أنزوي في مزرعة خاصة في الأوهيو عندما ابلغ الثلاثين .
ومررت راحة يدها على شعرها المبتل . ثم سألت :
- هل تعرف الأوهيو ؟

قلت بأنني اجتزته عدة مرات في القطار ، ولكني لا أعرفه تماماً . ثم قدمت
اليها قطعة من بسكويت القرفة . قالت :

- لا ، أشكرك . اذا كان لابد من الصراحة فأني آكل كالعصفور .
ورحت أمضغ قطعة من البسكويت وأشرح لها أن هناك مناطق وعرة
في الأوهيو .

- اعرف ذلك . لقد حدثني عن تلك البقعة الأامريكي قابله ذات يوم . انك
الامريكي الحادي عشر الذي اتعرف اليه .

كانت مربيتها في تلك اللحظة تشير اليها بالعودة حالاً الى منضدتها قائلة بأنه
يجب ألا تزعم السيد ؛ وكان جواب زميلتي الوحيد أن حركت كرسيا يهدوء عدة
سنتيمترات بحيث أولت المربية ظهرها ، وقطعت كل اتصال معها .
وسألتني بلهجة واثقة :

- هل تداوم على مدرسة المحاربات الموجودة على الهضبة ؟

وبدون أن أظهر الغضب ، أجبته بأني أقيم في منطقة « الدفونشاير » لأسباب
صحيحة .

قالت :

- لأسباب صحية ؟ أصبح ذلك ؟ هل تعرف أني لست من مواليد البارحة ؟
أجبته بأني كنت أشك في ذلك . واكتفيت باحتساء الشاي فترة من الوقت . . .
كنت أشعر بأني اصطنع الوقار ، وأني أجلس وظهري متصلب على الكرسي أكثر
منما ينبغي .

وهمست زميلتي بلهجة حادة :

- انك تبدو اذكي من أن تكون امريكياً !
قلت لها بأن هذه الملاحظة تنم على التبيجح والغرور . وارجو ان تكون غير
لا ثقة بها .

واحرراً وجهها . . . فأعطيتي بذلك الثقة التي كانت تنقصني حتى ذلك الحين .
- حسناً ! إن أكثر الامريكيين الذين عرفتهم يتصرفون كالحیوانات .. انهم
أبدأ يتخاصمون .. ويشتمون الجميع ، و . . . هل قدرتي ماذا فعل احدهم ؟ . . .
وهزرت رأسي انت لا . . .

- لقد قذف أحدهم بزجاجة ويسكي فارغة من نافذة عمتي ؛ وكانت النافذة
مفتوحة لحسن الحظ .. أتري في مثل هذا العمل شيئاً من الذكاء ؟ . . . أجب . . .
لم يكن ذلك العمل لينطوي على شيء من الذكاء في رأيي .. فتهربت من التعليق
عليه واكتفيت بأن لاحظت كثيراً من الجنود ، من كل اطراف العالم ، يعيشون
بعيداً عن أهلهم ، وأن قليلاً منهم من عرف شيئاً من السرور الحقيقی طوال
حياته . وقلت بأني كنت اعتقد ان أكثر الناس يمكنهم ان يفهموا ذلك .

قالت زميلتي دون أن تقتنع :

— ذاك محتمل !

ورفعت يدها من جديد الى شعرها المبتل ، وحاولت ان تسبل بضع خصلات
شعر على أذنيها . ثم اردفت :

— إن شعري مبتل بدرجة كبيرة . يجب ان يكون شكلي خفيفاً .
ونظرت اليّ :

— ان شعري يتموج عندما يكون جافاً .

— أقصور ذلك جيداً . إني مقتنع بذلك .

قالت :

— ليس شعري جعداً تماماً ، ولكنه ذو تموجات . هل أنت متزوج ؟

قلت :

— نعم !

فهزت رأسها .

— أأنت مغرم بزوجتك ؟ ام تراني أزدخل فيما لا يعنيني !

قلت لها بأني لا أتردد عن إيقافها عند حدها عندما تفعل ذلك .

ووضعت يديها ومعصمها على المنضدة . واذكر اني ما كدت اعاود النظر الى
ساعتها الضخمة حتى خطر لي ان اعمل شيئاً ، كأن اقترح عليها تحويلها الى حزام .

قالت وهي ترقبني لترى ما اذا كنت ادرك معنى ما ستقول :

— إني لا املك غريزة الاجتماع بصورة عامة .

ولم احر جواباً سلباً كان ام ايجاباً .

— لقد اتيت فقط لأنك بدوت لي في عزلة موحشة . إن لك لوجهاً شديداً

التعبير .

قلت لها بأنها على حق في ذلك . واني اشعر كثيراً بالوحدة . واني كنت سعيداً جداً لأنها قدمت الي .

قالت وهي تمس رأسها من جديد :

- إني ابذل ما في وسعي لأشاطر الآخرين الآلامهم . تقول لي عمي بأني شديدة الجود . إني أعيش مع عمي . انها في غابة اللطف ، لقد بذلت جهدها منذ وفاة أمي للشعر كأننا في بيتنا .

- إني سعيد لذلك .

- كانت أمي شديدة الذكاء ، لامعة في بعض مزاياها .

وحدثت بي تحديقاً عنيداً ببعض الشيء :

- هل تجدني باردة جداً ؟

قلت لها بأنها ليست كذلك على الاطلاق . بل انها على العكس . وذكرت لها اسمي ، وسألتها عن اسمها ، فترددت :

- اسمي الصغير هو ايسمه . لا أعتقد بأني سأذكر لك اسم عائلتي الآن . إن لي لقباً . وربما تأثرت كثيراً باللقاب ، فان الامريكان تستهويهم الالقاب ، هل تعرف ذلك ؟

قلت :

- لا أعتقد بأني كذلك . ولكنها قد تكون فكرة حسنة ان يخفي الانسان اسمه فترة معينة .

وشعرت في تلك اللحظة بنفس حار يلفح نقرتي ، فالتفت ، وكاد أنفي يصطدم بأنف شقيق ايسمه الصغير .

ودون ان يعيرني ادنى اهتمام توجه الى اخته بصوت ناقب :

- تقول الآنسة ميكلي بأن عليك ان تعودتي لتنهي تناول شايبك .

وعندما نقل رسالته انسحب نحو الكرسي الذي يفصلني عن شقيقته من جهة اليمين ، ورحت اراقبه باهتمام بالغ . كان رائعاً حقاً في بطناله من « الشتلاند » البني ، وسترته الصوفية الزرقاء . وقميصه الأبيض ، وربطة عنقه المخططة ، وراح بدوره ينظر الي بعينين خضراوين ، شديدي الاتساع . ثم سأل فجأة :

— لماذا يقبل الناس بعضهم بعضاً في الافلام بصورة جانبية ؟
قلت :

— بصورة جانبية ؟

كانت تلك مشكلة حيرتني في طفولتي فأجبت :

— سبب ذلك ، في رأيي ، ان أنوف الممثلين كبيرة الى حد لا تسمح لهم بالتقبل وجهاً لوجه .

قالت ايسمه :

— ان اسمه شارل ، وذكر أنه يتجاوز سنه بكثير .

— ان له عينين خضراوين جميلتين ! أليس كذلك يا شارل ؟

فالتقى شارل علي نظرة ازدراء تتناسب وسؤالي وانزلق يحسمه على الأرض ، ومرره تحت المنضدة ، ما عدا رأسه الذي قلبه الى الوراء ، صانعاً من جسمه جسراً على أعلى الكرسي . قال بصوت مخنوق ، وهو يتطلع الى السقف :

— انها برتقاليات .

وأمسك بطرف غطاء المنضدة ، وغطى به وجهه الجميل المنقبض .

قالت ايسمه :

— انه ذكي قارة ، غبي قارة . اجلس يا شارل .

لم يتحرك شارل قيد أنملة . كان يحاول ان يلتقط أنفاسه .

— انه شديد التأثير لفقدان أبي . لقد قتل في افريقيا الشمالية .

قلت لها بأن ذلك يؤسفني .

— كان ابني يعبده .

وراحت تعض باهتمام جلد ابهامها المقروض .

— انه يشبه والدتي كثيراً . اني اتكلم عن شارل . اما انا فصورة طبق الأصل
عن أبي .

واستمرت في عض ظفرها المقروض .

— كانت امي امرأة متأججة العواطف . كانت اجتماعية بطبعها ، اما ابني
فكان انطوائياً . كانا يتفاهمان جيداً مع ذلك ، ولأكن صريحة ، بطريقة سطحية .
كان بابا بحاجة الى رفيقة اكثر ذكاء من امي . كان عبقرياً . كان رجلاً ذا
امكانيات ضخمة ...

وانتظرت باهتمام زيادة في المعلومات ، ولكن ذلك لم يأت . خفضت بصري
نحو شارل ، الذي كان يسند خده على أعلى الكرسي ، وعندما رأي انظر اليه
اغض عينيه وتناوم كالملك ، ثم ما لبث ان مد لسانه — وهوزائدة بطول عجيب —
واطلق ذلك الصراخ الذي يحابه به عادة الحكم الضعيف في لعبة البيسبول ،
فانزعج زبائن المقهى جميعاً .

قالت ايسمه دون ان يبدو عليها شيء من الانزعاج :

— كفى ... لقد سمع امريكياً يفعل ذلك وهو يقف في الصف لشراء شيء
من السمك ، والبطاطا المقلية ؛ وهو يردده الآن كلما شعر بالضيق ... كف عن
ذلك ، والا ارسلتك فوراً عند الآنسة ماكلي .

وحماق شارل بعينيه ليظهر انه قد سمع تهديد اخته ، لكنه لم يبد قلقاً مما
سمع ، واغلق عينيه من جديد ، وبقي مسنداً خده على أعلى الكرسي .

فما كان مني الا ان نبهته بأن عليه الا يعود الى ذلك حتى يحمل لقبه رسمياً ..
اذا كان له لقب كذلك بالطبع .

ورشتني ايسمه بنظرة فاحصة ، وقالت بلمجة مأكرة :

- انك تملك روح الدعابة ، اليس كذلك ؟ كان بابا يقول بأني لا املك روح
الدعابة البتة . كان يقول بأني غير مسلحة لمواجهة الحياة . لأنني لا املك
هذه الروح .

ورحت اراقبها ، وانا اشعل سيجارة ، ثم اردفت بأن روح الدعابة غير
ضرورية . وعندما يكون الانسان في ورطة ، فانها لا تجدي نفعا .

- كان بابا يقول العكس .

لم يكن ذلك اعتراضاً . ولكنه تأكيد لاعتقاد معين ، فلم البث ان تراجعت ،
ورافقت ، وقلت بان والدها ربما كان يرى الأمور من علي . . اما انا فلست ارى
في الوقت الحاضر ابعده من طرف انفي - ولاهم كثيراً ما يعني ذلك - .

قالت ايسمه بعد لحظة :

- إن شارل يشعر بالفراغ نتيجة لموت بابا . كان رجلاً لطيفاً جداً . كان
على قدر كبير من الجمال ايضاً . وليس معنى ذلك اني اهتم كثيراً بالمظهر الجسمي ،
ولكن ذلك هو الواقع . كان يملك بالاضافة الى طبيعته اللامتناهية فكراً ثاقباً .

فوافقت ، وقلت بان اباهما - حسب ما اتصوره - يجب ان يكون على قدر
كبير من اتساع الافق ، وغنى اللغة .

قالت ايسمه :

- اره ، نعم ، على قدر كبير . لقد كانت يجمع الوثائق .

- كان من الهواة بالطبع .

وفي تلك الاثناء احسست لكزة ثقيلة من جانب شارل ، اقرب الى اللكمة على
ذراعي . كان جالساً في وضع طبيعي الى حد ما على كرسيه ، لولا انه كان يطوي
احدى ساقيه تحته .

وسأل بلهجة اقرب الى الصراخ :

- ماذا يقول الجدار للجدار الملاصق ؟ إنها أحجية !

وحملت بعينين مفكرتين في السقف ، ورددت السؤال بصوت عال ، ثم نظرت الى شارل كمن سدت سبل التفكير في وجهه ، وقلت له باني لم اوفق الى شيء . فصفق لي صارخاً :

- اللقاء في الزاوية !

وتركت الكلمات الأثر الأبلغ على شارل نفسه . وبدأ له الجواب مضحكاً حتى الموت ، مما اضطر ايسمه الى ان تدور حول المنضدة ، وان قدق له على ظهره لنحول دون اختناقه . ثم اردفت قائلة :

- كفى الآن .

وعادت الى الجلوس .

- انه بطرح هذه الاحجية على كل الأشخاص الذين يلتقي بهم . وفي كل مرة يقع مغشياً عليه من الضحك ، ويسيل لعابه عادة حين يضحك . يكفي ذلك الآن ، ارجوك !

قلت وانا انظر الى شارل الذي اخذ يستعيد وضعه الجدي بالتدريج .

- انها على كل حال من احسن الاحاجي التي سمعتها .

وكجواب على هذا الاطراء ثبت نفسه على كرسيه ، وغطى وجهه من جديد بطرف غطاء المائدة ، ثم نظر الي ، وكان في عينيه بقية من الضحك الهستيري مع كل الاعتزاز الذي يحمله من يعرف أحجية او احجيتين جديديتين . وسألتني ايسمه :

- هل لي ان اعرف ماذا كنت تعمل قبل دخولك الجيش ؟

قلت بأنني لم اعمل شيئاً حتى الان ، واني لم اتخرج من الجامعة الا قبل عام واحد

فقط . ولكنني أحب ان انظر الى نفسي على أنني كاتب قصة .

ورافقت بأدب ، ثم سألت :

— هل نشرت شيئاً ؟

انه سؤال طبيعي ، ولكنه ابدأ محرج . سؤال اجبت عليه آلاف المرات من قبل . ورحت اشرح لها بان أغلب الناشرين الامريكيين ليسوا الا عصابة من... وقاطعتني ايسمه .

— كان أبي يكتب بطريقة رائعة . اني احتفظ بمجموعة من رسائله للأحفاد . قلت بان ذلك يبدو لي فكرة ممتازة . ووقع بصري من جديد على ساعتها الضخمة فسألتها عما اذا كانت لأبيها .

فالتفت على معصمها نظرة جدية وقالت :

— نعم ، كانت له . لقد اعطاني اياها قبل ان نخرج انا وشارل من المدينة بلحظات ...

وسحبت يدها من على المنضدة بشيء من الضيق ، ثم أضافت :

— لقد أعارني اياها فقط ، بالطبع ، ..

ثم غيرت مجرى الحديث :

— ساكون فخورة اذا ما خطر لك ان تكتب يوماً ما قصة لي وحدي . إنني التهم الكتب التهاماً .

قلت لها بانني سأفعل ذلك حتماً ، اذا كان بمقدوري ان افعل ؛ واردفت بانني لست كاتباً غزير الانتاج .

— ليس من الضروري ان تكون طويلة ا يكفي الا تكون سخيفة ، او شيئاً صبيانياً ..

وفكرت قليلاً .

— إن ما أحبه هو قصص الدعاة .

قلت وأنا أخفض رأسي الى الأمام :

— ماذا ؟

— الدعاة . إنني شديدة الاهتمام بالدعاة .

كنت على وشك ان أسألهما مزيداً من التفاصيل ، ولكن شارل قرصني من ذراعي بشدة . فالتفت اليه مذعوراً . كان شديد الدنومي . قال دون أية رسميات :

— ماذا يقرل الجدار للجدار المجاور ؟

قالت ايسه :

— سبق لك ان سألت نفس السؤال . يكفي ذلك الآن !

ودون ان يبالي بها داس شارل على قدمي وردد السؤال الملحاح . ولا حظت ان ربطة عنقه منحرفة فسويتها له ، ثم قلت له وأنا انظر اليه ، وعيناي في عينيه :

— « اللقاء عند الزاوية ؟ »

لم أكد انطق بذلك حتى ندمت على جوابي . فكثت شارل فاغر الفم ، واحسست ان ذلك انما كان من اثر الصدمة ، فنزل عن قدمي بهدوء كمن مست كرامته ، وعاد الى منصته ، دون ان يلتفت .

قالت ايسه :

— انه مفتاظ . ان طبعه شرس جداً . كانت امي تدله ، أما ابي فكان الوحيد الذي لا يدلله .

واوصلت نظري الى شارل الذي جلس ، وراح يحتسي الشاي وهو يمسك فنجاناه بكلتا يديه .

كنت آمل ان يلتفت ، ولكنه لم يفعل .

ثم نهضت ايسه ، وقالت بالفرنسية وهي تتنهد :

— يجب ان أذهب انا ايضاً . هل تتكلم الفرنسية ؟

نهضت وأنا معهم بالحجل والأسف ، فمدت لي ايسه يدها ، وكانت كما توقعت ،

عصبية ، رطبة عند الراحة . قلت لها بالانجليزية بأنني استمتعت كثيراً برؤيتها ..

فلمست شعرها مرة أخرى ، وقالت :

— لقد خطر لي بأن هذه اللحظات قد تحمل اليك شيئاً من السرور . انني قادرة على التحدث أكثر مما توحى به سني .

ولمست شعرها من جديد مرة أخرى ، واردفت :

— انني آسفة جداً لشعري المبتل . انني ابدو فظيعة بدورتي شك ..

— لا ، ابدأ ، اعتقد بأنه قد بدأ يعود الى تموجاته .

ومرة أخرى لمست شعرها بسرعة والقت هذا السؤال :

— هل تظن بأنك قد تعود الى هنا عما قريب؟ إننا نحضر الى هذا المكان كل يوم من أيام السبت بعد التمرين .

أجبت بأنه ما من شيء يعدل ذلك في ادخال السرور الى نفسي . ولكني شبه موقن بأنني لن استطيع ذلك .

قالت اسمه .

— بتعبير آخر ، انك لا تستطيع ان تبوح بشيء عن تحركات القطعات .. لم يكن يبدو عليها ما يشير الى انها ستترك المنضدة ، ولكنهما على العكس صالبت قدميهما ، وحدثت في الأرض ، ووضعت فردي حذاءها على خط واحد . كان ذلك جيلاً يبهج النظر ، فقد كانت ترتدي جوارب قصيرة بيضاء ، وكان كاحلاها ، وقدماهما رائعي التكوين . ثم رفعت رأسها فجأة وسألت ، ووجهها مضرج بالحرة :

— أتود ان اراسلك؟ اني اكتب رسائل حسنة الترتيب بالنسبة لفتاة في مثل ..

— انني اعبد ذلك ..

واخرجت قلماً وورقة ، وكتبت اسمي ، ورتبتي ، ورقمي في السجل ، ورقم قطاعي البريدي ..

قالت وهي تتناول قطعة الورق :

— سأبدأ أنا الكتابة . لن ترى نفسك مرغماً بهذه الصورة ..

ووضعت المعلومات في احد جيوب ثوبها ثم أردفت قائلة .

— الى اللقاء .

وعادت الى منضدتها ..

طلبت قدحاً آخر من الشاي ، ومكثت هناك انظر اليهما معاً ، هي واخوها ، حتى نهضا لمغادرة المقهى ، مع الآنسة ماكلي المتعبة . كان شارل يسير في المقدمة ، ويعرج بصورة محزنة كمن كانت إحدى ساقيه أقصر من الأخرى بعض سنتيمترات . لم يلتفت الي قط . وسارت وراءه الآنسة ماكلي ، ثم تبعتهما إيسمه ، وهي تلوح لي بيدها ، فودعتها ملوحاً بيدي أيضاً ، وأنا انهض قليلاً عن مقعدي .

لقد كانت لحظة مؤثرة بالنسبة لي .

وما هي الا دقيقة حتى كانت إيسمه قد عادت الى المقهى وهي تجر شارل خلفها من كم سترته وابتدرتني قائلة :

— بود شارل ان يقبلك قبلة الوداع .

وضعت فنجاني على المنضدة فوراً ، وقلت بأن هذا الشيء لطيف جداً منه ، ولكني سألتها عما اذا كانت على يقين من ذلك !

قالت وهي ترم شفيتها قليلاً :

— نعم !

ثم تركت كم شارل ، ودفعته نحو ي دفعة قوية ، فتقدم صاحب الوجه ، وقبلني قبلة رنانة ، رطبة ، تحت أذني اليمنى . وما ان قام بذلك حتى استعد للهرب نحو الباب لينصرف الى مشاغل أقل عاطفية ؛ ولكني امسكت به من حزامه واوقفته ، ثم سألته :

— ماذا يقول الجدار للجدار المجاور ؟

فأشرق وجهه وصرخ .

.. موعدا عند الزاوية ..

وانطلق خارج المقهى بضحكة تندو من الهستيرية .

كانت اسمه تقف من جديد متصالبة القدمين ، ثم سألتني :

– صحيح ، انك لن تنسى أن تكتب لي تلك القصة . لا اشترط ان تكون من اجلي فقط .. يمكنك أن ..

قلت :

– ليس هناك أي سبب يجعلني أنسى .

وشرحت لها اني لم اكتب قط قصة لشخص معين ؛ ولكن يبدو ان الوقت قد حان لأبدأ ذلك .

فمزت رأسها موافقة ، ثم اقترحت :

– اكتبها ذئبة ، مؤثرة بصورة عنيفة ، هل عرفت يوماً ما هي الدماء ؟

قلت :

– لا اعرفها على وجه التحديد ، ولكنني بطريقة او بأخرى كنت اجد كل يوم الفرصة لأزداد بها معرفة ، واني سأبذل جهدي لاحترام تعليماتها .. وتضافحنا .

– أليس مؤسفاً أننا التقينا في ظروف اليممة كهذه ؟

قلت لها انها محقة .. إنها مصيبة تماماً ..

قالت اسمه ،

– الى اللقاء . أتمنى ان تعود من الحرب بكامل قواك ، دون أن تصاب بأذى ..

فشكرتها .. وأتبعته الشكر بعدة كلمات تلفظتها ، ثم تبعها بعيني حتى مدخل

المقهى .. ورأيتها تخرج ببطء ، وتفكير عميق .. وهي تنامس طرف شعرها لتؤكد من جفافه .

وها هو ذا الآن القسم الديني ، أو المؤثر من القصة .

وهنا يتغير المشهد .

ويتغير الأشخاص أيضاً .

إني دائماً هنا ..

ولكن لأسباب ، ليس لي الحق في كشف الستار عنها ، اراني اتذكر ببراعة لا يستطيع معها أخبت القراء ان ينجح في التعرف علي .

كانت الساعة تقارب العاشرة والنصف مساءً في « غوفورت » في « بافاريا » بعد اعلان النصر بعدة أسابيع .

كان المعاون س . . في غرفته في الطابق الثاني من المنزل الذي عسكر فيه مع تسعة جنود امريكيين آخرين منذ اعلان الهدنة .

كان جالساً على كرسي خشبي قابل للانطواء . امام مكتب صغير انتشرت فيه الفوضى ، وقد فتح أمامه كتيباً خاصاً بالفرق العاملة ما وراء البحار . وكان يجد بعض المشقة في متابعة قراءته ، لعب في القاريء نفسه اكثر مما هو في الكتاب . ورغم ان رجال الطابق السفلي كانوا الاوائل في التهام الكتب التي ترسلها الخدمات الخاصة في الجيش شهرياً فان س . . كان يقع دائماً على الكتاب الممتاز وكأنما انتقاه بنفسه . ولكنه كان واحد من اولئك الشباب الذين لم يخرجوا من الحرب بكامل قواهم العقلية . وها هو ذا منذ ساعة وبعض الساعة يعيد قراءة كل مقطع ثلاث مرات . ثم انتهى الآن الى ان يعيد الجملة ذاتها ثلاث مرات . وأخيراً اغلق الكتاب فجأة ، دون ان يترك اية اشارة الى المكان الذي توقف عنده . ووضع يده على عينيه بعض الوقت ليقبها النور القوي الذي يرسله المصباح العاري فوق المنضدة .

وتناول لفافة من علبة موضوعة أمامه ، وأشعلها باصابع ما تنفك مرتعشة ، ثم تمدد على كرسيه ، وراح يدخن ، دون ان يتذوق طعم الدخان . انه ما فتئ يدخن منذ اسبوعين بصورة مستمرة لفافة إثر أخرى . . حتى باتت لثته تدمى

لدى أقل ضغط يقع عليها من لسانه . لقد أصبح ذلك بالنسبة له اشبه بلعبة يطيب له أن يستمر بها احياناً ساعة كاملة .

وجلس فترة يدخن ، ويدمي لثته ، ثم شعر فجأة ، ودون ان ينبئه شيء بذلك ، كالعادة ، شعر بذهنه يدور حول نفسه ، ويهتز كمتاع لم يربط جيداً في شبكة القاطرة ؛ فعمل حالاً ما اعتاد أن عمله منذ اسابيع ليعيد الأمور الى نصابها .. لقد ضغط يديه بقوة على صدغيه ، ومكث على هذه الحال فترة غير قليلة ؛ كان شعره بحاجة الى ان يقص ، كما كان متسخاً . لقد غسله مرتين او ثلاثاً طوال الاسبوعين اللذين قضاهما في مستشفى فرانكفورت على الماين ، ولكنه ما لبث ان اتسخ بالغبار طوال طريق العودة الى غوفورت بسيارة الجيب . وسواء أكانت الهدنة قد وقعت أم لا .. فان الرقيب ز .. هو الذي جاء يصطحبه من المستشفى ، وكان ما يزال يقود سيارة الجيب ذات المرأة الأمامية المقلوبة على واجهتها .

لقد كان هناك آلاف من الجنود الأغوار من المانيا ، وكان الرقيب ز .. يحرص كل الحرص على الا يبدو وكأنه واحد منهم . كان يقود سيارة الجيب وهو يدير مراثيهم ليفهم الجميع بان ليس من اولئك الجنود الأغوار .

وعندما استطاع س .. ان يتوقف عن امساك رأسه بيديه راح يتأمل سطح المنضدة المزدهم باثنتي عشرة من الرسائل غير المفتوحة ، + وبخمس اوست من الرزم غير المفتوحة أيضاً ، وكلها يحمل عنوانه . ثم دفع بكل ذلك جانباً والنقط كتاباً موضوعاً الى جوار الجدار . كان كتاباً لغوبلز عنوانه : « العصر الذي لامثيل له » . كان الكتاب يخص صاحبة الدار ، وهي فتاة عازبة ، في الثامنة والثلاثين ، كانت تقطن المنزل قبل عدة اسابيع وكانت عضواً عادياً في الحزب النازي ، ولكنها تتمتع بمرکز ينتهي بها الى ان تكون ، حسب المبدأ الذي وضعه الجيش ، في الزمرة التي يجب ان توضع بصورة آلية وراء القضبان . لقد كان س .. هو الذي اوقفها ؛ وما هو ذا يفتح الكتاب للمرة الثالثة منذ عودته من المستشفى ، ويقرأ الجملة القصيرة المثبتة على صفحة الغلاف . كانت مكتوبة بالحبر ، بخط دقيق ،

باللغة الالمانية ، وكانت الكلمات تنم عن اخلاص لا حدود له ، تبرز منها هذه العبارة : « يا الهي .. الحياة هي الجحيم ! »

جملة وحيدة في الصفحة ، في سكون الحجرة الموحج ، لا شيء قبلها ولا شيء بعدها ، تحمل اهمية حكمة لا ترد ، كأنها حكمة ازلية ..

وراح س .. يتأملها عدة دقائق ، وهو يقاوم بكل قواه لئلا يستسلم لها . ثم امسك بالقلم بقوة أشد من كل ما استطاع أن يظهر به منذ أسابيع في كل ما قام به من أعمال ، وخط بالانجليزية تحت العبارة الأولى :

« أيها الالباء والمعلمون ! إني لأتساءل : ما هو الجحيم ؟ إني اصر على أنه عذاب من لا يقدر على الحب . »

واخيراً كتب اسم دوستويفسكي تحت العبارة ، ثم ادرك بسذعر هذه هزة عنيفة بأن ما كتبه لم يكن مقروءاً ، فاذا هو يفلق الكتاب .

وما لبث أن أمسك بسرعة شيئاً آخر من على المنضدة ؛ كانت ذلك رسالة من اخيه الاكبر من « الباني » .

كانت الرسالة هناك قبل دخوله المستشفى بفترة طويلة ، ففضها ، وقرر فيما بينه وبين نفسه أن يقرأها حتى نهايتها ، ولكنه ما كاد يقرأ مطلع الصفحة الاولى حتى توقف بعد هذه الكلمات : « الان » وقد انتهت هذه الحرب اللعينة ، واصبح لديك قدر من الفراغ بلا ريب ، أرجو أن ترسل للأولاد زوجاً من البنادق او من الصلبان المعقوفة . » فما كان منه الا ان مزقها ، وراح ينظر الى مزقها ، في سلة المهملات ، واذا هو يرى في داخل الغلاف صورة لم يلاحظها من قبل . واستطاع ان يميز قدماً شخص ما ، على مرج في مكان ما ، واسند ذراعيه على المنضدة ، ثم القى برأسه فوقها . كان يشعر بألم يحتاجه من رأسه حتى أخض قدميه . كانت مراكز الألم تبدو كأنها تتشعب . كان ذلك شبيهاً بشجرة عيد الميلاد التي تتوزع فيها الانوار بطريقة الاشتقاق ، فاذا تعطل احد المصابيح انطفأت الانوار جميعها .

وفتح الباب بدفعة قوية دون أن يقرع عليه ، وادار س .. رأسه ، فرأى الرقيب ز .. واقفاً عند المدخل . كان الرقيب ز .. يشارك س .. سيطرة الجيب ، ولم يفارقه منذ اليوم ج .. لقد اشتركا معاً في خمس معارك . كان يسكن في الطابق الأول . ولكنه كان قد اعتاد الصعود لرؤية س .. عندما تكون لديه اخبار يقصها عليه ، او متاعب يريد ان ينساها .

كان ز .. رجلاً ضخماً ، في الرابعة والعشرين ، يلائم وجهه عدسة التصوير كل المسلاحة . ولقد سمح لاحدى المجلات ان تلتقط له بعض الصور أثناء الحرب في غابة « هورتفن » ، كما سمح بتصويره عن رغبة وهو يحمل ديكاً هندياً في كل يد .
وسأل س .. :

— هل تقوم بكتابة رسائلك ؟ يا إلهي ! كأننا هي غرفة لحراسة الموتى ..
كان يؤثر الغرف المضادة عن طريق السقف . واستدار س .. في كرسيه ، وطلب اليه ان يدخل وان يحترس من السير فوق الكلب .
— فوق ماذا ؟

— فوق « أالفان » ! انه بالضبط تحت قدميك ، يا كلاي . ارجو ان تشعل هذا الضوء اللعين ..

وضغط كلاي على الزر ، واجتاز غرفة الخادمة الصغيرة ، وجلس على حافة السرير قبالة زميله .

كان الماء يقطر من شعره الاحمر المشط حديثاً ، الماء الذي اضطر لوضعه عليه حتى يسهل تصفيفه ، ومن الجيب الأيمن لقميصه الرمادي الخضر ، كانت مشط وغطاء قلم يبرزان بصورة مهمة . اما الجيب الايسر فكان يحمل شارة القذائي « التي لم يكن يحق له نظرياً ان يحملها » ، وشريط الخدمة العسكرية مزداناً بخمس نجوم من البرونز تشير الى المعارك التي خاضها . « وكانت نجمة فضية واحدة تكفي لذلك » ، واخيراً وردة الخدمة قبل معركة « بيرل هاربور » .

وتنهى بصوت عال وقال :

- يا الهي القادر !

ولم يكن ذلك ليغني شيئاً . انه الجيش . وأخرج علبة سجائر من جيب قبضه ونقر عليها لإخراج لفاقة ، ثم أعاد العلبة الى جيبه ، وزرر الجيب ، وراح يحول بصره في الغرفة وهو يدخن . وتوقفت عيناه أخيراً على المذياع ، فاستل قائلًا :
- هيه ! هناك برنامج هائل في المذياع يبدأ بعد عدة لحظات : بوب هوب مع مجموعة كبيرة .

واجاب س . وهو يفتح علبة سجائر جديدة ، بأنه قد أقفل المذياع منذ لحظة ودون ان ينزعج كلاي راح ينظر اليه وهو يحاول اشغال لفاقة . ثم اردف قائلًا بحماسة متفرج :

- يا الهي ؟ لو ترى إلى يديك القدرتين ! انها مرتعشان .. هل تعرف ذلك؟

واشعل س .. لفاقة ، وهز رأسه ، وأعلن ان كلاي يتميز برؤية التفاصيل .

- اوه . لا بأس . نعم . لقد جمعت عيناى حين رأيتك في المستشفى . هل تعلم ماذا كنت تشبه ؟ كنت تشبه جنة قدرة . كم كيلو غراماً نقص وزنك ؟ هل تعرف ؟

- لا ادري . هل تلقيت رسائل أثناء غيابي ؟ وهل عندك أنباء عن لوريتا ؟

كانت لوريتا هذه خطيبة كلاي . وكانا ينويان الزواج متى سنحت لها الفرصة . كانت تكتب له بانتظام من جنتها ذات اشارات التعجب الثلاث ، والملاحظات الخاطئة . وطوال فترة الحرب كان كلاي يطلع س .. على جميع رسائل لوريتا مهما كانت خاصة . بل انه كان يرغب كل الرغبة في قراءتها له كلها كثرت الامور الخاصة فيها . وما ان تنتهي القراءة حتى يطلب الى س .. أن يضع له مسودة الجواب ، او عناصره على الأقل ، وان يضمنها عدداً من الكلمات الفرنسية والالمانية السقي

تترك في النفس بعض التأثير .

قال كلاي ساهياً :

— نعم ، عندي رسالة منها . وصلتني نهار البارحة وهي في غرفتي ، في الطابق الأسفل . وسأطلعك عليها عما قليل . ثم جلس جلسة مستقيمة على حافة السرير ، والتقط أنفاسه ، وتجشأ بصوت عال ، ولكنه لم يصب من هذه الحركة الارتياح المنشود ، ثم قال :

— هذا الكلب اخوها ترك البحرية بسبب من ردفه . إن له كَرْدُفاً .. هذا النذل .

وتصاب من جديد . وحاول ان يتجشأ مرة اخرى . ولكن النتيجة كانت اضعف من سابقتها . وبدأت امارات الحيوية على وجهه :

— هيه ، قبل أن أنسى ! علينا أن ننهض غداً في الساعة الخامسة صباحاً . سنقوم بجولة في هامبورغ او في مكان مماثل لنشتري سترات من طراز سترة آيزنهاور لكل المفردة .

قال س .. بلمجة غير ودية بانه لا يرغب كثيراً في سترة من هذا الطراز .

وبدا على كلاي كأنما دهش ، او صدم بعض الشيء :

— اوه ! انها لجميلة عندما ترتديها . ماذا حل بك ؟

— لا شيء .. ولكن لماذا نستيقظ في الخامسة ؟ لقد انتهت الحرب ، يا

إلهي !

— لا ادري . يجب أن نعود قبل الافطار . هناك استمارات جديدة لا بد أن

تلاً قبل الافطار .. لقد طلبت من بولينغ أن يوزعها لنتمكن من كتابتها هذا المساء .. انها مكبسة فوق مكتبه . وقد رفض توزيعها . انه لا يريد أن يفتح

الاغلفة الآن .. ابن الحرام .

ومكثا يشتمان بولينغ فترة ، دون ان يتبادلا الحديث .

وفجأة ، نظر كلاي الى س .. باهتمام جديد ، وقال :

— هيه ! هل تدري بان جانباً من وجهك القذر لم يعد في مكانه الطبيعي ؟

قال س .. بانه يعرف ذلك حق المعرفة ، ووقف تشنجات وجهه بيده .

وراح كلاي يراقبه فترة من الزمن . ثم قال بشيء من الحماسة ، كما لو كانت
يزف نبأ فريداً :

— لقد كتبت الى لوريتا بانك مصاب بوهن عصبي .

— أو فعلت ذلك ؟

— نعم ، انها مولعة بمثل هذه الأمور . فهي تتخصص في علم النفس .

وتعدد كلاي على السرير ، دون ان ينزع حذاءه .

— أتدري ماذا تقول ؟ انها تقول بان الناس لا يصابون بالوهن العصبي بسبب
الحروب فحسب ؛ وتضيف الى ذلك أنك لا بد أن تكون غير متماسك الشخصية
منذ ولادتك التعمية .

ووضع س .. يده على عينيه ، وكان النور المنبعث من فوق السرير كان يبهره ،
وقال بان الطريقة التي تنظر بها لورتيا الى الامور تشعره بالسرور دائماً .

فحدق فيه كلاي :

— اسمع ايها النذل ، انها أكثر منك دراية بأمور علم النفس .

قال س ..

— الا تريد ان تكلف نفسك قليلاً من العناية ، وترفع قدميك القذرتين عن

سريري ؟

وأبقى كلاي قدميه حيث كانتا عدة ثوان ، ولسان حاله يقول : أعرف حق المعرفة ماذا أستطيع ان افعل بقدمي . ثم تركها تتوغلان على الارض ، واستوى جالساً .

— اني سأزل على كل حال . هناك مذياع في جحر « ووكير » الخفي ..
ولكنه لم ينهض مع ذلك .

— هيه ، لقد كنت لتوي احدث ابن الكلب .. برقشتان ، ذلك الغر الذي يقطن الطابق الاسفل ، هل تذكر اليوم الذي كنا نغر فيه نحو «فالوني» انا وانت ؟ يوم مكثنا ساعتين قدرتين نتشاجر ؟ يوم صرعت ذلك الهر القذر الذي قفز فوق مقدمة سيارة الجيب ، بينما كنا منظرحين في حفرة ؟ أتذكر ذلك ؟

— نعم ، اذكر جيداً .. لا تعد بنا الى قصص ذلك الهر يا كلاي ! ليذهب الى الجحيم . لا اريد ان اسمع شيئاً عنه أبداً ..

— لا ، كل ما اريد ان اقله هو اني ذكرت ذلك للوريتا في احدى رسائلي . وقد ناقشوا الأمر هناك مع جميع طلاب علم النفس اثناء الدرس ، ومع الاستاذ القذر .. مع الناس جميعاً ..

— شيء مذهل .. لم تعد بي أية رغبة لسماع حرف واحد عن ذلك يا كلاي .

— اسمع . اتعرف لماذا رميت الهر برصاصة ؟ اتعرف ماذا تقول لوريتا ؟ انها تجزم بانني كنت مجنوناً بعض الوقت اني لا امزح .. بسبب القنابل و .. الخ .. ومرر س .. أصابعه مرة واحدة بين خصلات الشعر المتسخ . ثم وضع يديه أمام عينيه من جديد ليقيهما النور .

— لم تكن مجنوناً كنت تقوم بواجبك ليس إلا .. لقد قتلت ذلك الهر الذي يحمل صفة إنسان ، كما يفعل ذلك كل انسان يمر في الظروف ذاتها .

ونظر اليه كلاي نظرة ارتياح :

— ماذا تعني ؟

— كان ذلك المهر جاسوساً . كان من واجبك أن ترميه برصاصة . كان المانيا مصغراً ، متذكراً في جلد هر قدر . ولذلك لم يكن هناك أية وحشية او قسوة ، او شيء مقرف .. حتى ولا ..

وأجاب كلاي وهو يزم شفتيه :

— بحق السماء ، ألا تستطيع أن تتكلم جاداً ولو مرة واحدة .

وشعر س .. بغثة بألم في معدته ، فهرع الى الامام ، وامسك بسلة المهملات في الوقت المناسب تماما ، وعندما رفع رأسه ، التفت نحو رفيقه . كان رفيقه واقفا في حيرة شديدة ، في منتصف الطريق ، بين السرير والباب .

وهم س .. بالاعتذار ، ثم غير رأيه ، واخرج لفائفه . قال كلاي :

— الا تريد أن تنزل لسماع بوب هوب بالمذباح ؟

كان يتكلم جاداً ، ولكنه بقي محتفظاً بلمحة الصديق .

— سيعود ذلك بشيء من الفائدة عليك . اؤكد لك .

— اذهب وحدك يا كلاي .. اني سألقي نظرة على مجموعة الطوايع التي املكها .

— ماذا ؟ أعندك الآن مجموعة طوايع ؟ إنه لتبا جديد .

— اني امزح .

وخطا كلاي خطوتين نحو الباب ، ثم اردف قائلا :

— قد اذهب الى آيشتاد بعد قليل . هناك حفلة راقصة تقام مساء اليوم .

وربما رقصنا حتى الثانية . ما رأيك ؟

— لا ، شكرا . اذا ما خطر لي ان ارقص فسوف اجرّب عدة خطوات هنا .

— حسناً ، مساء الخير ! لا تقلق نفسك كثيراً !

واغلق الباب ، ثم فتحه على التو .

— هيه ، أتوافق ، اذا ما دسست تحت باب غرفتك رسالة للوريتا ؟ لقد

حشوتها بوضع كلمات المانية . الا تريد ان تصححها لي ؟

— نعم ، دعني الان في هدوء !

قال كلالي :

— موافق . هل تعرف ماذا كتبت لي امي ! لقد كتبت لي بأنها مسرورة

لبقائنا طوال فترة الحرب معاً ، في سيارة الجيب ذاتها ، و ... قالت بأن رسائلني
اصبحت اكثر ذكاء منذ اجتمعنا معاً .

ورفع س . . رأسه ، ونظر اليه ، وبذل جهداً كبيراً ليقول له :

— شكرا ، اشكرها بالنيابة عني .

— لن أتأخر عن ذلك . طاب مساؤك .

وصفق وراءه الباب بعد ان خرج .

مكث س . . جالساً يحديق في الباب فترة طويلة ، ثم ادار كرسيه
نحو المنضدة ، وتناول الالة الكاتبة من فوق الارض ، وافسح لها مكاناً فوق
المنضدة المكتظة بالاشياء المختلفة ، ثم ازاح كومة الرسائل والرزّم التي لم يشأ ان
يفتحها . وخطر له انه ربما شعر بشيء من الراحة اذا ما كتب الى صديق قديم له
من نيويورك .

ولكن اصابعه كانت قد عادت الى الارتعاش الى حد انه لم ينجح في ان يدرس

الورقة بشكل صحيح في الملف ، فاذا هو يبقي يديه على وركيه دقيقة ، ثم يعاود التجربة من جديد . ولكنه لم يلبث في النهاية ان دحك الورقة بين أصابعه ، ورماها أيضاً وذكر نفسه بان عليه أن يذهب لإفراغ سلة المهملات خارج الغرفة ، ولكنه لم يفعل شيئاً ثم صلب ذراعيه فوق الآلة الكاتبة ، واسند رأسه فوقها ، واغمض عينيه .

وعندما عاد الى فتحها بعد عدة دقائق ، بسبب من ألم مضن ، وقع بصره على رزمة صغيرة مغلفة ، لفت في ورق أخضر ؛ ويبدو أنها سقطت على الاغلب من الكومة حين أفسح مكانا للالة الكاتبة . ورأى ان العنوان قد عدل عدة مرات ، واستطاع أن يميز على احد وجهيها فقط ثلاثة من عناوين قطاعاته البريدية السابقة . ولكي يقوم بعمل ما ، فتح الرزمة دون أن يلقي نظرة على اسم المرسل . فتحها بأن أحرق الخيط الذي يربطها بعود ثقاب . وكان اهتمامه يتركز في النظر الى عود الثقاب اكثر من فتح الرزمة . ولكنه في النهاية فتحها .

وفي داخل علبة ، كانت هناك رقعة صغيرة مكتوبة بالحبر ، وضعت فوق شيء صغير مغلف بورق حريري .

وامسك بالرقعة ، وراح يقرأ :

١٧ شارع ...

دوفون

٧ حزيران ١٩٤٤

عزيزي العريف س .

ارجو أن تغفر لي اني تاخرت ثمانية وثلاثين يوماً ، قبل ان ابدأ المراسلة . ولكني كنت مشغولة جداً . لأن عمي أصيبت بالتهاب في الحلق كاد يقضي عليها ؛ فاضطرت لأن أتحمّل التبعة تلو الاخرى . ومع ذلك ، فقد ذكرتكَ كثيراً ، ولم

تغيب عن باقي تلك الفترة اللطيفة التي أمضيناها معا يوم ٣٠ نيسان ١٩٤٤ ما بين الساعة ٣ و٤٥ والساعة ٤ و١٥ ، فيما اذا كنت قد نسيت .

لقد تأثرنا جميعا ابلغ التأثير ، واضطربنا كلنا لدى سماع أنباء اليوم ج .. إننا نأمل ان يقرب ذلك اليوم نهاية الحرب بسرعة ، ونهاية اسلوب في الحياة أقل ما يقال عنه إنه سخي . إننا انا وشارل ، شديدا القلق من اجلك . نرجو ان لا تكون بين الذين قاموا بالهجوم الاول في شبه جزيرة « كوتنتان » هل كنت فيهم ؟ ارجو أن تجيني في اسرع وقت ممكن ..

تحياقي ، وودي ، لزوجتك ..

باخلاص

إيسمه

حاشية : اسمح لنفسني بأن ارفق بهذه الرسالة ساعتي . يمكنك أن تحملها طوال مدة الازمة . لم لاحظ أثناء لقائنا الخاطف ما اذا كنت تحمل واحدة . إن هذه الساعة ذات غلاف عازل تماما . وهي ضد الصدمات . ولها مميزات أخرى كأن تسجل المسافة التي تقطعها سيرا على قدميك اذا ما رغبت في ذلك . إنني على يقين من انها تفيدك اكثر مما تفيدني في هذه الايام العسيرة ، وانك ستقبلها ، وتحفظ بها كتميمة تفيدك الأذى .

شارل الذي أعلمه الان القراءة والكتابة ، والذي يبدو لي تلميذا احاد الالكا . يود ان يضيف الى الرسالة بضع كلمات : رجائي اليك ان تكتب لي حالما يسمح لك الوقت والرغبة بذلك .

هالو ، هالو ، هالو ، هالو ، هالو ، هالو

هالو ، هالو ، هالو ، هالو ، هالو ، هالو

حب وقبلات

شارل .

انقضت فترة طويلة قبل ان يقدر س . . على ان يترك الرسالة ، ويخرج ساعة والد ايسمه من العلبة . وعندما استطاع ذلك في النهاية رأى زجاجها مكسورا بسبب النقل من مكان الى آخر . وراح يتساءل عما اذا كانت الساعة قد أصيبت بأضرار اخرى ، ولكنه لم يجرؤ على ربطها ليتأكد من ذلك . لقد اكتفى بالبقاء جالسا هناك فترة اخرى غير قصيرة . ثم أحس فجأة بشيء من القبضة .

وتناقلت أجهانه ، وراح في سبات عميق .

إنك تتحدثين الى رجل غارق في النوم يا ايسمه !

رجل يعيش أبدا في أمل واحد ..

أن يعود متمتعا بكامل ق ..

بكامل قواه ..

جَمِيْلٌ فَكِي ...
وَخَضِرَاوَانٌ عَيْنَانِي

عندما رن جرس الهاقف سأل الرجل ذو الشعر الرمادي المرأة الشابة ،
بدونها اهتمام ، ما اذا كانت ترى مانعا في أن يجيب عليه .

واصغت اليه المرأة الشابة كما لو أنه كان يتكلم من مكان سحيق ، وادارت
وجهها نحوه ، وعينها المعرضة للنور مغلقة . أما العين الاخرى فكانت تحملق بدون
دهشة . كانت عميقة الزرقة الى حد جعلها تبدو كأنها بنفسجية .

واستحشها الرجل ذو الشعر الرمادي على الاسراع ، فنهضت متكئة على المرفق
الايمن بسرعة تنم عن الامتعاض ، ورفعت شعرها عن جبينها بيدها اليسرى ،
وقالت :

— يا آلهي ! لا ادري . ما رأيك أنت؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

— .. الأمر سواء على كل حال .

ودس يده اليسرى تحت ذراع المرأة الشابة ، فوق المرفق الذي كان تتكىء
عليه . ثم ارتفعت اصابعه باحثة عن مكان دافئ تحت الابط . والتقط سماعة
الهاقف باليد اليمنى ، واضطر ان يرفع جسمه قليلا للوصول اليه ، فاذا رأسه يرتطم
بالمصباح المجاور .

وما هي الا لحظة حتى انسكب ضوء المصباح بقوة على شعره الرمادي ،
القريب من البياض ، فبدأ جميلا .

كان مشعثا ببعض الشيء في تلك الاثناء ، ولكنه مع ذلك كان يدل على انه

قد قص حديثاً عند الحلاق .

كان شديد القصر عند العنق والصدغين ، طويلاً في أعلى الرأس والجانبين :
طراز كلاسيكي ، مع لمسة بسيطة تدل على الأناقة .

وتناول الساعة ، وقال بصوت عال :

- آلو ؟

كانت المرأة الشابة تنظر إليه ، وهي ما تزال متكئة على مرفقها . أما عينها
المتسعان فلم يكن يبدو عليهما شيء من القلق ولا من التأمل ، ولم تكونا تعكسان
إلا لونيها .

ومن الطرف الآخر للساعة سمع صوت رجل ، صوت بارد لا لون له ،
استخدم بلهجة سوقية ، تكاد تكون مقذعة ، حتى ليخيل للمرء أنه قد استعير
للدعاية .

- أهذا أنت يا «لي» ؟ هل أيقظتك ؟

وتبادل الرجل ذو الشعر الرمادي نظرة سريعة مع المرأة الشابة ، ثم اردف :

- من هناك ؟ أهذا انت يا ارثور ؟

- نعم ! هل أيقظتك !

لا ، لا ، كنت مستلقياً على سريري أقرأ ، هل هناك ما يزعجك ؟

- قل لي بربك هل أيقظتك أم لا ؟ بصراحة ، كلمة رجل ؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- لا ، لا ، مطلقاً ؛ وإذا اردت الصراحة فاني لا أقوى على اغماض عيني أكثر

من اربع ساعات طوال ..

- اني اتصلت بك يا «لي» ، لأسألك عما اذا كنت قد لاحظت ، عن طريق

المصادفة ، في أية لحظة انسحبت جواني ؟ ألم تلاحظ اتفاقاً انها غادرت المكان مع آل ايللنبو غنز . قل بربك !

والقى الرجل ذو الشعر الرمادي نظرة سريعة من جديد الى يساره ، ولكنها كانت قمتاًمله بعينين زرقاوين اشبه ما تكونان بعيني شرطي ايرلندي :

- لا ، لم لاحظ ذلك يا ارثور .

كانت عيناه تحدقان في ركن الغرفة المظلم ، مكان اتصال الجدار بالسقف ، واستطرد قائلاً :

- ألم تعد معك اذن ؟

- لا ، لا ، يا آلهي ! ألم ترها اذا تخرج ؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- أتريد الصراحة ؟ لا ، اني لم المحيا يا ارثور . اني لم أرها طوال السهرة . لم اكد اجتاز المدخل حتى وجدته غارقاً في نقاش محتم مع ذلك المسعور الفرنسي ، او النمساوي - لا يعرف ذلك الا الشيطان - . ان كل هؤلاء الاجانب لا هم لهم الا تصيد النصائح الحقوقية المجانية . لماذا تلح بالسؤال ؟ ماذا هناك ؟ هل اختفت جواني ؟

- اوه ! يا آلهي ! لا أدري . لا أعرف شيئاً . انت تعرفها عندما يعن لها خاطر ما . ربما كانت قد ..

فسأل الرجل ذو الشعر الرمادي :

- هل اتصلت بآل ايللنبوغنز ؟

- نعم ، لم يعودوا بعد للمنزل . لم أعد أعرف ماذا اعمل ؟ يا آلهي ! اني لست واثقاً من أنها خرجت معهم . اني لا اعرف الا شيئاً واحداً : خ .. اعرف ذلك جيداً .. وهو أنني قد سئمت من الاهتمام بها . لست هازلاً فيما اقول . اني لا اهزل هذه المرة . لقد سئمت . خمس سنوات يا آلهي ! ليست بالشيء القليل .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- دع عنك ذلك . حاول ان تنظر الى الموضوع بهدوء يا ارتور . اذا صدقت معرفتي بآل ايللنبوغنز فاني أرجح ان يكونوا قد قذفوا بأنفسهم في سيارة أجرة ، ومروا لحظة بالقرب . ولن يمضي وقت طويل حتى يكون الثلاثة عندك .

- يخيل الي انها قد ذهبت تطارح الغرام أحد الأوباش في المطبخ . هذا ما اتصوره بالضبط . اني اعرفها حق المعرفة عندما تركب رأسها . انها تتعلق بعنق اول نذل يأتي الى المطبخ . لقد سئمت ذلك . يا آلهي . أقسم لك . اني لا اهزل . خمس سنوات ق ..

وقاطعه الرجل ذو الشعر الرمادي :

- أين انت الآن يا ارتور ؟ في المنزل ؟

- نعم ، يا آلهي ، في المنزل ، في العش الهاديء ! ..

- أصغ الي . لا تقلق نفسك هكذا .. ماذا هناك ؟ هل انت ثمل ؟

- لا أدري . ليأخذني الشيطان ان كنت أدري !

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- لا بأس . أصغ الي الآن . قليلا من الهدوء ! انت تعرف آل ايللنبوغنز ، بحق الآله ! كل ما يمكن ان يكون قد وقع هو انهم ربما لم يلحقوا بالقطار الأخير . وقد يحطون عندك هم الثلاثة بعد لحظة ، مرحين كالعصافير ، بعد جولة في ..

- لقد كانوا بالسيارة .

- من قال ذلك ؟

- الابنة ، مربية الأطفال . لقد تبادلنا حديثا طويلا . وأفضى كل منا للآخر

ما يحمله في صدره . نحن صديقان كخزيرين . نحن حبتان من البازاليا في قشرة واحدة .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

... لا بأس ، لا بأس ، الا تستطيع ان تهدأ قليلا الآن ، وتستريح بعض الشيء ؟
سيهبطون على الأغلب ، هم الثلاثة ، فوق ظهرك قبل ان تقول أوف . ثق بي .
انت تعرف ليونا ، أليس كذلك ؟ لا يعرف الا الشيطان وحده لماذا يبحثون دائما
الى نيويورك ، والرغبة في التسلية ، الرغبة من طرازه صنع في كونكيكتكوت « قلا
حقائبهم . تعرف ذلك جيداً ، أليس كذلك ؟

— نعم ، اعرف ، اعرف .. أخيراً لم اعد أعرف ..

— انت تعرف حتماً . فكر قليلا . ربما كانوا قد حملوا جواني معهم من رأساء ،
وقد ماما الى الأمام .

— أصغ الي ، لم يستطع احد قط ان يحمل جواني الى أي مكان ! لا تحاول
تهديتي . بهذه القصة !

قال الرجل ذو الشعر الرمادي بهدوء :

— لا احد يحاول تهديتك يا ارثور ؟

— اعرف ! اعرف ! اعذرني . يا آهي ! اني اكاد افقد صوابي . قل لي بربك
هل انقظتك ؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

— لو كان الامر كذلك لصارحتك به .

وسحب يده اليسرى وهو ساه من تحت إبط المرأة الشابة :

— اصغ الي يا ارثور . هل تقبل نصحاً ؟

وامسك بشريط الهاتف القريب من الجهاز بين اصابعه واردف :

- اني جاد فيما اقول . هل تقبل نصيحاً ؟

- نعم ، لا ادري يا آلهي ! اني احول بينك وبين النوم . اني اتساءل بكل بساطة لماذا لا اقطع ..

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- أصنع الي لحظة . اني جاد فيما اقول . ستذهب الي فراشك دونما ابطاء ، وتستسلم للهدوء . اشرب قدحاً أخيراً ، اندس تحت ..

- أكأس أخرى ؟ .. هل تمزح ؟ يا للشيطان ! لقد افرغت ليترأ كاملاً في هاتين الساعتين ! أكأس أخرى ؟ لقد شربت حتى لم اعد اقدر على ..

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- لا بأس ، لا بأس ؛ اذهب اذاً للنوم ، وهدىء من روعك . أسمعني ؟ قل أخيراً ماذا يجديك ان تلف وتدور .. وتحطم أعصابك .. ؟

- نعم ، اعرف ، لن اهتم بعد الآن . ولكن يا آلهي ! لا يمكن ان يثق المرء بها ! أقسم لك ! لا تستطيع ان تثق بها اذا ما ابتعدت عنك قيد ... لا أدري ماذا ؟ ! اوه ! ثم ما قيمة ذلك ؟ ... اني لا أملك زممام أمري على الإطلاق .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي .

- أصغ الي . انس كل ذلك الآن . لا تعد الي التفكير فيه . أسد الي معروفاً . جرب ان تطرد ذلك من ذهنك . انت تعرف جيداً ، انك الآن تجعل .. اني جاد فيها أقول . انك تصنع من الحبة ..

- ما افعل ؟ هل تدري ما افعل ؟ اني أسفق على نفسي من ان أقوله لك .

هل تدري ماذا يخطر لي ان أفعل كل ليلة عندما اعود الى المنزل؟ اتريد ان تعرف؟
- أصغ الي ، يا ارثور .. ليس هذا ..

- أصغ إلي لحظة 1 سأقوله لك . باسم الشيطان 1 اني لا أكاد أقوى على ضبط نفسي . اني لا أكاد احبس رغبتني عن التفتيش في كل خزانة من خزانات المنزل اللعينة . اقسم لك . اني انتظر كل ليلة عندما اعود ان اصادف حشداً من الاندال مبعثرين في كل ارجاء المنزل من خدم في المصاعد ، الى بائعين ، الى رجال شرطة ..

قال الرجل ذي الشعر الرمادي :

- لا بأس ، لا بأس ، حاول تهدئة نفسك قليلا .

وحانت منه التفاتة الى اليمين فرأى السيجارة التي اشعلها اثناء السهرة قبل قليل ؛ كانت ما تزال تقبع باتزان على حافة منفضة السجائر ولكنها كانت تبدو منطفئة ، فلم يلتقطها ، ثم هتف :

- أصغ الي يا ارثور . لقد سبق ان قلت لك مرات عديدة بأن خطأك يكمن بالضبط في ذلك . هل تعرف ماذا تفعل؟ اتريد ان اقول لك ماذا تفعل؟ انك تفتش عن قبعات تحت قدميك . اني اتكلم جاداً . انك تفتش عن أي شيء يمكنك به تعذيب نفسك . الحقيقة هي انك انت الذي توحى الى جواني بالأفكار السيئة . ثم عدل لهجته ، وأردف :

- انت محظوظ لأنها فتاة صغيرة طيبة . أوكد لك ؛ انك لا تثق بها مطلقاً . انك لا تثق بلطفها ، ولا تثق بتفكيرها ، اني اقول ذلك لأنك فتحت الموضوع ..
- التفكير ؟ هل تمزح ؟ انها لم تملك قط غرامين من التفكير في أية لحظة . انها مجرد حيوان ..

وبدا على الرجل ذي الشعر الرمادي ، رقد اتسع منخراه ، انه يلتقط أنفاسه

بعمق ، واستطرد قائلاً :

— اننا جميعاً حيوانات ، اذا نظرنا الى صميم الأشياء . اننا جميعاً حيوانات .

— ما هذا الهراء ؟ اني لا احمل ذرة من الحيوانية القذرة ! ربما كنت أغبى وانذل ابن حرام في القرن العشرين ، ولكي لست حيواناً ، فلا تتعب نفسك ، ليس في أي أثر من صفات الحيوان .

— أصغ الي يا ارثور . ان ذلك لا يوصلنا الى ..

— التفكير ! بحق السماء ! لا يمكنك ان تعرف كم يبدو ذلك مضحكاً ، انها تحاول الظهور بمظهر المرأة المثقفة !

ليس ذلك مثيراً للضحك فحسب . بل هو شيء يجعلك تنفزر من الضحك . انها تقرأ صفحة التسلية في المجلات ، وتشاهد التلفزيون حتى ما تكاد تبصر بعينها . تلك هي ثقافتها ! هل تريد ان تعرف من تزوجت ؟ لقد تزوجت أحط الممثلات ، والطبيبات النفسانيات ، والروائيات ، والمواهب الاخرى التي يمكن ان تكتشف ، والباقيات على قيد الحياة .. تزوجت أحطهن نمواً ونضجاً فكرياً . لقد تزوجت أغبى العبقريات التي يمكن ان تصادفها في نيويورك ، واغناها شأنًا . كل هذا كنت تعرفه ، اليس كذلك ! باسم الشيطان ! ان ذلك مضحك لدرجة اني لا ارغب في الحياة يوماً آخر ! انها مدام بوفاري تحضر الدروس المسائية في كولومبيا ! مدام ..

قال الرجل ذو الشعر الرمادي بصوت متعب :

— من ؟

— مدام بوفاري التي تتابع دروس النقد التلفزيوني ! بحق السماء ! انك لا تستطيع ان تعرف كيف ..

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- انت على حق .. ولكن الا ترى ان ذلك لا يوصلنا الى نتيجة .

ثم التفت ، ووضع اصبعين على شفثيه مشيراً الى المرأة الشابة ان تناوله
سيجارة . وتابع هاتفاً :

- ثم انك لا تدرك طبيعة الاشياء ولو كنت رجلاً شديد الذكاء .

وتحرك قليلاً ليتمكن المرأة الشابة من التقاط السجائر من وراء ظهره .

- اني جاد فيها اقول . يظهر ذلك في حياتك ، يظهر ذلك ..

- التفكير ، بحق السماء ! ذلك ما يقتلني ! يا آلهي القادر على كل شيء ! هل
سمعتها مرة تتحدث عن شخص ما ، أعني عن رجل ما ! اذا لم يكن لديك ما
تفعل يوماً ، فأولاني هذا الجميل ، واجعلها تتحدث اليك عن شخص او آخر . انها
تقول عن كل رجل تصادفه في طريقها بانه (جذاب حتى الجنون) لا فرق بين
ان يكون اكبر الناس سناً ، او اشدهم بدانة ، او اكثرهم قذارة

قال الرجل ذو الشعر الرمادي يحفاف :

- انت على حق ، ولكن هذا لا يجدي ، لا يجدي شيئاً .

والتقط احدى السجائر المشتعلة التي قدمتها له المرأة الشابة ، وكانت قد
اشعلت اثنتين ثم قال وهو ينفث الدخان من أنفه :

- بالمناسبة ، كيف سارت الأمور معك اليوم ؟

- ماذا ؟

وردد الرجل ذو الشعر الرمادي :

- كيف سارت الامور معك اليوم ؟ كيف كانت نتيجة القضية ؟

- اوه ! يا آلهي ! لم اعد اعرف . لقد سارت بصورة سيئة . هل تدري ماذا
فعل ليسنبرغ ، محامي الادعاء قبل ان القي دفاعي بدقيقتين ! لقد ادخل خادمة

مجنونة مع الشراشف كدليل اثبات . يا آلهي ! لقد كانت مملوءة بأوساخ البق .
وسأل الرجل ذو الشعر الرمادي وهو ينفث كمية أخرى من الدخان :
- وماذا جرى بعد ذلك ؟ هل خسرت ؟

- أتعرف من كان يجلس في المقعد ؟ الأم فيتوريو . لأذهب الى الجحيم اذا كنت
اعرف لماذا يقف هذا المخلوق ضدي ؟ لم اكده افتح فمي حتى كان قد سقط علي ،
لا يمكن ان يناقش المرء مع مخلوق مثله . ذلك مستحيل .

وآدار الرجل ذو الشعر الرمادي رأسه ليرى ماذا كانت تفعل المرأة الشابة .
كانت تلتقط منفضة سجاجير لتضعها بينها . ثم هتف :

- اذاً ، لقد خسرت . أليس كذلك ؟

- ماذا ؟

- أسألك عما اذا كنت قد خسرت أم لا ؟

- نعم ، كنت علي وشك ان اذكر لك ذلك . لم يكن امامي اية فرصة للفوز
مع كل هؤلاء . قل لي : أظن بان جونيور سيقفز حتى السقف ؟ لا لأنني أبا لي
بذلك . خ . . بل اريد ان أعرف رأيك . أظن انه سينفجر من الغيظ ؟

ورمي الرجل الرمادي لفافته بيده اليسرى على حافة المنضدة ، وقال بهدوء :

- ليس من الضروري أن يقفز الى السقف . ولكن هناك مع ذلك قليل من
الحظ في ألا يقفز الى عنقك . انك تعلم منذ كم من الوقت يهتمون بهذه القنادق
الثلاثة القذرة ! انه شاذلي المعجوز الذي ابتدأ . .

- أعرف ، أعرف ، اذا لم يكن جونيور قد شرسها لي خمسين مرة فمعنى
ذلك انه لم يذكرها على الاطلاق . انها أجمل قصة سمعتها في حياتي . انا معك ، لقد
خسرت هذه الدعوى ، وماذا بعد ذلك ؟ اولاً انها ليست غلطتي . أولاً إن رأسي
ليس ملكاً خاصاً له . لقد كان فيتوريو طوال الدعوى يرشقني بسهامه . ثم اقبلت

هذه الخادمة الحقاء تنشر شراستها المألئى بقذارات البق .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- انا لا اقول بأنها خطيئتك . لقد سألتني ما اذا كنت اعتقد بان جونيور سيقفز الى السقف ، وقد اعطيتك رأيي ..

- اعرف ، اعرف جيداً .. لم اعد اعرف .. لياخذني الشيطان ! يمكنني دائماً ان اعود الى الجيش . لقد حدثتك عن ذلك من قبل .

وإدار الرجل ذو الشعر الرمادي رأسه من جديد نحو المرأة الشابة ليشهدهما على صبره ، او بالاحرى على بطولته ؛ ولكن المرأة الشابة لم تلاحظ تعبير وجهه . كانت قد قلبت منفضة السجائر بركبته ، فراحت تجمع بأصبعها الرماد المبعثر . ورفعت عينها اليه بعد لحظة .

وهتف الرجل ذو الشعر الرمادي :

- لا ، يا ارثور ! لم تذكر لي شيئاً عن ذلك .

- حسناً قد الجأ لذلك . لا اعرف بعد . اني لست شديد الحماسة لهذا الموضوع بالطبع . وما انا بعائد اليه اذا لم اضطر لذلك . ولكن قد ألجأ اليه كحل أخير ، لا أدري . انه يحو كل شيء ، على الأقل . ولن يكون حلاً شيئاً في الواقع اذا ما اعادوا الي قبعتي العسكرية ، ومكتبي الضخم ، وكنيتي الكبيرة ..

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- كم أود أن ادخل شيئاً من الحس السليم الى رأسك !

اني اكون اذ ذاك في غاية السرور . اؤكد لك انك تتكلم كصبي في الثانية عشرة ، أنت الرجل الذكي ، او الذي يدعي الذكاء . انك تعطي لكومة من التفاصيل الصغيرة حجج جبال الهمالايا - اقولها بصراحة - ، وانت لست من مستوى ..

- كان علي ان اتركها . هل تدري ماذا ؟ كدت انتهي منها هذا الصيف عندما

كانت الرياح مؤاتية لي . هل تعرف ذلك ؟ هل تعرف لماذا لم افعل ذلك ؟ تريد ان تعرف لماذا ؟

— بحق السماء يا أرثور ! لن يوصلك ذلك الى نتيجة ..

— انتظر لحظة لأقول لك لماذا ؟ تريد ان تعرف لماذا لم افعل ذلك ؟ اني استطيع ان اقله لك بدقة الانني اشفقت عليها
قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

— حسناً ؛ لا ادري . ذلك شيء يتجاوز ادراكى ، يخيل إلى ان الشيء الوحيد الذي تنساه هو أن جواني قد بلغت سن الرشد ، وحصلت على المناعة اللازمة . لا أدري ، ولكن يبدو لي ذلك ...

— الرشد ! المناعة ! هل انت مخبول ؟ ام ماذا ؟ انها طفلة قد حصلت على اللقاح . نعم ، أصغ الي ، يكفي أن اكون منهمكاً بالخلاقة — اسمع ذلك ، سترى — يكفي ان اكون منهمكاً بالخلاقة ، وألثفت ، ها هي ذي تنادي من اقصى المنزل .. فأمرع ، لأرى ماذا حدث ، وانا منهمك في الخلاقة ورغوة الصابون تغطي وجهي ! هل تدري ماذا تريد مني وقتئذ ؟ انها تريد ان تسألني ما اذا كنت اعتقد بأنها ذكية .. أقسم ذلك ! انها تستدعي الرثاء . اقول لك ! اني انظر اليها حين تمام ، واعرف ماذا أقول . صدقني !

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

— انك في موضع يسمح لك بمعرفة ذلك اكثر مني .. ليس ذلك من اختصاصي . المضجر هو أنك لا تقوم بأي عمل ايجابي .. لا ..

— نحن غير منسجمين .. هذا كل شيء .. هذه هي المسألة برمتها . نحن متباينان الى حد لا يصدق هل تعرف ماذا يناسبها ؟ إن ما يناسبها هو نذل كبير ، لا يقول شيئاً ، ولكنه يأتيها من حين لآخر ليصب عليها جام غضبه ، ثم يعود لينهي قراءة صحيفته . هذا هو ما يناسبها . إنني شديد الليونة معها . لقد فهمتها عندما تزوجنا ،

أقسم لك . انك لداهية كبير لم تتورط في الزواج ، هناك لحظات يتراءى فيها
للانسان على صورة لمحات ما سيمر به عندما يتزوج . ولكني لم أشأ ان افهمها . لم
أشأ أن أنظر الى هذه الالتماعات وجهاً لوجه . إنني لضعيف كالخرقة . والمأساة كل
المأساة تكمن هنا .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

— ولكنك لا تعرف كيف تستعمل عقلك . هذا كل شيء .

وامسك بالسيجارة الجديدة التي أشعلتها له المرأة الشابة .

— كيف تقول إنني لست خرقة ! كيف تقول ذلك ؟ يا إلهي ! إنني اعرف
حق المعرفة ما اذا كنت ضعيفاً كالخرقة ام لا ؟ ألا تعتقد بأنني لو لم اكن خرقة
اتركت كل شيء ورائي ك... اوه ! ثم ماذا يجدي ذلك ؟ اني خرقة بكل
تأكيد... إلهي ! أنني أجعل ليلتك هذه ليلة مسعدة ، لماذا لا تقفل الخط في
وجهي ؟ باسم الآله ! أقفل الخط ...

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

— ليست في رغبة لاقفال الخط يا ادثور ! إنني اود مساعدتك اذا كانت ذلك
بإستطاعتي . الحقيقة هي انك أسوأ ..

— انها لا تكن لي اي احترام . ولم تعد تحمل لي شيئاً من الحب . يا إلهي !
واذا ما حللت نفسي جيداً رأيتني بدوري لا أشعر نحوها بشيء من العاطفة . لم
اعد أدري ، أحبها أم لا ؟ إن مشاعري نحوها تتأرجح بين الحب والبغضاء .
ويختلف ذلك بحسب الأيام ! يا إلهي ! في كل مرة اقرر فيها أن اقطع صلتني بها
نهائياً يتفق ان تنعش في المدينة لسبب او لآخر . وهناك ، اصادفها في مكان ما ،
قادمة بقفازاتها البيضاء اللعينة ، أو شيء من هذا القبيل .. فلا أعود أدري ما
افعل ! وفجأة ، تقفز الى خاطري ذكرى المرة الأولى التي ذهبنا فيها معاً في
السيارة لمشاهدة مباراة « برنستون » في « نيوهافن » . لقد انفجر الدولاب أمام

« بارك واي » بالضبط . كان البرد شديداً . وكانت تمسك بالمصباح الكهربائي بينما كنت أغير الدولاب .. الابن الحرام .. هل تفهم ما أعني؟ لم اعد ادري ! وربما قفزت الى ذاكراتي - يا إلهي ! كم يصعب علي ان أبوح بذلك ! - اقول : ربما قفزت الى ذاكرتي ايضاً تلك القصيدة السخيفة التي ارسلتها اليها في الفترة الأولى التي تعارفنا فيها :

لوني وردي ، أبيض ..

جميل في ، وخضروان عيناى .

يا إلهي ! مثل هذه الاشياء لا تقال ، ولكنني اذكرها حينذاك . ليست عيناها خضراوين . انها كالصدفات السخيفة ؛ يا إلهي ! ولكن ذلك يذكرني بها .. لا ادري ! ماذا يجدي ذلك ؟ أتراني فقدت صوابي ؟ أقفل الخط بحق السماء !
وتنحني الرجل ذو الشعر الرمادي . ثم قال :

- ليست بي رغبة لا قفال الخط يا ارثور . ولكن هناك شيئاً ما .. رغم كل ..

- لقد ابتاعت لي مرة بذلة بدراهمها الخاصة . هل ذكرت لك ذلك ؟

- لا ..

- لقد ذهبت بكل بساطة عند .. « تربليه » على ما اعتقد .. واشترتها . لم اذهب معها . انتبه الى ذلك . أعني أن لها جوانب حسنة . والمضحك أن البذلة كانت تناسبني تقريباً . كل ما هنالك أنني اضطررت لادخال بعض التعديلات الطفيفة كتضييق سرج البنطلون ، والساقين .. وتقصيرها قليلاً . انت تفهم ذلك . ان لها جوانب حسنة جداً .

واصفى الرجل ذو الشعر الرمادي من جديد عدة ثوان ، ثم استدار فجأة نحو الفتاة ؛ وأوحى النظرة الخاطفة التي القاها عليها بما يجري في الطرف الآخر من الخط . وهتف :

- اسمع يا ارثور ، ان يجديك ذلك نفعا . ان يجديك مطلقاً . تؤكد لك .

أصغ إلى . اقول لك ذلك بكل اخلاص . هيا ، بدل ثيابك واذهب الى النوم
كصبي مطيع . هديء نفسك قليلا . ستصل جواني حتماً في ظرف دقيقة ، انت
لا ترغب في أن تراك على هذه الحسال . سيهبط عليك هؤلاء الآل ايلنبوغنز .
المهرجون .. سيهبطون عليك معها حتماً . وانت لا ترغب في ان يراك هؤلاء جميعاً
على هذه الحال . أليس كذلك ؟

واصغى من جديد .

— أرثور ! هل تسمعني .

— يا إلهي ! اني امنعك من النوم . كل ما افعله هو أن ..

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

— انك لا تمنعني من النوم . لا ترجع نفسك من اجل ذلك . لقد قلت لك هذا
من قبل ، إنني لا اكاد انام اربع ساعات متوالية طوال الليل . كل ما أود ان أعمله
هو أن أساعدك يا صغيري ، ان كان ذلك ممكناً بين البشر ...

واصغى من جديد .

— ارثور ! أنت هنا ؟

— نعم ، إنني هنا ، أصغ الي . لقد أيقظتك على كل حال حتى آخر الليل .
هل أستطيع ان أحضر عندك ، وأتناول كأساً ؟ أزعجك ذلك ؟

وانتفض الرجل ذو الشعر الرمادي ، وأستند راحة يده الطليقة على نقرته .

— أتريد ان تقول حالا ؟

— نعم ، بكل تأكيد . إن لم يكن ذلك يضايقك . سامكت لحظات معدودة
فقط ، مجرد أن أستريح في مكان ما .. ولا أدري ماذا أيضاً ! هل تسمح بذلك ؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- نعم ، ولكن ، في الحقيقة ، أعتقد أنه يحذر بك ألا تفعل ذلك يا ارثور .
ورفع يده عن نقرته .

- ارجر أن تفهمني جيداً . انك تعلم اني اسر بزيارتك . ولكسني اعتقد
مخلصاً بأن ما يناسبك الان هو البقاء في المنزل بهدوء حتى تعود جواني . اقول لك
مخلصاً بأن ما ترغب فيه انت هو ان تكون هناك عندما تعود . أليس كذلك ؟
- نعم - لم اعد اعرف يا إلهي ! لم اعد اعرف .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- بلى ، إنك تعرف ، إنني اعتقد ذلك مخلصاً . أصغ الي . لماذا لا تذهب الآن
الى سريرك ؟ فقد تهدأ قليلاً ، وبعد ذلك ، تستطيع اذا اردت ان تهتف لي من
جديد . اعني اذا كنت ما تزال بحاجة الى التحدث قليلاً . وكف عن تعذيب
نفسك ، هذا هو الأهم . هل تصغي الي ؟ أتفعل ما اقوله لك ؟
- موافق -

واحتفظ الرجل ذو الشعر الرمادي بالساعة بعض الوقت بالقرب من اذنه ،
ثم اعادها الى مسندها .

وسألت المرأة الشابة على الفور :

- ماذا قال ؟

وللتقط سيجارته من المنفضة ، وسط كومة من السجائر الأخرى ، تتفاوت في
كمية القسم المستهلك منها ، فعب منها نفساً ، ثم قال :

- كانت يرغب في الحضور لتناول كأس هنا .

قالت المرأة الشابة :

- بحق السماء ! ماذا قلت له ؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- لقد سمعت ما قلت . أليس كذلك ؟

وسحق سيجارته .

قالت المرأة الشابة وهي تنظر اليه :

- لقد كنت رائعاً ، رائعاً جداً . يا إلهي ! اني اشعر بنفسي حقيرة من الرأس حتى أخمص القدم .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- هل تعرفين ؟ إنه وضع صعب . لا اعرف ما اذا كنت رائعاً بالدرجة التي تذكرين :

قالت المرأة الشابة :

- بلى ، لقد كنت رائعاً . لقد نفدت صبري ، لقد نفدت صبري تماماً . أنظر الي !

ونظر اليها ذو الشعر الرمادي ، ثم قال :

- الواقع أنه وضع عسير . أعني ان كل ما سمعته شيء غير عادي . إنه شيء ...

قالت المرأة الشابة بحرارة وهي تنحني نحوه :

- اعذرني يا حبيبي . لقد اصابتك النار فيها اظن .

ونفضت له ظهره بلمسات صغيرة من أطراف أصابعها :

- انت ذلك مجرد رماد .

وابتعدت قليلاً ، ثم قالت :

- لقد كنت رائعاً حقاً . يا إلهي ! اني اشعر بالحقارة من الرأس حتى أخمص

القدمين .

- نعم ، إنه وضع محزن . ان هذا الشاب يخطو نحو ..

ورن جرس الهاتف فجأة ، فشمق الرجل ذو الشعر الرمادي : « يا إلهي ! »

ثم أمسك بالساعة قبل أن يعود الصوت الى الرنين وقال :

- آلو !

- أهذا انت يا «لي» ؟ هل تنام ؟

- لا ، لا .

- أسرع . لقد أردت أن أنبئك فقط . لقد عادت جواني لتوها .

قال الرجل ذو الشعر الرمادي :

- ماذا ؟

ووضع يده اليسرى كالمروحة أمام عينيه ، رغم ان النور كان خلفه .

- نعم ، لقد عادت لتوها بعد أقل من عشرين ثانية من انتهاء حديثي في الهاتف وخطر لي بأنني أحسن صنماً اذا ما هتفت لك فيما هي في بيت الخلاء . أصغ الي .
إنني أشكرك الف مرة يالي . اريد ان اقول .. هل تدرك ما اريد ان اقول ؟
ألم تكن نائماً ؟

قال الرجل ذو الشعر الرمادي ، وهو يتنحنح ، ويده ما تزال أمام عينيه :

- لا ، لا ؛ كنت على وشك . لا ، لا .

- نعم ، أريد ان تعرف ماذا حدث ؟ يبدو ان ليونا كانت مزعجة الى حد
السماجة ، ثم لم تلبث ان انفجرت في نوبة من البكاء ، فطلب بوب من جواني ان
تذهب معهم الى مكان آخر لتناول كأس ، وتناسي الموضوع لا أدري . أخيراً ،
أنت قرى . انها أمور شديدة التعقيد . وماذا هم ؟ لقد عادت على كل حال .
مجموعة غريبة ! اقول لك جاداً بأنني اعتقد ان هذه الابنة الحرام نيويورك هي
السبب في كل ما حدث . وأظن ان ما يجب علي ان اعمله اذا ما سارت الأمور على
ما يرام هو ان نبعث لأنفسنا عن ركن هادي في الكونكتيكوت . ليس من
الضروري ، بحق الشيطان ، ان يكون في كونكتيكوت بالضبط ، ولكن في اي
مكان هو من البعد بحيث نستطيع ان نعيش فيه حياة طبيعية . أفهم ذلك ؟ انها
تحب النباتات جداً شديداً ، او ما يشبه ذلك ، وربما جننت من الفرح اذا ما أصبحت
فلك حديقة خاصة بها ، بكل ملحقاتها .. هل تفهم ما أريد !

أخيراً ، اذا استثنينك انت ، فمن هم الأشخاص الذين نعرفهم في نيويورك ؟

أليسوا عصابة من المجانين ؟ وانه لمن الطبيعي أن يحطم هذا الجو ، آجلاً أو عاجلاً ،
أي انسان ولو كان سوياً . أتفهم ذلك ؟

لم يجب الرجل ذو الشعر الرمادي . كانت عيناه مغلقتين وراء ستار من يديه .
— سافحتها في الموضوع ، على كل حال قوياً . اوربما غداً صباحاً ، لأنها ما
تزال تحت تأثير الجو الخارجي . انت تفهم ! انها فتاة طيبة في الصميم . واذا ما
سئحت لنا الفرص للتفاهم معاً فيجب ان نكون سخفاء حقاً اذا لم ننتهزها .
بالمناسبة ، سأحاول تسوية قضية البق القذرة اذا ما سئحت لي الفرصة أيضاً . لقد
فكرت في ذلك . إني لأتساءل بأني — ألا تعتقد ذلك ؟ — بأني اذا ما ذهبت لمقابلة
جوننيور شخصياً فقد ..

— ارثور ! اذا لم يكن في ذلك ما يزعجك ، فأرجو ..

— افهمي . أود الا تعتقد بأني إنها هتفت لك لأنني في ورطة ، او شيء من
هذا القبيل . ليس لذلك أية علاقة لأنه الموضوع الوحيد الذي لا احفل به على
الاطلاق . حقاً يا ربي ! انني اقل اهتماماً بمثل هذه الأمور من أي شيء آخر .

كنت افكر فقط بأني اذا ما استطعت تدبير الأمور مع جوننيور دون أن
يكلفني ذلك عناء كبيراً ، فقد اكون غيباً ان لم ..

فقاطعه الرجل ذو الشعر الرمادي ، وهو ينحي يده عن وجهه :

— أصغ الي ، يا ارثور ! اني اشعر فجأة بألم فظيع في رأسي . لا ادري كيف
استولى علي . هل بضايقتك إن توقفنا الان ؟ سنعود الى الحديث في صباح الغد ..
هل توافق ؟

واحتفظ بالساعة لحظة في يده ، ثم اعادها الى مسندها .

عادت المرأة لمحادثته على الفور . ولكنه لم يجب . التقطت من المنفضة سيجارة

مشتعلة، هي سيجارة المرأة الشابة ، و اراد أن يحملها حتى شفتيه ؛ ولكنها انزلت
من بين أصابعه .

وانحنى المرأة الشابة لتعيّنه على التقاطها ، قبل أن تحرق شيئاً ما ، ولكنه
قال لها بأن تتركه وشأنه .. بحق السهاء !
فسحبت يدها .

دُومِيْنِه سَمِيْث ...
يَدْخُلُ مُعْتَرِكُ الْحَيَاةِ

٨

لو كان - ما سأقوله على قدر ضئيل جداً من الحس السليم ، - وهو في الواقع لا يملك ظلاً له - لكنني فيما اعتقد قد استسلمت لغواية إهداء هذه القصة ، نظراً لما تساويه ، وعلى الاخص لما قد تحويه من الفجور في بعض المواضع ، اقول كنت قد استسلمت الى اهدائها الى روح ذلك الراحل الفاجر زوج أمي روبرت آغاد غانين الابن او بوبي - كما يسميه الجميع بما فيهم أنا - بوبي الذي توفي في ١٩٤٧ من جراء علة في الدم ، وهو يحس بعض الاسف بكل تأكيد ، ولكن دون ان يستطيع التمرد على نهايته المحتومة ، كان رجلاً جريئاً ، مغامراً ، على اوفر قسط من الجاذبية والكرم . (لقد امضيت سنوات طويلة وأنا اضمن عليه بهذه الصفات اللينة ، ولكنني اشعر الآن بان اعطاه هذه الصفات انما هو قضية حياة او موت) .

انفصل ابي وامي بالطلاق في شتاء ١٩٢٨ وكان عمري اذ ذاك ثمانية سنوات ؛ ثم تزوجت امي بوبي آغاد غانين في الربيع التالي . وما هو الا عام واحد حتى خسر بوبي كل ما يملكه هو ، وما تملكه امي ، في اثناء الازمة الاقتصادية التي هزت « وول ستريت » ، باستثناء ما يمكن ان نسميه « العصا السحرية » التي جعلت بوبي العميل المالي السابق في البورصة ، والذي ما يزال على قيد الحياة ، يتحول خلال ليلة واحدة الى خبير في فن الرسم الحديث ؛ بل الى رجل واسع الاطلاع ، عميق الاختصاص ، يعمل لحساب صالات الرسم الامريكية المستقلة ، وفي متاحف الغنون .

وما هي الا بضعة اسابيع ، في مطلع عام ١٩٣٠ ، حتى انتقل ثلاثينا غير المتجانس من نيويورك الى باريس ، المكان المثالي بالنسبة لتجارة بوبي الجديدة . ونظراً لاني كنت ما ازال غلاماً في العاشرة ، بارد الاحساس ، ولا اريد ان اقول

ثلاجة ، فقد نظرت الى الانتقال ، كما اذكر ، نظرة لا مبالاة ، ولكن عودتنا الى نيويورك ، بعد تسع سنوات من ذلك التاريخ ، وبعد وفاة أمي بثلاثة اشهر ، هي التي أصابتني بصدمة عنيفة .

اني اذكر الان حادثاً طفيفاً ، ولكنه ذو مغزى . حادث وقع في اليوم التالي لعودتنا انا وبوبي الى نيويورك او في اليوم الذي يليه . كنت اقف في احد اتوبوسات شارع لكسنجتون الشديد الازدحام ، وانا ممسك بقضيب معدني مطلي بالملينا بجانب السائق ، ملتصق الردين تمام الالتصاق بردي الراكب الذي كان يقف خلفي . كان السائق ما يقفأ يردد منذ عدد غير قليل من المواقف ، بلمحة جافة ، صائحاً بالذين يتراصون في المقدمة ان « يتراجعوا الى مؤخرة السيارة » . ولقد حاول بعضنا ان يجيبوه الى طلبه ، وضرب الآخرون عرض الحائط بصياحه . واخيراً انتهز الرجل ، بعد ان نفذ صبره ، وجود الضوء الاحمر ، واستدار على مقعده ورفع عينيه الي ، فقد كنت خلفه تماماً ، كنت في التاسعة عشرة ، ارتدي « بيريه » اسبانية سوداء عوضاً عن القبعة ، بيريه سوداء مسطحة ، ليست على حظ كبير من النظافة . وكانت تعترض جبيني فوق العينين ، بطريقة ليس فيها شيء من الجمال .

وقاطعني السائق بصوت خفيض ، وبشيء من الاحتراس قائلاً :

— هيه ، يا ولد ! ألا تريد ان تحرك مؤخرتك قليلاً ؟

كانت « يا ولد » هذه هي التي فجرت غيظي ، على ما اعتقد ، فاندفعت دون ان أكلف نفسي عناء خفض الصوت — أعني دون ان ابقى للحديث الطابع الخاص الذي يتقبله الذوق كما بدأه هو — وقلت بالفرنسية بأنه عامي أبه ، قليل التهذيب ، قليل الادب ، وانه لن يستطيع ان يدرك مطلقاً كم يبدو لي ثقيلاً . وعند ذلك تراجعت الى الخلف ، وانا مسرور من نجاحي .

ثم ازدادت الامور تعقيداً ذات يوم ، بعد اسبوع او اثنين من تلك المغامرة .

كنت خارجاً من فندق « ريتز » ، بعد الظهر ، حيث نزلت انا وبوبي لمدة غير محددة ، وبغثة أحسست كما لو انهم قد فككوا جميع مقاعد الانوبوسات في نيويورك ، واخرجوها من امكنتها ، ثم صفوها في الشارع ؛ وان حفلة هائلة للعبة الكراسي الموسيقية قد عقدت هنا . واعتقد بأنني لم اكن لامانع في الاشتراك باللعب ، لو ان كنيسة مانهاتن خصتني بامتياز يضمن لي ان يبقى اللاعبون الآخرون وقوفاً لا يأتون بحركة حتى أجد مكاناً واجلس . وعندما ايقنت بأن شيئاً من هذا القبيل لن يحدث ، انتقلت الى العمل المباشر ، ورحت أصلي لتتخلص المدينة من قاطنيتها قاطبة ، ويتاح لي عندئذ ان اتال وحدي نعمة البقاء وحيداً و - ح - ي - د - أ !!

والشيء الجميل في نيويورك ان مثل هذه الصلاة هي الصلاة الوحيدة التي تملك كل الحظ في ان تستجاب .

وفي لحظة عين وجدتي فريسة لوحدة تحزني كالموسى .

دأبت في الصباح ، وفي بداية ما بعد الظهر ، على ان أحضر - وانا موزع الحاطر - محاضرات في مدرسة فنية تقع في الزاوية التي يؤلفها الطريق رقم ٤٨ مع شارع لكسنجتون . ولابد ان أحيط القارئ علماً اني كنت قد حزت ، قبل ان اغادر باريس انا وبوبي بأسبوع واحد ، على الجوائز الثلاث الاولى في المعرض الوطني لانتاج الشباب الذي أقيم في صالة « فريبورغ » . وطوال سفرنا الى امريكا ، لم اكد البارح مرآة غرفة الاستقبال . لقد امضيت وقي كله وانا الاحظ الشبه الفريد ببني وبين إل - غريكو . وكان علي ان امضي فترة ما بعد الظهر ثلاث مرات في الاسبوع في مقعد طيبب للأسنان ، خلعت لي خلال عدة اشهر ، ثناني اسنان ، ثلاث منها أمامية . أما الأمسيتان الاخيرتان من الاسبوع فقد كنت افضيهما بصورة عامة ، متجولاً في الصالات الفنية ، وعلى الاخص الصالات الواقعة في الطريق رقم ٥٧ حيث كنت امسك نفسي بصعوبة بالغة عن السخرية بالانتاج الامريكي الجديد .

اما في السهرة فغالباً ما كنت أقرأ . لقد اهتمت مجموعة هارفارد الكاملة للرسمين الكلاسيكيين ؛ - والدافع الاول الذي دفعني لذلك ان بوبي كان ابدأ يقول بأنه لا مكان لهم عندنا - ورحت أقرأ الاجزاء الخمسين الواحد تلو الآخر بلذة سادية . كنت في كل ليلة تقريباً أضع حامل الصور بين السريرين التوأمين الموضوعين في الغرفة والذين كنا نتقاسمها ، انا وبوبي ، ثم اشرع في الرسم . وفي خلال شهر واحد رسمت - اذا صدقتني مذكراتي عام ١٩٣٩ - ثماني عشرة لوحة زيتية . ويحذر بي أن اسجل هنا ان سبع عشرة منها كانت تمثلني شخصياً ، وكان يحدث لي ، اذا ما عصتني القريحة - ان اطرح اللوحة الزيتية جانباً واطخر رسوماً هزلية ، ما ازال احتفظ باحدها وهو يمثل فماً فاغراً كالكهف لرجل يمالج اسنانه عند طبيب الاسنان . كان لسان الرجل عبارة عن قطعة نقدية من فئة المائة دولار اما الطبيب فقد بدا وهو يقول بالفرنسية بشيء من الأسى : « اعتقد بأننا نستطيع انقاذ الضرس ، ولكنني أخشى ان اضطر الى نفس اللسان » . كان هذا الرسم احد رسومي المفضلة .

اما انا وبوبي بوصفنا شركاء في الغرفة فقد كنا اشبه ما نكون بطالين ، احدهما من طلاب هارفارد القدامى الشديدي المسيرة ، والآخر من طلاب كامبريدج الجدد المزعجين الى اقصى الحدود . وعندما اكتشفنا بالتدريج ، بينما كانت الاسابيع تمضي ، بأننا نحب نفس المرأة « التي ماتت » ، لم يكن ذلك كافياً لتسوية الأمور فيما بيننا . لقد كان من نتيجة هذا الاكتشاف في الواقع أن ألقى على علاقائنا ظلاً قائماً ، فرحنا بتبادل الابتسامات المفتعلة كلما تلاقينا على عتبة الحثام .

في احد اسابيع شهر أيار ١٩٤٠ ، بعد حوالي عشرة اشهر من وصولنا الى فندق ريتز ، رأيت في احدى صحف كيبليك (وهي احدى ست عشرة صحيفة تصدر باللغة الفرنسية كنت قد اشتركت فيها) ، رأيت اعلاناً للدعاية يغطي ريع عمود الصحيفة ، وضمته ادارة مدرسة فنية في مونتريال للدراسة بالمراسلة . كان ينصح

لكل من يحمل المؤهلات - مؤكداً بأنه لن يدخرو سراً في النصح - بالتقدم للعمل في أحدث مدرسة للفنون المراسلة وأكثرها تطوراً في كندا . وقد اشترط على المرشحين لهذا العمل ان يجيدوا الفرنسية والانجليزية والا يتقدم الا من كان يتمتع بأخلاق وقناعة لاغباء عليها . اما الدورة الصيفية لأصدقاء الفن القديم فقد حدد موعد افتتاحها رسمياً ١٠ حزيران ، كما طلب تقديم نماذج فنية واخرى تجارية من عمل المرشحين الى المدير السيد ي. يوشوتو في الاكاديمية الامبراطورية للفنون الجميلة في طوكيو .

ونظراً لشعوري بأني اتمتع بالشروط المطلوبة الى ابعد الحدود ، فقد التقطت على الفور آلة بوبي الكاتبة ماركة « هرميس - بيبي » من تحت سريره ، وديجت ، بالفرنسية خطاباً طويلاً ، محشواً بالهذيان ، الى السيد يوشوتو ؛ وانقطعت بسبب هذا العمل عن دروسي الصباحية في مدرسة شارع اكسنجتون .

كان المقطع الأول يجري على ثلاث صفحات ويكاد يحرق الورق تقريباً .

قلت بأني ابلغ التاسعة والعشرين من العمر ، وقلت بأني ابن الأخ الصغير لأونوريه دوميه ، وأني قد غادرت لتوي مزرعتي الصغيرة في جنوب فرنسا بعد موت زوجتي لأعيش في الولايات المتحدة ، واكدت بأن ذلك سيكون بصورة مؤقتة ، مع قريب مقعد . وذكرت بأني مارست الرسم منذ نعومة أظفاري متتبعا ارشادات بابلوبيكاسو الذي كان أعز واقدم اصدقاء أسرتي ، وأني لم اعرض رسومي قط ، ولكن عدداً كبيراً من لوحاتي الزيتية والمائية معلقة الان عند أكثر الهواة ذوقاً في باريس ، ولا اقصد الهواة الحديثي الثروة بالطبع ، حيث حظيت هناك بالتقدير السريع لدى أشهر نقاد العصر . وبعد الموت الفاجع الذي غال زوجتي نتيجة سرطان مستشر وهي في عنفوان الشباب ، قررت كما ذكرت في الخطاب ألا أمسك لوحة او فرشاة ، ولكن خسارة مادية جديدة ارغمتني على مخالفة هذا القرار الحازم ؛ واضفت قائلاً بأنه سيمشرفني كثيراً ان اضع بضع نماذج من اعماله بين يدي أصدقاء الفن القديم ، حالما تصل الي من عميلي في باريس :

وسأبعث له على الفور بترقية عاجلة بالطبع ، استمحنه فيها على إرسالها ، وإني
سابقى الخالص الذي يكن لكم اعلى الاحترام

جان دو دوميه سميث

واقترضاني البحث عن الاسم المستعار نفس الوقت الذي صرفته لانشاء
الرسالة تقريبا .

كنت رسالتي على ورق حريري ، ولكني وضعتها مع ذلك داخل مغلف من
مغلفات فندق ريتز . وبعد ان الصقت عليها طابع بريد مستعجل عثرت عليه في
في درج بوبي الاعلى نزلت لادعها عليه بريد الفندق . وتوقفت لحظة لاسأل الموظف
المختص بالبريد - الذي كان يكرهني حتما - ان ينتبه الرسائل التي ستأتي عن
قريب بعنوان « دوميه سميث » ثم انزلت سراً بعقد الظهر الى صف التشرير
لاحضر محاضرتي ، وموعدها الساعة الواحدة والدقيقة الخامسة والاربعون ، في
مدرسة الفنون في الطريق رقم ٤٨ . للمرة الاولى شعرت بأن زملائي في الصف
اشخاص طيبون .

وفي الايام الاربعة التي تلت ، رحت أمضي كل اوقات فراغي ، بالإضافة الى
عدة ساعات لم تكن بالضرورة جزءاً منها ، في رسم « ديزينة » من الرسوم :
النماذج التي تمثل في رأي الفن التجاري لامريكي . وبدأ لي أن استخدم لالوان
المائية على الاخض ، ولكنني لجأت الى استعمال الخطوط مرتين او ثلاثاً ، لا شيء
الا لأظهار مقدرتي في هذا الميدان .

رسمت اشخاصاً بلباس السهرة وهم يهبطون من السيارات الفارهة لحضور حفلة
من حفلات الافتتاح .. أزواج نحافة منتصبوا القامة ، شديداً الاناقة ، لم
يعرضوا احداً في حياتهم لرائحة ابطنهم المهمل .. أزواج قد لا يكون لهم ابط على
الاطلاق ..

رسمت عصابة شباباً ، قد لوحتهم الشمس ، يرتدون « السمو كينغ » الأبيض

وهم يجلسون على مناخد بيضاء ، حول مسابح زرقاء اللون ، يتبادلون الأنخاب بسرور عظيم ، وهم يرفعون كؤوساً طويلة نصف ممتلئة بضرب من الويسكي الرخيص ، ولكنه حتماً آخر زي دارج .

رسمت أطفالاً متوردي الوجوه ، كنتلك التي تراها في الاعلانات ، تفرهم السعادة والصحة ، يمدون أطباقهم الفارغة ويطلبون بحماسة مقداراً جديداً من غذاء من نوع معين .

رسمت فتيات ضاحكات ، ذوات صدور مرتفعة ، يمارسون التزلج فوق الماء دون أن يساورهن أدنى خوف ، لأنهن في مأمن من الكوارث التي تحدث للبشر كالنمش ، والشعر الناصل ، وعدم التأمين الكافي على الحياة ...

رسمت ربات منزل كن طوال الفترة التي لم يستعملن فيها ذلك النوع من الصابون المبشور يتعرضن دون أية حماية لقساوة الشعر ، للاوضاع التعيسة ، للأطفال غير المهذبين ، للازواج الذين أهملوهن ، للأيدي الحشنة - رغم تكوينها الناعم ، للمطابخ التي لم تلق شيئاً من العناية - رغم اتساعها - ...

وما ان فرغت من هذه الأعمال حتى بادرت بإرسالها الى السيد يوشوتو ، مع نصف دزينة من اللوحات غير التجارية كنت قد حملتها معي من فرنسا . ولم يفتني أن ارفقها أيضاً بكلمة صغيرة عابرة رحمت أقص فيها قصة مترعة بالغنى الانساني ، وكيف أني قد بلغت يجهدني وحدي ، ورغم كل العقبات ، وطبعاً لأصغى التقاليد الرومانسية ، قمم هذه المهنة (القمم) الباردة ، النقية ، الوحيدة .

لم تكن الأيام القليلة التي تلت ذلك الا انتظاراً مضاً . وما كاد الاسبوع ينصرم حتى وصلتني رسالة من السيد يوشوتو يخبرني فيها بأني قد قبلت معلماً عند اصدقاء الفن القديم . كانت الرسالة باللغة الانكليزية ، رغم اني كتبت رسالتي بالفرنسية . وقد علمت بعد ذلك أن السيد يوشوتو الذي كان يعرف الفرنسية ، لا الانكليزية ، قد طلب من زوجته السيدة يوشوتو ، لسبب أجهله ، أن تكتب له الجواب ، وكانت السيدة قد حصلت في المدرسة بعض المعرفة بالانكليزية .

أنبأني السيد يوشوتو بأن الدورة الصيفية ستكون على الأغلب أكثر الدورات أعباء في السنة . وأنها ستبدأ في ٢٤ حزيران . كان ذلك يترك لي خمسة أسابيع كما أوضح لي ، لأعد عدتي . وقد أكد لي أسفه للمصائب المالية والعاطفية التي نزلت بي ، ورجاني أن ابذل جهدي لتقديم نفسي الى أصدقاء الفن القديم يوم ٢٣ حزيران ، لأحاط علماً بالواجب المترتب علي ، ولأتعرف على الاساتذة الآخرين الذين لم يكونوا يتجاوزون - كما علمت بعد ذلك - الشخصين وهما السيد يوشوتو والسيدة قريفته .

ثم وجدته يأسف بالغ الأسف لأنه ليس من عادة المدرسة أن تقدم سلفة للاساتذة الجدد تعيينهم على السفر . أما الراتب فيبلغ ، عند بداية العمل ، ثمانية وعشرين دولاراً في الاسبوع ، ويعترف السيد يوشوتو بأنه ليس بالمبلغ الكبير ، ولكن بما ان المسكن وقدرأ كبيراً من الغذاء سيضافان اليه ، وبما أنه يشعر بأنني احترق بنار الموهبة المقدسة ، فإنه يرجو ألا يحذ ذلك من اندفاعي . و اضاف أنه ينتظر بفارغ الصبر بريقة مني تؤكد موافقتي ، وانه يشعر بالسرور سلفاً لحضوري وانه سيبقى باخلاص صديقي الجديد ورئيسي في العمل .

ي . يوشوتو

من اكاديمية طوكيو الامبراطورية للفنون الجميلة

ارسلت بريقي بالموافقة خلال الدقائق الخمس التي تلت وصول الرسالة . والغريب أنني كبعت مبلي الى الاسهاب في الكتابة ، واوزت بريقي بكلمات عشر لا غير ، إما بسبب من انفعالي الشديد ، او ربما لانني استخدمت هاتف بوبي لارسال البرقية فاذا احساس بالجرمة يملكني ، واميل الى الايجاز ما استطعت . وفي المساء نفسه ، في الساعة السابعة ، عندما قابلت بوبي كالمعتاد في الغرفة المتطاولة لتناول العشاء اعتراني شيء من الانزعاج لأنه أحضر معه ضيفة جديدة . لم اكن قد ذكرت له شيئاً عن نشاطي الجديد خارج المدرسة ، وكنت أتحرق شوقاً لالقي اليه بالنبأ ، لأسدد له الضربة القاضية ، في اول لحظة نصبح فيها

وحيدين . كانت الضيفة امرأة شابة على جانب كبير من الجاذبية ، مطلقة منذ مدة لا تتجاوز عدة أشهر . كان بوبي يراها كثيراً ، وكنت قد قابلتها عدة مرات . كانت على كل حال امرأة رائعة . كنت أفسر الجهود التي تبذلها بدراية لتبدو لطيفة معي بأنها إنما تسعى لأن ألقى السلاح أمامها ، أو على الأقل لألقي قبعتي . كانت تلك الجهود تبدو لي كما لو أنها دعوات ضمنية للحاق بها إلى السرير عندما تستطيع ذلك ، أعني عندما نستطيع أن نترك بوبي الذي كان يكبرها سنّاً بصورة واضحة . لقد ظهرت طوال العشاء بمظهر العداء والاقتضاب في الحديث . وأخيراً ، رحت ونحن نتناول القهوة أعرض مشاريعي الجديدة للضيف في خطوطها العامة . وعندما انتهيت من ذلك وجه إلي بوبي عدة أسئلة ذكية ، أجبت عليها ببرودة واقتضاب ، وقرع من كان يرى نفسه سيد الموقف .

قالت ضيفة بوبي :

— اوه ! يبدو ذلك شيئاً مثيراً .

كأنما كانت تنتظر دولماً خبيل أن أمررها من تحت المنضدة عنواني في مونتريال .

قال بوبي :

— كنت اعتقد بأنك ستأتي معي إلى رود — آيلاند ، فقاطعتني مدام س ...

قائلة :

— اوه ! يا عزيزي ، لا تضع العراقيل في وجهه .

قال بوبي :

— اني لا اضع العراقيل في وجهه . ولكني اود أن أعرف فقط بعض التفاصيل حول الموضوع .

ومن تعبير وجهه فقط كنت أستطيع أن أوكد — دون أن أغرق في

المبالغة - بأنه قد بدأ يغير في ذهنه الحجرة التي حجزها في قطار رود - آيلاند بحجرة ذات سرير في الدرجة الثانية .

قالت مدام س ... بحرارة ، وكانت عيناها تشعان كسلا :
- انه أجمل خبر .. أروع خبر سمعته في حياتي كلها .

وفي يوم الأحد الذي قفزت فيه على رصيف محطة وندسور في مونتريال . كنت ارتدي بزة من الجاباردين النراي اللون . وكانت تبدو لي هائلة ، وقميصاً ازرق غامقاً ، وربطة عنق قطنية صفراء ، فاقعة اللون . وجوارب مخططة باللونين الأبيض والبني ، وقبعة صيفية تخص بوبي - كانت صغيرة القياس بالنسبة لي ، الى شارب أحمر عمره ثلاثة أسابيع . وهذا هو جدت السيد يوشوتو في انتظاره . كان رجلاً نحيلاً ، لا يتجاوز طوله المائة والخمسين سنتيمتراً ، يرتدي بزة من الكتان متسخة بعض الشيء ، تعلو رأسه قبعة سوداء ذات أطراف معكوفة ، وينتعل حذاء أسود . لم يبتسم ، ولم يتلفظ - على ما اذكر - بكلمة واحدة عندما تصافحنا . كان تعبير وجهه - واستعير هنا الكلمة التي سأستعملها لوصفه من كتاب فومانشو لساكس رومر « الطبعة الفرنسية » - . اقول : كان تعبير وجهه مغلقاً . ولا ادري لماذا رسمت على وجهي ابتسامة عريضة من الأذن الى الأذن الأخرى لم استطع تخفيفها ، بلنة التخلص منها .

كانت المدرسة تبعد عن محطة وندسور بضعة كيلومترات على الانسان ان يجتازها بالاتوبوس . واشك في ان يكون السيد يوشوتو قد تلفظ بخمس كلمات طوال الطريق . أما أنا فاني لم انقطع عن الحديث بالرغم من صمته المطبق ، وربما كان هذا الصمت هو الذي دفعني دفماً الى الكلام . كنت التحدث وساقاي متصالبتان - كاحل الاولى على ركبة الاخرى - ، وأنا اجفف العرق عن راحة يدي باستمرار بمسحهما على جواربي . كان يبدو لي امراً عاجلاً جداً لا أن اكتفي بتوكيد الكاذبي السابقة فقط حول موضوع قرابتي من السيد دوميه ،

ووفاء زوجتي ، ومزرعتي الصغيرة في جنوب فرنسا . بل أن أنسج حولها
الاحاديث . واخيراً ، ولئلا اتقرر حول هذه الذكريات الأليمة - وقد بدأت
تصبح أليمة بعض الشيء - رأيتني أننتقل الى شخص اقدم واعز صديق لأمريتي :
بابلو بيكاسو ، بيكاسو المسكين كما كنت أسميه .

لقد اخترت بيكاسو ، ويجب ان اعترف بذلك ، لأنه يبدو اكثر الرسامين
الفرنسيين شهرة في الولايات المتحدة ، وكنت انظر الى كندا بصورة عامة على
انها جزء من الولايات المتحدة ، ورحت اكرر للسيد يوشوتو بموجة من التأثير الممي
لمصير عملاق هوى .

كم من مرة قلت له :

- الى أين تلقى بنفسك يا سيد بيكاسو ؟

أما المعلم الكبير فقد كان سرعان ما يجيب على سؤالي العميق ذاك بأن يذرع
الستوديو بخطى بطيئة ، ثقيلة ، ليتوقف أمام احدي لوحاته عن « المهرجين »
والمجد الذي أضاعه منذ زمن طويل ورحلت أشرح له ، ونحن ننزل الاوتوبوس .
مشكلة بيكاسو الكبرى وهي أنه لا يصغي لأحد ، حتى ولو كان أخلص أصدقائه .

كان اصدقاء الفن القديم يقيمون عام ١٩٣٩ في الطابق الثاني من بناية صغيرة ،
كثيرة المنظر ، تتألف من ثلاثة طوابق ، في حي فردان ، أشد احياء مونتريال
كأبة . وكانت المدرسة تقع فوق مخزن يبيع ادوات لتقويم أعضاء الجسم ،
وتتألف من غرفة واسعة ، ومرحاض بدون قفل . هذا هو عالم أصدقاء الفن
القديم كله . ومع ذلك فأنني ما ان دخلت الغرفة حتى بدت لي فخمة المنظر .
وكان لذلك سبب هام وهو أن جدران غرفة المدرسين كانت تزدان بعدة لوحات
رائعة ، مؤطرة ؛ كانت من عمل السيد يوشوتو نفسه . إنني ما ازال حتى الآن
أحلم من حين لآخر بتلك الاوزة البرية البيضاء ، تحوم في سماء زرقاء ، شديدة
الشحوب . كانت اللوحة تتميز بجرأة ، وكهال في ينم عن دراية تامة بالمهنة الى حد

لم اشهد له مثيلاً من قبل . وكانت زرقة السماء ، او بالأحرى ، هالة من زرقة السماء تنعكس على اجنحة الطائر . كانت اللوحة معلقة خلف مكتب السيدة يوشوتو ، مع اثنين او ثلاث آخر تقاربها من حيث النوع والجودة . وكانت هذه اللوحات تضيء على الغرفة طابعاً بديعاً .

وعندما دخلنا - أنا والسيد يوشوتو - غرفة المدرسين كانت السيدة يوشوتو تكس ارض الغرفة بكنسة قصيرة اليد ، وهي تتردى « كيمونو » جميلاً من الحرير الأسود والأحمر . كانت امرأة ذات شعر رمادي ، أطول من زوجها بمقدار رأس كامل ، وكانت ملاحظتها تبدو مألوفة أكثر منها يابانية .

وتوقفت عن الكنس ، وتقدمت نحونا ، فقدمنا السيد يوشوتو : الواحد الى الآخر ، باقتضاب ، وسرعان ما بدت لي مغلقة من جميع الوجوه كالسيد يوشوتو تماماً ، إن لم تكن أشد غموضاً . ثم عرض علي السيد يوشوتو أن يريني غرفتي التي كانت حتى أمدي قريب ، كما شرح لي بالفرنسية ، غرفة ابنه الذي ذهب للعمل بزرعة في كولومبيا البريطانية . (كنت كثير الامتنان لتلفظه ، بعد الصمت الطويل داخل الاوتوبوس ، ولو بكلمتين متتابعتين وكنت أصغي بشغف) . واندفع يعتذر لأنه لم يكن هناك كرسي في غرفة ابنه ، بل وسائد فقط ملقاة على الأرض ، ولكني بادرت لاقتناعه بأن ذلك من حسن حظي . (واعتقد أيضاً بانني قلت اني امقت الكراسي . كنت شديد الانفعال لدرجة انه لو اعلن لي بأن غرفة ابنه كانت غارقة بالماء الى ارتفاع ثلاثين سنتيمتراً ايلاً نهاراً لما ترددت أن اشق امامه تعبيراً عن السرور . ولما فاتني ان اذكر له أنني مصاب بمرض غريب في رجلي يضطرني الى غطسهما في الماء ثمان ساعات كل يوم .)

وعندئذ قادني الى غرفتي ماراً بدرج خشبي يقطع ، وفي اثناء الطريق اكدت له بشدة أنني كنت ادرس البوذية . ثم اكتشفت بعد فترة ان السيد يوشوتو والسيدة زوجته كانا ينتميان الى احد المذاهب البروتستانتية . وفي ساعة متأخرة من قلك الليلة ، بينما كنت متمدداً على السرير ، دون ان يجد النوم سبيلاً الى عيني ،

(فقد كان عشاء السيدة يوشوتو الياباني - الماينيزي يحشم كتلة ضخمة فوق معدتي ويجول عظم القص الى مصعد.) في تلك الساعة راح احد آل يوشوتو يئن في نومه ، في الطرف الآخر من الجدار . كان أنيناً حاداً ، ضعيفاً ، متكسراً أقرب الى انين طفل غير طبيعي ، او حيوان صغير هزيل منه الى صوت انسان راشد .

(كان ذلك الفصل المؤثر يتكرر كل ليلة ، ولم استطع مطلقاً ان أحدد من آل يوشوتو هو الذي يقوم به ، كما لم استطع ان ادرك له سبباً) .

وعندما أصبح ذلك أمراً يصعب عليّ سماعه رانا متمدد كان لا بد لي أن اغادر السرير ، وانتعل خفي ، واتخطى في الظلمة ، واقبع على احدى الحشايا وساقاي متصلبتان - الواحدة فوق الاخرى - .

مكثت هناك ساعتين ادخن السجائر . واسحق أعقابها على عقب خفيّ ، ثم اضعتها في جيب مناءتي . (لم يكن آل يوشوتو يدخنان ، ولهذا السبب لم يكن في المنزل منافض للسجائر ،) ولم استطع أن أغض عيني الا في حوالي الساعة الخامسة صباحاً .

وفي الساعة السادسة والنصف قرع السيد يوشوتو باب غرفتي ليعلن لي أن الافطار سيكون جاهزاً في الساعة السابعة الا ربعاً . ولم ينس أن يسألني من خلال الباب ما اذا كنت قد نمت بصورة جيدة ، فأجبت بـ « نعم » ثم ارتديت ثيابي . (لبست بزّي الكحولية التي وجدتها انسب ما يكون لمدرس في يوم افتتاح الدروس ، ووضعت معها ربطة عنق حمراء من عند سولكا كانت امي قد قدمتها لي .) ثم اسرعت بالنزول الى مطبخ آل يوشوتو دون أن أغتسل .

كانت السيدة يوشوتو تقلي السمك امام المدفأة ، وتعدده لطعام الافطار . أما السيد يوشوتو فقد كان يجلس الى المائدة بالبنطال ، والقميص القطني فقط ، وهو يطالع صحيفة يابانية . وعندما لحني هزّي لي رأسه هزة مجاملة فقط ، فبدالي الاثنان اكثر غموضاً وانغلاقاً من ذي قبل .

أخذت مكاني من المائدة ، وقدمت لي قطعة من السمك في طبق على حافته

اثر ضئيل من مرق البندورة ، ولكنه ظاهر للعيان .

وسألتني السيدة يوشوتو بالانجليزية - بلهجة ساحرة الى أبعد الحدود لم اكن اتوقعها قط - ما اذا كنت أفضل ان اتناول بيضة ، ولكني اجبت بالفرنسية : « شكراً ، يا سيدتي . » وقلت بأني لا اذوق البيض مطلقاً . ودس السيد يوشوتو صحيفته على المائدة ، واستندما على كأس ، ثم رحنا نأكل ، نحن الثلاثة ، بصمت ، او بصورة ادق كانت الاثنان يأكلان ، وكنت انا ازدد الطعام بجهد في اطار من الصمت المطبق .

وما انتهى طعام الافطار حتى ارتدى السيد يوشوتو قيصاً بلاياقة دون ان يغادر المطبخ ، وخلعت السيدة يوشوتو صدارها ، ثم نزلنا نحن الثلاثة في قافلة الواحد وراء الآخر ، الى « غرفة المدرسين » . وهناك على مكتب السيد يوشوتو كانت تنتشر بشكل فوضوي عدة دزينات من المغلفات الكبيرة السمراء اللوث الثقيلة ، المنتفخة ، قدرت انها لا بد أن تكون اللوحات المرسومة حديثاً من قبل التلاميذ الجدد .

ارشدني السيد يوشوتو الى مكنتي الموضوع بشكل منعزل في الجانب الآخر من الحجرة ، ورجاني ان اجلس . ثم أخذ يفتح عدداً من المغلفات ، والسيدة يوشوتو الى جانبه ، وخيل الي انها يفحصان محتوياتها بطريقة ما ، وهما يتشاوران من حين لآخر باللغة اليابانية ، بينما بقيت انا هناك جالساً في الطرف الآخر من الحجرة ، ببزتي الكعبلية ، وربطة عنقي الحمراء ، وانا احاول النظر في حيوبة هادئة ، والظهور بمظهر الشخص الضروري لحسن سير المؤسسة . ولم البت ان اخرجت من جيب سترتي قبضة من اقلام الرسم اللينة كنت قد احضرتها من نيويورك ، ووضعتها بكل ما استطيع من هدوء على المكتب . وفي لحظة من اللحظات القى السيد يوشوتو نظرة نحوي ، لسبب او لآخر ، فرميتة بإتسامة لا حد لرقتها . وفجأة ، ودون ان ينبسا بكلمة ، او يلقياً بنظرة نحوي ، جلس كل منهما على مكتبه الخاص وشرعا يعملان . كانت الساعة اذ ذاك حوالي السابعة والنصف .

وحوالي الساعة التاسعة خلع السيد يوشوتو نظارتيه ، ثم انتصب واقفاً ،
وتقدم الى مكتبتي بخطوات غير مسموعة ، ويديه رزمة من الأوراق . كنت قد
امضيت ساعة ونصف الساعة دون أن اعمل شيئاً ، اللهم الا أن احاول ايقاف
معدتي عن القرقرة بصوت عال . فوقفت فوراً لدى اقترابه ؛ وانا احني رأسي
لثلاثي طول قامتي الى تأكيد احترامي له ، ومد لي رزمة من الأوراق وطلب
الي أن اكون لطيفاً ، وارجم الى الانكليزية التصحيحات المكتوبة التي وضعها
باللغة الفرنسية . قلت : « نعم ، يا سيدي » . فاحنني قليلاً ، وعاد الى مكتبته
بنفس الخطى غير المسموعة . وازحت قبضة اقلام الرسم اللينة الى زاوية المكتب
واخرجت قلم الحبر ، وانصرفت للعمل - وقلبي نصف محطم .

كان السيد يوشوتو ككثير من الرسامين المهرة لا يعلم الرسم خيراً مما يفعل أي
رسام عادي يملك موهبة خاصة للتعليم . كان اسلوبه العملي في التصحيح يتلخص في
أن يرسم الرسوم على ورق شفاف ، ثم يلصقها فوق رسوم التلاميذ ؛ مشفوعة
بملاحظات يسجلها على ظهر الاوراق .

وهكذا كان السيد يوشوتو يبدو قادراً على ان يبين للرسام المبتدىء الذي
يملك شيئاً من موهبة كيف يرسم خنزيراً يمكن التعرف اليه في زريبة للخنزير
قريبة من الواقع . وكان قادراً في الوقت ذاته ان يعلمه ايضاً كيف يرسم خنزيراً
يستهوئ الناظر في زريبة جذابة . ولكنه ان يستطيع مطلقاً ، ولو امضى حياته
كلها في ذلك ، ان يبين لشخص ما كيف يرسم خنزيراً جميلاً ، في زريبة جميلة .
(وهذه هي المعضلة الفنية التي كان خيرة تلاميذه يتمنون لو ترسل اليهم بالبريد) .
وليس معنى ذلك - لا ادري اذا كان من الضروري ان اضيف هذا - أنه يضمن
بموهبة عن قصد او غير قصد ، او انه لا يريد ان يجعل الآخرين يفقدون منها ،
ولكنه اسلوبه في التعبير فقط . ولم يكن في هذه الحقيقة القاسية ما يفاجئني .
صحيح انها لم تفاجئني ، ولكنها تركت في اثر ضعاف من العزلة التي كنت
احسها وانا جالس ارقب موعد الغداء الذي يقترب وكان علي ان اضاعف انتباهي

لثلاث نسخ اوراق لكثرة ما كانت يداي تعرفان . وكان خط السيد يوشوتو لا يكاد يُقرأ وكأنها جاء ذلك ليتزوج الضيق الذي اعانيه .

وعندما ازف موعد الغداء لم تكن لدي اية رغبة في الانضمام الى آل يوشوتو اياً كان الثمن ، فاحتججت بالذهاب الى البريد ، وهبطت السلم ، وهرولت الى الخارج ، ورحت أسير حيث تقودني قدماي بخطى سريعة في متاهة من الطرقات القريبة ، القبيحة . وعندما وصلت أمام مشرب يبيع بعض الاطعمة الخفيفة وجدتني ادخل المكان وازدرد على عجل اربع قطع من القديد الحار ، وثلاثة اقداح من القهوة الموحلة .

وفي طريق عودتي الى اصدقاء الفن القديم . رحلت أتساءل في شيء من الذعر وفي نوبة من الانهيار المعنوي كانت مألوقة بالنسبة لي الا أن التجربة علمتني كيف اسيطر عليها نوعاً ما ، رحلت اتساءل : لماذا استخدمني السيد يوشوتو في الصباح كمجرد مترجم فقط ؟ أترى كان عنده ما يلومني عليه بشكل خاص ؟ هل اكتشف آل - فومانشو - المعجوز منذ البداية ، من خلال الأسماء المستعارة ، والصفات الكاذبة ، أنني كنت أحل شاربي شاب في التاسعة عشرة ؟

لم يكن من السهل علي ان أقصور هذا الاحتمال : ولم يكن من السهل قبوله بالنسبة لي ، بالنسبة لشعوري بالعدالة . استخدم مترجماً ؟ ...

أنا ؟ الرجل الذي نال الجوائز الثلاث الأولى ؟ انا .. الصديق الحميم لبيكاسو ؟ (وقد بدأت حقاً بتصديق ذلك نهائياً .)

لم يكن العقاب يتناسب مع الجريمة كما خيل اليّ ، لأن الشاربين - على بعثرتها - كانوا شاربي انا ، لم الصقهما الصافاً . ورحلت أتحسبهما لأطمئن على ذلك وانا احث الخطى نحو المدرسة . وكلما فكرت في هذه القضية . برمتها ضاعفت من سرعتي حتى رحلت في النهاية أجري جرياً كما لو كنت اتوقع ان تلقى علي في كل لحظة كومة من الحجارة .

لم يأخذ الغداء من وقتي أكثر من أربعين دقيقة . ولكني عندما عدت كانت آل يوشوتو قد بدأ العمل . لم يرفعا رأسيهما ، ولم يبدر منهما ما يدل على انهما سمعاني ادخل . قصدت الى مكتبي على التو وانا الهث ، والعرق يتصبب مني ، ومكثت متصبلاً ، صامتاً ، في الدقائق الخمس عشرة او العشرين التي قلت ، وانا اجتر مجموعة متنوعة من النكت الصغيرة المستحدثة حول بيكاسو استعداداً للحظة التي سيفف فيها السيد يوشوتو بفترة ، ويقرب مني ليكشف زيفي :

وفجأة ، وقف واقترب مني ، فنهضت لاستقباله شاداً قامتي ، رافعاً رأسي ، استعداداً للمفاجآت ، وفي جمعتي نكتة صغيرة ، جديدة ، حول بيكاسو ، ولكني نسيت عقدهما من فرط الدهشة اثناء اقترابه ، واضطربت لذلك أيما اضطراب . ولم ألبث أن انتهزت الفرصة لأعبر له عن اعجابي بلوحة الاوزة البرية المعلقة فوق مكتب السيدة يوشوتو ، ورحمت اكيل له الشناء فترة طويلة ، وقلت : بأني اعرف شخصاً في باريس - وهو رجل ثري مشلول على وجه التحديد - على استعداد لأن يدفع أي ثمن ليظفر بهذه اللوحة . ثم اضفت قائلاً بأني أستطيع الاتصال به حالاً اذا كان الأمر يهم السيد يوشوتو . وكان من حسن الحظ على كل حال أن اعلن السيد يوشوتو أن اللوحة تخص ابن عمه الذي ذهب الى اليابان في زيارة لأقربائه . ودون أن يتروك المجال لأعبر عن أسفي لذلك ، سألتني وهو يلقيني بالسيد دوميه سميت ما اذا كنت اود أن اتلطف بتصحيح بعض الوظائف . ثم ذهب الى مكتبه وعاد مع ثلاثة من المغلفات الضخمة ، الهائلة ، ووضعها على منضدتي . ثم راح السيد يوشوتو يشرح لي طرق التدريس في المدرسة . او على الأصح - عدم وجود أية طريقة للتعليم ، بينما كنت انا اهز رأسي بلا انقطاع من الدهشة ، متحسناً اقلام الرسم التي اعدتها الى جيبي من خلال قماش سترتي . واحتجت الى عدة دقائق بعد أن عاد الى مكتبه لأففق من ذهولي .

كان التلاميذ الثلاثة الذين أوكل الي امرهم يكتبون بالانكليزية . كانت الأولى ربة منزل من تورنتو ؟ قبلت الثالثة والعشرين من العمر ، ترسل لوحاتها تحت

اسم « بامبي كرامر » وترجو من المدرسة ان تراسلها بهذا الاسم المستعار ذاته .

كانت مدرسة أصدقاء الفن القديم تطلب الى تلاميذها ان يملأوا استمارة ويرفقوا بها صورة من صور الهوية . أما الآنسة كرامر فقد ارسلت صورة مكبرة من قياس ١٨ × ٢٤ ، على ورق صقيل لامع ، تبدو فيها وهي تضع خلخالاً في رسغ قدمها ، ولباس استحمام دون حمالات ، وقبعة بحار بيضاء . وكانت قد سجلت في الاستمارة بأن رساميتها المفضلين هم : رامبرنت ، ووالث ديزني ، وازافت أن كل أعمالها تنحصر بأن تتمكن من تقليدهما يوماً ما .

كانت رسوماتها مربوطة تحت صورتها كأنها موضوع ثانوي . وكانت جميعها تلفت النظر . ولكن واحداً منها لم يكن لينسى ابداً . كان النموذج الذي لا يُنسى عبارة عن فوضى من الألوان المائية مزينة بهذه الأسطورة : « يا آلهي ، اغفر لهم خطاياهم ١ » ، وكان يمثل ثلاثة صبيان يصطادون في ماء غريب المنظر ، وقد علق أحدهم سترته على لافتة كتب عليها « الصيد ممنوع » . وكان أطولهم يبدو في المقدمة وكان إحدى ساقيه مصابة بالخرع ، والساق الثانية مصابة بالنضخم وقد تعمدت ذلك الآنسة كرامر ، كما يبدو بوضوح ، لأن الصبي كان يقف وساقاه منفرجتان قليلاً .

أما تلميذي الثاني فكان مصوراً فوتوغرافياً من وندسور ، اونتاريو . اسمه ر . هواردر ريجفيلد ، يبلغ السادسة والخمسين ، ويقول بأن زوجته تلاحقه منذ سنين ليبدأ اهتمامه بالرسم والتلوين . كان رساموه المفضلون رامبرانت ، وسارجنت وتيتان . ولكنه لا ينسى أن يضيف بأنه لا ينوي أن يزعم نفسه بتقليدهم . ثم يذكر فيما يذكر أنه يهتم بالجانب الساخر للرسم أكثر من الجانب الفني . ولتوكيد هذا الرأي أرفق بالاستمارة عدداً كبيراً من الرسوم الطريفة ، ومن اللوحات الزيتية . وما زال اذكر إحدى لوحاته ؛ تلك التي أعدها احسن ما تلقيت منه . لقد بقيت تتردد في ذاكرتي على مر الزمن كما تتردد كلمات أغنية رقيقة مثل

« يا حبيبي .. انت أملي ! » او « دعني اناديك .. يا حبيبي ! » ، كانت اللوحة تمثل موضوع السخرية المؤلف الذي لا يغني : فتاة عذراء ، ذات شعر أشقر طويل ، بصدر كصدر البقرة الحلوب ، تقترس بوحشية في الكنيسة ، وفي ظل المذبح نفسه من قبل كاهنها . كانت ملابس الاثنين - الكاهن والفتاة - في فوضى ظاهرة . والحق أني دهشت لطريقة الرسم أكثر بما دهشت لفكرة النقد . ولو لم أكن على يقين من أن الواحد منها يقطن على بعد آلاف الكيلومترات عن الآخر لراهننت بأن ريجفيلد قد تلقى نصائح فنية من بامي كرامر .

عندما كنت في التاسعة عشرة كانت رغبتني في الضحك تتعرض في اللحظات الحرجة ، ما عدا حالات نادرة ، للشلل جزئياً تارة ، وكلياً تارة أخرى . لقد تركني ريجفيلد والأنسة كرامر نهياً لمشاعر عديدة ، ولكنها لم يبعثا في ، في أية لحظة من اللحظات ، الرغبة في الضحك . لقد خطر لي ثلاث مرات او اربع ، بينما كنت ادرس رسومهما ان انهض واذهب الى السيد يوشوتو لاحتج احتجاجاً شديداً . ولكي لم أكن اعرف أي أسلوب اعتمد في احتجاجي . لقد كنت اخشى على ما اظن ألا أكون قادراً على الذهاب الى مكتبة الامن أجل أن أعلن له بلهجة جافة ، وبصوت حاد : « أن امي ميتة ، وأن علي ان اعيش مع زوجها الرقيق وليس هناك في نيويورك من يتكلم الفرنسية ، وانه ليس هناك حتى كرسي في غرفة ابنك ! اذاً ؛ فكيف بالله عليك استطيع تعليم الرسم لهذين المجنونين ؟ » وفي النهاية نجحت بسهولة في البقاء جالساً حيث انا ، نتيجة لمراي الطويل على كبت يأسني ، وفتحت مغلف تلميذي الثالث .

لم يكن تلميذي الثالث سوى راهبة من جماعة اخوات القديس يوسف ، اسمها الاخت ايرما ، تقول بانها تعلم الرسم ، والتدبير المنزلي ، في مدرسة دير ابتدائية ، تقع في نهاية مدينة تورنتو . ولا ادري بالضبط كيف ابدأ بوصف ما يحتويه مغلفها . ربما استطعت ان اذكر اولاً أن الاخت ايرما استعاضت عن وضع صورة لها بصورة للدير دون ان تقدم تفسيراً لذلك . وما ازال اذكر انها تركت سطر

الاستمارة المخصص لذكر سن التلميذ فارغاً . اما بقية الاستمارة فقد كانت مكتوبة كما تكتب أية استمارة أخرى في العالم : « لقد ولدت في ديترويت - ميشيغان ، ونشأت هناك . كان والداها مراقباً في شركة سيارات فورد . لم تكن دراستها العليا تتعدى السنة الواحدة من الدراسة التكميلية . ولم تكن قد قابت أي درس في الرسم وقد ذكرت أن السبب الوحيد الذي جعلها تعلم هذه المادة هو أن الاخت ... قد ماتت ، وإن الأب زيرمان - وقد أثر في هذا الاسم كثيراً لأنه كان كاسم الطبيب الذي اقتلع لي اسناني الثمان - أقول : إن الأب زيرمان هذا قد اختارها لتحل محل الأخت المتوفاة . ثم اضافت تقول بأن في صفها « اربعة وثلاثين كتكوتا » وفي صف الرسم « ثمانية عشر كتكوتا » آخرين ، وانها تملأ اوقات فراغها بحب الله ، وبكلام الله . ويجمع اوراق الشجر أيضاً ، ولكن عندما تسقط على الأرض فقط . كانت رسامها المفضل دوغلاس باندينغ (وهو اسم لا أخجل ان اقول أنني بحثت عما يعنيه طوال هذه السنوات الخمس بلا جدوى) ولم تنس ان تذكر أن فرائخها الصغيرة تحب أن ترسم اشخاصاً يركضون ، وأن ذلك بالضبط هو اسوأ ما ترسمه هي . واطافت أنها قد صممت على ان تبذل كل ما في وسعها لتتعلم الرسم ، وترجو ان تتحلى بالصبر معها . »

لم يكن في المغلف الا ستة نماذج من رسوماتها لا غير ، (ولم يكن اي من رسوماتها مذيلاً بتوقيعها . وهو موضوع ليس بذى بال . ولكنه بدا لي حينئذ شيئاً يبعث على الارتياح . فقد كان كل أثر من آثار بامي كرامر وريخفيلد مذيلاً بتوقيع صريح واضح . ولعل الذي كان أشد ازعاجاً لي وجود الحرفين الأولين من اسميهما كما يفعل اعلام الرسم) .

والآن ، وبعد ثلاث عشرة سنة ، فأني لا اذكر بوضوح لوحات الأخت ايرما الست فحسب ، بل يبدو لي احياناً اني اذكر اربعاً منها بجلاء ما يزال يبعث في نفسي هزة عميقة حتى الساعة . كان احسن رسوماتها رسماً مائياً على ورق بني اللون ، (والورق البني ، ولا سيما ورق التغليف ، هو ورق جيد ، طري ، يعين

كثيراً على الرسم ، وقد استخدمه أكثر من رسام مجرب عندما لم تكن عنده النية لرسم شيء هام جداً ، أو شيء ضخم .) كان الرسم المائي بالرغم من مساحته المحدودة ، (وهي عشرون سنتيمتراً بخمسة وعشرين تقريباً .) يمثل في تفاصيله الدقيقة نقل السيد المسيح الى الضريح المقدس في حديقة يوسف الأريماطي . كان في المقدمة في أقصى اليمين رجلان هما من خدم يوسف كما يبدو يحملان المسيح بطريقة سيئة ، ويتبعها يوسف الأريماطي بقامة منتصبه أكثر مما ينبغي نظراً للظروف . ثم يأتي وراء يوسف ، وعلى بعد مناسب ، نساء الجليل وقد اختلطن مع حشد مبرقش ، غير منظم من النائفات المسكينات والأولاد ، وعدد لا يقل عن الثلاثة من نافخي البوق يقفزون بنفاق . كانت أهم شخصية في تلك اللوحة ، في رأيي ، شخصية امرأة رسمت من الوجه ، في مقدمة اللوحة ، الى الجانب الأيسر . كانت ذراعها اليمنى فوق رأسها . وكانت تلوح بإشارات عجيلى الى شخص ما ، ربما كان ابنها أو زوجها أو الشخص الذي ينظر الى اللوحة تدعوه لكي يدع كل شيء جانبا ، ويأتي إليها على الفور . كانت هناك امرأتان تحيط برأس كل منهما هالة من النور ، وقد تعذر علي معرفتهما على وجه اليقين لأنني لم يكن في حوزتي إنجيل هناك . ومع ذلك فقد تعرفت فوراً على ماري مادلين ، أو كنت على الأقل لا أشك في معرفتهما كانت في الوسط ، في مقدمة اللوحة ، تسير كما يبدو دون أن تكثر بالحدس وذراعاها متدللتان على جانبيها . لم تكن تحمل أي اثر للحزن . وفي الحقيقة ، لم يكن فيها شيء على الإطلاق يمكن ان يذكر بعلاقتها الحديثة مع المتوفى ، تلك العلاقة التي كانت مشار حسد الكثيرات . كان وجهها ككل الوجوه في اللوحة ، ملوناً بلون البشرة الرخيص الجاهز . وكانت يبدو واضحاً بمرارة أن الأخت ايرما نفسها لم تكن مرتاحة الى هذا اللون الذي حصلت عليه ، وانها بذلت جهداً لتخفف منه قليلاً . لم يكن هناك من أخطاء أخرى هامة في اللوحة ، اذا لم نشأ أن نطيل المباحكة والنقد . كانت في جملتها عملاً فنياً

تطلب موهبة منظمة . والله وحده يعلم كم من الساعات المملأى بالجهد - المريب اقتضاها هذا العمل .

كان أول ما دار في خاطري ، في الحقيقة ، أن أهول نحو السيد - يوشوتو مع مغلف الأخت إيرما . ولكني مكنت جالساً مرة أخرى . لم أكن أرغب في أن اجازف وأرى نفسي محروماً من الأخت إيرما ، فإذا أنا أغلق المغلف بعناية ، وأضعه على زاوية من المكتب ، وأنا شديد الحماسة لفكرة العمل به في الليلة التالية في أوقات فراغي .

امضيت بقية ما بعد الظهيرة بصبر لم أكن أصدق أنني أمتلكه في تصحيح صور عادية لرجال ونساء (من دون عضو جنسي) ، رسمها ر . هوارد ريجفيلد على درجة لا بأس بها من البذاءة . ولما أزفت ساعة العشاء فككت ثلاثة من ازرار قميصي ، ودست مغلف الأخت إيرما حيث لا يستطيع اللصوص ، حتى ولا آل يوشوتو انفسهم أن يفتروا عليه ، زيادة في الحرص والاطمئنان .

كان هناك طقوس ضمنية ، ولكنها صلبة لا تقبل التعديل ، تتقدم طعام العشاء كل يوم عند اصدقاء الفن القديم . كانت السيدة يوشوتو تنهض فجأة من مكتبها في تمام الساعة الخامسة والنصف وتضع لاعداد الطعام . وكنا نتبعها أنا والسيد يوشوتو الواحد تلو الآخر في تمام السادسة . ولم نكن لنشد عن هذه القاعدة ولو كان ذلك لسبب صحي قاهر . ولكني في هذا المساء بالذات شعرت وأنا أحمل مغلف الأخت إيرما ملتصقاً بي ، يبعث الدفء في صدري ، براحة لم أشعر بمثلهما من قبل مطلقاً . وفي الواقع بدت طوال فترة العشاء منشرحاً بشكل ليس له نظير . ولم أنس أن اقص قصة صغيرة حول بيكاسو مرت بذهني في حينها ؛ قصة كنت أستطيع أرجاء مردها الى يوم ماطر . ولم يخفص السيد يوشوتو صحيفته الا بمقدار بسيط للصغاء اليها . ولكن السيدة يوشوتو بدت أكثر انبساطاً ، او بالأحرى أقل انطواء . وعلى كل فقد

رأيتها توجه اليّ الحديث عندما انتهيت لأول مرة منذ الصباح ، وذلك عندما طلبت الي ما اذا كنت افضل أن اتناول بيضة . ثم سألتني عما اذا كنت ما ازال غير راغب حقاً في وجود كرسي بغرفتي . فأجبت بجملة : لا . لا داعي لذلك . شكرًا يا سيدتي . وقلت بأن الطريقة التي ركزت فيها الوسائد على الجدار تهنيء لي فرصة طيبة لأروض نفسي على الجلوس بشكل مستقيم ، ونهضت لأبين لها الى اي حد كنت اعاني من تقويس الظهر . وبينما كان آل يوشوتو يتجادلان باليابانية بعد العشاء في احد المواضيع الغامضة استأذنت منهما بأدب ، وهممت بالانصراف . فنظر الي السيد يوشوتو نظرة من يتساءل : كيف اجد نفسي في منزلهم . وهل تراني اقدوق طعامهم ؟ ولم يلبث ان وافق على طلبي ، فاتجهت مسرعاً الى المعبر المغضي الى غرفتي .

وما ان اضأت الغرفة ، واوصدت الباب من ورائي ، حتى اخرجت اقلام الرسم من جيبتي ، وخلعت سترتي ، ثم فككت قميصي ، وجلست على وسادة ومغلف الأخت ايرما بين يدي ، ومضيت حتى ما بعد الساعة الرابعة صباحاً ، وقد بعثرت كل ما احتاجه حولي على الأرض ، اجهد في ان ارضي كل ما كنت اعتقده الحاجات الغنية المباشرة للأخت ايرما ..

كان اول ما فعلته هو أن رسمت عشرة ، او اثني عشر نموذجاً بالقلم . وبدلاً من أن انزل لأحضر ورقاً للرسم من « غرفة المدرسين » رحمت ارسم النماذج على دفترتي الخاص ، مستخدماً كل ورقة على الوجهين . وعندما انجزت ذلك دبيجت رسالة طويلة دونما نهاية . لقد دأبت طوال حياتي على ان احتفظ بالأشياء كغراب ممسوس ، لذلك فاني ما ازال احتفظ بالمسودة الأخيرة للرسالة التي كتبتها للأخت ايرما في تلك الليلة من حزيران عام ١٩٣٩ ؛ وباستطاعتي الآن ان انقلها كلها هنا .. كلمة .. كلمة .. ولكنني لا أرى ذلك ضرورياً .

في القسم الاكبر من رسالتي اللامتناهية - وهي لا متناهية فعلاً - جهدت في

ان اشرح لها كيف وجدت في لوحها الرئيسية بعض الصعوبات ، واين وجدتها ، ولا سيما بالنسبة للألوان . وكتبت لها قائمة ببعض اللوازم التي تحتاجها . واضفت اليها اثناها التقريبية . وسألت عن دوغلاس بونتنيغ واين استطيع ان أرى بعضاً من انتاجه . وسألتها (وكنت اعرف سلفاً ان ذلك غير ممكن) ما اذا كانت قد شاهدت في يوم من الأيام بعض اللوحات الزيتية لأنتونيلو ، او مسينا . ثم رجوتها ان تذكر لي عمرها ، وأكدت لها في طوفان من الجمل انها اذا ما ذكرته لي فأت ذلك سيقى سرأ فميا بيننا . وشرحت لها بأن الدافع الوحيد الذي يدفعني لهذا السؤال هو ان معرفتي لسنها تساعدني على تعليمها بصورة اجدى . ودوت ان التقط انفاسي سألتها ايضاً ما اذا كان يسمح لها باستقبال بعض الزائرين في الدير .

اما الأسطر الأخيرة ، او بالأحرى « الديسيمترات المكعبة » الباقية من الرسالة كما اذكر فيجب ان تنقل هنا بجذافيرها ؛ بنفس التراكيب والفواصل ، و .. كل شيء ...

« اذا كنت تتكلمين الفرنسية فساكون معترفاً لك بالجميل اذا ذكرت ذلك لي ، لأني استطيع التعبير عن نفسي بوضوح في تلك اللغة نظراً لأني أمضيت الجانب الاكبر من شبابي في باريس بفرنسا .

وبما انك مهتمة كما ارى بتمثيل الأشخاص اثناء الحركة ، وبما انك مضطرة فتعليم هذا الضرب من الرسوم لتلاميذك في الدير فاني ارفق بهذه الرسالة عدة باذج صنعتها بنفسي ارجو ان تكون ذات فائدة لك . سترين بانني رسمتها لسرعة كبيرة ، وانها ليست كاملة تماماً . وليست حتى نهاج للاقتداء ، ولكني اعتقد بانها قد تبين لك المبادئ التي تحتاجين اليها . ويوسفني ان اصارك بان مدير هذه المؤسسة لا يملك طريقة معينة للتعليم . اني لسعيد بانك قد خطوت خطوات واسعة في هذا الميدان ، ولكنني لا ادري ماذا يريد المدير ان افعل بتلاميذي الآخرين الذين لا اراهم مختلفين فحسب ، بل اغيباء قبل كل شيء . اني من اصحاب الأفكار المتحررة - لسوء الحظ - ولكنني اعجب كثيراً مع

ذلك بالقديس فرانسوا الآسيزي - على البعد بالطبع - واني اتساءل ما اذا كنت قد قرأت على سبيل الاتفاق بعض ما قاله (القديس فرانسوا الآسيزي) عندما كانوا على وشك أن يحرقوا احدي عينييه بالحديد المحمى ؟ لقد قال ما يلي :

« ايتها النار ، يا شقيقتي ! لقد خلقتك الله جميلة ، قوية . نافعة ، فملا رأفت بي ا » اني اجد في رسمك ما يشبه كلمات هذا القديس بعض الشبه من عدة وجوه أراها للذينة بمتعة . وبالمناسبة ، هل استطيع ان اسألك ما اذا كانت المرأة الشابة باللون الأزرق ، في مقدمة اللوحة ، هي مريم المجدلية . اني اتحدث عن اللوحة التي تكلمنا عنها بالطبع . اذا لم تكن هي فاني اكون قد خدعت نفسي خدعة كبيرة . ولكنها لن تكون المرة الأولى .

أرجو ان تتأكدي بأنني تحت تصرفك ما دمت تلميذة عند اصدقاء الفن القديم . اقول لك مخلصاً بأنني اعتقد انك تملكين موهبة فذة ، ولن يدهشني ابداً اذا ما ظهر عما قريب انك عبقرية . ثقي بأنني لا اشجعك تشجيعاً كاذباً في هذا المضمار . وذلك هو احد الأسباب التي تدفعني لسؤالك عن حقيقة المرأة الشابة ذات الثوب الأزرق ، الموجودة في مقدمة الصورة ، اهي مريم المجدلية نفسها ؟ واني اخشى ان تكوني قد اطلقت العنان لعبقريتك الناشئة اكثر مما اعطيت لميولك الدينية . على كل حال ، ليس هناك ما يخشى منه في رأيي .

.. مع تمنياتي الصادقة بأن تكوني في صحة جيدة ، سأبقى بكل احترام تحت تصرفك .

التوقيع

جان دو دوميه سميت

استاذ في « اصدقاء الفن القديم »

حاشية :

« لقد كدت أنسى ان اخبرك بأن على التلاميذ ان يرسلوا أعمالهم الى المدرسة يوم الاثنين ، في كل خمسة عشر يوماً . هل ترغبين في ان ترسلي الي في المرة القادمة رسوماً خارجية ؟ »

ارسمها بحرية تامة ، ولا تورغي نفسك على شيء . لا ادري بالطبع كم من الوقت يترك لك في الدير لرسومك الخاصة . إنني ارجو ان تذكرني ذلك لي ارجوك ايضاً ان تقتني اللوازم الضرورية التي سمحت لنفسني بأن اشير عليك بها لأنني احب ان تبدئي في اقرب فرصة ممكنة التصوير الزيتي . اغفري لي هذا التعبير . ولكنني ارى انك مندفعة اكثر مما يجب في اهتمامك بالتلوين المائي دون اللوحات الزيتية . اني اتكلم بصورة موضوعية تماماً ، ولا انوي مطلقاً ان اكون مصدر ازعاج لك . بل بالعكس . إن في ذلك مزيداً من التقدير لك . ارجو ان ترسلي الي ايضاً كل انتاجك القديم الذي تحتفظين به لأنني انحرق شوقاً لرؤيته . ستبدو لي الأيام طويلة لا تطاق حتى تصل الي مغلفاتك الجديدة . ذلك بديهي وسأكون شاكراً لك أن تخبريني - اذا لم يكن في ذلك تدخل في شؤونك الخاصة - : هل انت مسرورة كل السرور لكونك راهبة ، على المستوى الروحي بالطبع ؟!

لقد درست في الواقع ؛ مجرد التسلية ، عدداً لا بأس به من البيانات . ذلك انني قد قرأت مجلدات هارفارد الكلاسيكية التي تحمل الارقام ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥ وربما كنت تعرفينها . لقد كنت مشغولاً بمارتن لوتر الذي كان بروتستانتيّاً بالطبع ارجو الا تجدي في ذلك اية محاولة للتجريح . إنني لا ادعو الى اي مذهب . فليس ذلك في طبعي . واخيراً ما دمنا في صدد هذا الموضوع فلا تنسي ان تذكرني لي ساعات الزيارات عندك . لانني حر في نهاية كل اسبوع كما اعرف . وربما مررت بجوار الدير في احد ايام السبت على سبيل المصادفة . لا تنسي ايضاً أن تذكرني لي ما اذا كنت تتكلمين الفرنسية بصورة صحيحة ، لأنني ضعيف

التعبير باللغة الانكليزية من كل النواحي اذا ما قورنت باللغة الفرنسية بسبب من تربيتي المتنوعة غير المتجانسة الى حد خطير . »

خرجت الى الشارع في حوالي الساعة الرابعة صباحاً لأضع رسالتي ورسومي في صندوق البريد . ثم خلعت ثيابي وانا غُسل من الفرح واستلقيت على سريري واصابعي متصلبة من الكتابة .

كنت على اهبة النوم عندما قرع ممعي من جديد انين ينبعث من خلال حاجز غرفة آل يوشوتو . وتصورت آل يوشوتو قادمين نحوي في صبيحة اليوم التالي وهما يسألانني ، ويتضرعان بالحاج لأصغي حتى الى ابشع التفاصيل لسرهما المخير . ورحلت اتخيل كيف سيجري ذلك تماماً . ساكون جالساً بينهما امام منضدة المطبخ . وسأصغي .. سأصغي .. سأصغي .. ورأسي بين يدي . حتى اذا أصبحت في النهاية غير قادر على سماع اكثر مما سمعت غصت بيدي في حلق السيدة يوشوتو والتقطت قلبها بين اصابعي ورحلت ادقته كطائر . فاذا ما عادت الأمور الى مجاريها اطلمت آل يوشوتو على لوحات الأخت ايرما وسيفاسمانني فرحي بلا ريب .

تظهر لنا الاشياء البديهة دائماً بصورة متأخرة .

ولكن الفرق الوحيد بين السعادة والفرح هو ان السعادة جسم صلب ، في حين ان الفرح جسم سائل . لقد اخذ فرحي ينسكب من وعائه منذ صباح الغد عندما ترك السيد يوشوتو على مكنتي مغلفات قصيدتين جديدين . كنت حينئذ منهمكاً في تصحيح رسوم بامي كرامر ، وانا بادي الانشراح لتلقي بأن رسالتي للأخت ايرما قد اصبحت بامان في البريد . ولكني لم اكن قد اعددت نفسي مطلقاً لأواجه هذا الاحتمال الرهيب وهو ان يكون على وجه الأرض شخصان أقل موهبة واستعداداً للرسم من بامي كرامر ور . هوارد ريجفليد . واحسست ان كل شعاعتي تخونني ، فاشعلت سيجارة في « غرفة المدرسين » لأول مرة منذ ان اصبحت في عداد الموظفين . ولم ألبث ان استشعرت قليلاً من الراحة ، ثم عدت

الى وظائف بامي . ولكنني ماكدت انتهي من سحب ثلاثة او اربعة انفاس من سيجارتي حتى شعرت ، دون ان ارفع رأسي ، بان السيد يوشوتو ينظر الي . ثم تأكدت ظنوني عندما سمعته يدفع كرسيه . فبادرت للاقائه كالعتاد ، واذا هو يشرح لي بهمس مزعج بانه لا يمانع ابداً في ان ادخن ، ولكن تعليمات المدرسة ، مع الأسف ، تمنع التدخين في « غرفة المدرسين » . وقطع سيل اعتذراتي بحركة وقورة من يده ، وعاد الى زاوية الحجرة التي يتقاسمها مع السيدة يوشوتو . ورحت أتعامل . وقد اتينا بطني موجة من الذعر ، ماذا علي ان اعمل لأستطيع الاستمرار في البقاء دون ان اصاب بالجنون طوال الايام الثلاثة عشرة القادمة ، حتى يحين يوم الاثنين الذي سترسل فيه الأخت ايرما مغلفها المنتظر .

كان اليوم صباح الثلاثاء . امضيت بقيه ساعات العمل في ذلك النهار ، والنهارين السكاملين التاليين في جهد متواصل . هدمت كل رسوم بامي كرامر . ور هوارد ريجفيلد واعدت بناءها بعناصر جديدة . ووضعت لكل منها عشرات وعشرات من التهارين للرسم اعترف انها كانت ظالمة مرهقة ولكنها مفيدة . وكتبت لهما رسائل طويلة فتوصلت الى ر . هوارد ريجفيلد ، او ما يقرب من ذلك ، ام ان يتجنب النقد والتمك فترة من الزمن . كما طلبت الى بامي بكثير من المداراة ان تنفضل بالآلا ترسل الينا ولو لفترة من الزمن رسوماً مرفقة بأساطير من طراز « اغفر لهم خطاياهم ! » ثم تناولت بعد ظهر الخميس ، وانا احسن باني في حال جيدة ، رسوم احد التلميذين الجديدين ، وهو امريكي من بانجور في الماين ، يقول في استمارته . بتلك الاستقامة الثائرة التي يتصف بها صبي « في غاية الصراحة » بان رسامه المفضل هو نفسه . كان يتكلم عن نفسه كفنان من المدرسة الواقعية التجريدية .

خرجت مساء الثلاثاء ، بعد انتهاء الدوام ، واستقلت الاوتوبوس الذي يقودني الى وسط مونترالي ، وجلست في صالة من الدرجة الثالثة امام معرض للرسوم المتحركة ، ومضيت اشاهد موكباً من الحرارة تطاردها عصابة من الفئران بسدادات

زجاجات الشامبانيا . وفي مساء الاربعاء جمعت وسائد غرفتي ونصبتها ثلاثة ثلاثة وحاولت ان ارسم من الذاكرة لوحة الاخت ايرما : « الدفن »

كنت احب ان اقول ان مساء الخميس كان غريباً اذا لم اقل كثيراً الى اقصى حد . ولكنني في الحقيقة لا اجد صفة مناسبة لهذا المساء . فقد تركت اصدقاء الفن القديم بعد العشاء ، وخرجت لا الوي على شيء . ولا ادري الى اين اتجهت . . . للسبب أم للنزعة فقط ؟ لم اعد اذكر ، فذكراتي عام ١٩٣٩ تخونني بدورها للمرة الاولى لان الصفحة التي احتاجها بيضاء تماماً .

ولكنني مع ذلك ؛ ما ازال اذكر لماذا بقيت الصفحة بيضاء ؟ ما ازال اذكر ان الظلام كان غليظاً عندما عدت من المكان الذي قضيت فيه السهرة ، ايا كان الموقع الذي سهرت فيه ، وفي طريق العودة توقفت عند رصيف المدرسة والقيت نظرة خاطفة على واجهة الخزن المضاء مخزن لوازم تقويم الجسم واذ ذاك حدث شيء رهيب جداً . لقد حاصرتني فكرة بانه قد لا يكون من المهم كثيراً ان اتعلم يوماً ما كيف اعيش حياتي بلا مبالاة ، او بحس سليم ، او بنوع من الرفاه ، فلن اكون مطلقاً في احسن الأحوال الا عابراً في حديقة من المبال والمراحيض المطلية بالمينا حيث ينتصب تمثال انسان الخشب واقفاً فوقنا نظرة ، يشد في وسطه رباطاً من اربطة الفتق بقصد الدعاية . لم استطع حتماً احتمال هذه الفكرة اكثر من عدة ثوان . واذكر اني هرولت الى غرفتي على اربع ونزعت ثيابي ، وتسلفت الى السرير ، دون ان افتح مذكراتي ، ودون ان اخط فيها حرفاً واحداً بطبيعة الحال .

مكثت ساعات . . . وانا مستيقظ ارتعش ، وانصت الى الأنس في الحجرة المجاورة ، واقسر نفسي على التفكير في تلميذتي المثالية . كنت احاول ان اتخيل اليوم الذي ساذهب فيه لزيارتها في الدير . كنت اراها قادمة للقائي - امام سياج عال من الحديد - فتاة جميلة نقية ، في الثامنة عشرة لم تتندر نفسها نهائياً بعد . كانت ما تزال حرة في العودة الى العالم مع آل « بيري آبيلارد » الذي اختارته . وكنت اراني الى جانبها نمشي بخطى بطيئة ، هادئة ، في حديقة الدير نحو مكان

منعزل مخضوض . وفجأة الف ذراعسي ببراءة حول خصرها . كانت الصورة
أشدّ عنوبة من ان تبقى ثابتة . لذلك تركتها أخيراً تحتفي . ورحت في سبات
عميق .

أمضيت صباح يوم الجمعة كله ، والجانب الاكبر من فترة ما بعد الظهيرة في
العمل كمحكوم بالأشغال الشاقة لأحول الى اشجار واضحة ، وعلى ورق شفاف ،
غاية الرموز الجنسية التي رسمها صبي بانفور في المابن بجعد على ورق صقيل ثين .

وفي حوالي الساعة الرابعة والنصف شعرت بحذر شديد يلغني روحاً وجسداً .
وكننت في طريقي الى النهوض عندما وافاني السيد يوشوتو لحظة ومسد لي شيئاً
ما بحركة جامدة كحركة صبي في مطعم يمد لك قائمة الطعام . كانت رسالة من
الأم الرئيسة لدير الأخت ايرما قنبي : فيها السيد يوشوتو بأن الأب زيمرات ،
نتيجة لظروف خارجة عن ارادته ، يرى نفسه مضطراً للعدول عن الاذن الذي
اعطاه للأخت ايرما بمتابعة الدروس في مدرسة اصدقاء الفن القديم .

واضافت الأم الرئيسة بأنها تأسف بحرارة للازعاج والمضايقات التي قد يسببها
هذا القرار للمدرسة . وهي ترجو مخلصاً ان يعاد الى الأبرشية القسط الاول الذي
دفع للدراسة ويبلغ اربعة عشر دولاراً .

إني واثق منذ أمد بعيد من ان الجرذ الذي يخرج من الفخ وهو يعرج قليلاً
يعود الى جحره وفي رأسه مخطط مكيفيلي جديد لقتل الهر . فبعد أن قرأت ،
واعدت قراءة رسالة الام الرئيسة ، وتأملتني ، تحولت عنها فجأة ، ورحت
أخط رسائل للتلاميذ الاربعة الذين بقوا لي أنصح لهم فيها ان يستبعدوا من
اذهانهم فكرة ان يصبحوا رسامين . وصرحت لكل منهم على حدة بأنه لا يملك
ذرة من موهبة جديرة بالتنمية . وانهم جميعاً يضيعون وقتهم عبثاً ، كما يضيعون
وقت المدرسة .

كتبت الرسائل الاربع بالفرنسية . وعندما فرغت من ذلك خرجت على

الفور لاضعها في البريد . لم يدم سروري بذلك طويلاً ، ولكنه كان في تلك اللحظات التي دامها عنيفاً طاغياً .

وعندما حان وقت الانضمام الى موكب العشاء في المطبخ . اعتذرت ، وقلت بأني اشعر بشيء من التوعك . (كنت في عام ١٩٣٩ اقول الكذب بقناعة تفوق قناعتي عندما اقول الحقيقة . ومع هذا فقد كنت مقتنعاً بأن السيد يوشوتو لم يصدقني حين ذكرت بأني متوعك المزاج)

صعدت الى غرفتي ، وجلست على وسادة ، ومكثت هناك زهاء ساعة وعيناي مثبتتان على ثقب في الزجاج يعبر النور من خلاله ، دون أن أحل ربطة عنقي . ثم نهضت فجأة ، وامسكت بصفحة من الورق ، وتددت على الارض ، ورحت اخط رسالتي الثانية الى الاخت ايرما .

لم توضع تلك الرسالة في البريد قط . ولذلك فالنسخة التالية هي صورة طبق الاصل عنها :

مونتريال - كندا

٢٨ حزيران ١٩٣٩

عزيزتي الاخت ايرما

هل اتفق أن ذكرت في رسالتي السابقة شيئاً في غير محله ، أو شيئاً يسيء الى مقامك في عين الاب زيرمان أو عبارة ما سببت لك ازعاجاً بصورة أو بأخرى . اذا كان قد حدث شيء من ذلك فاني التمس منك أن تتركي لي فرصة لاسحب ما قد اكون قلته دون ارادة مني ، اثناء رغبتني الحارة في أن تنشأ بيننا صداقة من ذلك الضرب الذي يكون بين التلميذ واستاذة لا اكثر . أتاني في طلي هذا أتجاوز الحدود ؟ لا أظن ذلك !

ان الحقيقة المجردة هي ما يلي :

اذا لم تتعمقي دراسة اصول الرسم فقد تبقيين طوال حياتك فنانة لا بأس بها ،

ولكنك لن تصبحي فنانة كبيرة . وهذا مخيف في رأيي .
أتدركين خطورة الموقف ؟

ربما كان الأب زيرمان قد أكرمك على الغناء وتسجيلك في المدرسة ، لان ذلك لا يتلاءم مع حياتك كراهبة ، اذا كان ذلك هو الواقع فاني لا استطيع الا أن أقول بأنني أرى هذه الفكرة خاطئة من عدة نواح . ليس في الفن ما يتناقض مع الرهبنة . انا نفسي أعيش حياة نصف راهب .

ان أسوأ ما يمكن أن يعود به عليك الفن هو أن يجعل منك ابداً شقية بعض الشيء . ولكن ذلك لا يبلغ حد المفاجعة في رأيي . لقد عرفت اسعد يوم في حياتي منذ عدة سنوات . كان عمري سبعة عشر عاماً ، وكنت ذاهباً للغداء مع والدتي التي كانت تخرج للمرة الاولى بعد مرض طويل . وقد شعرت بسعادة لا توصف عندما اصطدمت بفتة في مدخل شارع فكتور هوجو (احد شوارع باريس) بشخص ليس له انف ، اني اسألك أن تفكري في ذلك . بل ألهج في الرجاء . ان وراءه معنى ضخماً . وربما كان هناك احتمال بأن الأب زيرمان قد جعلك تلغين تسجيلك لان ديركم لا يملك المال الكافي لنفقات الدروس . اني ارجو خلاصاً ان يكون ذلك هو الواقع ، لا لأنه يزيد عني عن ضميري فحسب ، ولكن لان هناك حلاً عملياً لهذا الاشكال . اذا كان هو الواقع فما عليك الا أن تكتبي لي كلمة ، وانا على استعداد لتقديم كل خدماتي مجاناً ما دمت راغبة في هذه الخدمات . هل نستطيع مناقشة هذا الموضوع بصورة ادق ؟ هل استطيع ان اسأل مرة أخرى ما هي الايام التي يسمح لك فيها بقبول الزيارات في الدير ؟ هل استطيع ان اسمح لنفسني بالتفكير بزيارتك في الدير يوم السبت القادم - السادس من تموز - فيما بين الساعة الثالثة والخامسة من بعد الظهر حسب مواعيد القطار بين مونتريال وتورينو ؟ اني انتظر جوابك بقلق شديد مع احترامي وإعجابي

الخلاص

جان دو دوميه سميث

استاذ في مدرسة اصدقاء الفن القديم .

حاشية : لقد سألتك في الرسالة السابقة بصورة عرضية عما اذا كانت المرأة الشابة ذات الثوب الازرق ، في مقدمة لوحتك الدينية ، هي ماري - مادلين الخاطئة بعينها ! اذا لم تكوني قد احبت بعد على رسالتي فارجو لك ألا تفعلي .

ربما كنت قد اخطأت . وليس لدي الرغبة وانا في هذه الحالة أن اجر على نفسي إخفاقاً جديداً .
أريد ان ابقى في الظلمة .

ورغم مرور السنين ، فاني ما ازال حتى الآن اكبح بصعوبة جماح ارتعاشه كلما تذكرت بأني حملت معي ذات يوم الى مدرسة أصدقاء الفن القديم بزة « سموكينغ » . ولكني في الواقع حملت واحدة بالتأكيد . وقد ارتديتها بعد ان انتهيت رسالتي للاخت إيرما لقد بدا لي أن مثل هذا الموضوع جدير بسكرة عنيقة . وقررت ان اسكر انا الذي لم تحمل يده الكأس من قبل ، (خوفاً من أن يجعل الكحول هذه اليد ، مبدعة ، اللوحات التي حصلت على الجوائز الثلاث الاولى تضطرب) . وشعرت بأني مضطر الى ارتداء البزة الرسمية في هذه المناسبة الخطيرة . وبينما كان آل يوشوتو ما يزالان في المطبخ انسللت الى الطابق الاول ، وهمت لفندق وندسور الذي حدثني عنه السيدة س ... صديقة بوني قبل مغادرتي نيويورك ، وحجزت منضدة لشخص واحد في الساعة الثامنة .

وفي حوالي الساعة والنصف كنت قد ارتديت ثيابي وحلقت ذقني ، وعندئذ مددت رأسي خارج غرفتي لأتأكد من أنه ليس هناك أحد من آل يوشوتو يحوم في الممر . فلم اكن ارغب ، باي ثمن ، في أن يروني مرتدياً « سموكينغ » . لم يقع نظري على أي منها فهرعت الى الشارع ، ورحت أفتش عن سيارة أجرة كانت رسالتي للاخت إيرما في جيبي . وكنت انوي اعادة قراءتها أثناء العشاء . وكنت افضل أن يكون ذلك على ضوء الشموع .

تجاوزت مجموعة المنازل ، الواحد تلو الآخر ، دون أن اعثر على سيارة واحدة

للأجرة ، فكيف بسيارة فارغة ؟ كان اجتياز المسافة شاقاً علي . لم يكن حي « فردان » في مونتريال من تلك الاحياء التي يلبس الناس فيها بزة رسمية . وكنت احس كما لو ان جميع المارة يرموني بنظرات الاستنكار . وحين وصلت اخيراً امام المطعم الذي طلبت منه اللحم المقدد الحار يوم الاثنين الفائت قررت ان الغي المتضدة المحجوزة في فندق وندسور .

دخلت المطعم واتخذت مكانني في أقصاه ، في جناح ذي مقاعد طويلة ، وابقيت يدي اليسرى على رباطة عنقي وانا اطلب حساء مع بعض الشطائر ، والقهوة السوداء . كنت ارجو أن يخالني بقية الزبائن نادل مشرب في طريقه الى عمله .

واخرجت رسالتي الى الاخت ايرما ، الرسالة التي لم أضعها في صندوق البريد ، وانا اتجرع فنجات القهوة الثاني ، واعدت قراءتها فبدت لي مادتها هزيلة . وقررت ان اعود على عجل الى منزل اصدقاء الفن القديم ، لاحتشوها بمادة أغزر قليلاً . ثم اعددت في الوقت ذاته خطة زيارتي المقبلة للاخت ايرما . ورحت اتساءل ما اذا كان من الاصوب أن احيجز مكاناً لي في القطار في المساء نفسه : ولكن هاتين الفكرتين لم تستطيعا كلتاهما أن تعيدا الى نفسي الهدوء الذي انشده . فقادرت المطعم واتجهت بخطى كبيرة نحو المدرسة .

وما كادت تنقضي خمس عشرة دقيقة بعد ذلك حتى حدث لي حادث غريب جداً . كانت مغامرة تجلت فيها لي وانا بكامل شعوري - كل الظواهر المزعجة لحادث مصطنع ، ولكنه مع ذلك حقيقة واقعة . اني بهذا المح الى تجربة خارقة ، تجربة ما تزال تدهشني حتى الان كرويا ميتافيزيكية . ولكنني أود مع هذا ألا يبدو علي أنني أنظر اليها كأعجوبة اذا امكن ، او حتى في حدود الأعجوبة . ولأوضح الموضوع بشكل آخر : اني أضع هذا التحذير لكي لا يظن احد ، أو لا أوحى الى احد بأن الفرق بين رؤيا القديس فرانسوا ، ورؤيا الرجل العامي الذي يقبل المجذومين يوم الاحد ليس سوى فرق بالدرجة فقط .

في غسق الساعة التاسعة ، بينما كنت اقترُب من بناء المدرسة ، على الرصيف المقابل ، رأيت نوراً في مخزن اللوازم الطبية لتقويم الجسم . وغلكتني الدهشة اذ تبينت أيضاً أن هناك شخصاً حياً في الواجهة : فتساءلت سليمة الجسم ، تناهز الثلاثين من العمر ، ترتدي ثوباً مشجراً بالأخضر والأصفر والازرق . كانت تقوم بتبديل حزام الفتق الموضوع على التمثال الخشبي . وفي اللحظة التي كنت اقترُب فيها من الواجهة كانت قد انتهت من سحب الحزام القديم ، ووضعت تحت ذراعها اليسرى . (كان جانب وجهها الايسر الى جهتي .) وكانت قد شرعت تضع الحزام الجديد على التمثال . مكثت واقفاً اراقبها بدهشة ، حتى شعرت فجأة بأن هناك من يلاحظها ، وتأكدت من ذلك عندما وقع بصرها علي ، فسارعت بالابتسام لأظهر لها أن امامها في العتمة ، في الجانب الآخر من الزجاج ، شخصاً يرتدي « السموكينغ » ولا يحمل لها أي شيء من العداء . ولكن ذلك لم يصلح الموقف .

كان انفعال الفتاة شديداً ، فاحترت ، وتركت الحزام القديم يسقط من يدها ، ثم راحت تمشي القهقري على كومة من الاحواض التي تستعمل للاغتسال ولم تلبث ان فقدت توازنها ، فمددت يدي بصورة لا شعورية لأوقفها ، واصطدمت اطراف اصابعي بالزجاج ، فسقطت على مؤخرتها سقطة ثقيلة كمن ينزل على الجليد . ثم استندت من جديد على قدميهما دون أن تنظر الي ، ثم رمت بشعرها الى الوراء بحركة من يدها ، ووجهها ما يزال مخضباً بحمرة الخجل ، وأتمت ربط الحزام على تمثال جسم الانسان .

في تلك اللحظة بالذات حدثت لي التجربة ؛ لقد اشرفت الشمس فجأة (واني لأتكلم على ما اعتقد بكل صفاء الذهن المطلوب) وسقطت اشعتها على ارنبة انفي بسرعة ٩٣ مليون كيلو متر في الثانية ، فغشيت عيني ، وامتلأت بالذعر ، ووضعت يدي على الزجاج لاحتفظ بتوازني . لم يطل هذا المشهد اكثر من ثانية . وعندما عدت الى رشدي كانت الفتاة قد اختفت من الواجهة تاركة وراءها حقلاً يلتصع من ازهار الميناء البيضاء .

ابتعدت عن المكان ، ودرت مرتين حول مجموعة المباني ، حتى توقفت
ركبتي عن الاصطكاك . ودون أن تحالفني الجرأة لإلقاء نظرة أخرى على
واجهة المخزن ، صعدت الى غرفتي ، وتمددت على سريرى . وبعد دقائق ، او بعد
ساعات - لا أدري - كنت احتمل دفتر مذكراتي هذه الملاحظة باللغة الفرنسية :
« لاني أعطي للاخت ايرما ملء الحرية بأن تتبع قدرها المحتوم . كل انسان
راهب في صميمه .. »

وقبل ان انام تلك الليلة ، كتبت رسالة لكل من قلامذتي الأربعة أعيدهم
فيها الى الدروس التي كنت قد طردتهم منها قائلًا بأن هناك خطيئة ما قد وقعت
في الشعبة الادارية . كانت الرسائل تبدو كأنها تكتب من تلقاء ذاتها . وقد يكون
لذلك علاقة بأنني ، قبل ان اجلس للكتابة ، ذهبت واحضرت كرسيًا من الطابق
الاسفل .

ربما وجدتم بأنني قد افسدت الموضوع بذكر ذلك . ولكن مدرسة اصدقاء
الفن القديم اغلقت ابوابها بعد أقل من اسبوع ، لان رخصتها لم تكن قانونية .
(وفي الحقيقة لم تكن لديها رخصة على الاطلاق) فجمعت حقايبى ، والتحققت
بزواج أُمِّي في رود - آيلاند حيث أمضيت ستة او ثمانية أسابيع ، بانتظار بدء
الدروس في مدرسة الفنون ، في دراسة اكثر حيوانات الصيف اثارة للاهتمام
وهو ؟ الفتاة الامريكية بالبنطال القصير .

وقد اكون مصيباً او مخطئاً . ولكني لم اكتب بعد ذلك للاخت ايرما
البتة .

وبالمقابل ، فاني ما زلت أتلقى من حين لآخر اخباراً من بامي كرامر .

وفي المرة الاخيرة كانت قد وضعت في رأسها فكرة ان ترسم هي بنفسها
بطاقات عيد الميلاد . سيكون ذلك شيئاً يسر النظر .. اذا لم تكن قد نسيت
الرسم الى الابد .

تیدی

۹

قال السيد مالك آر دل :

— سأجعل من يومك هذا يوماً لا تقساه ، اذا لم تنزل أيتها الخنزير عن هذه الحقيقة حالاً . واني جاد فيما أقول .

كان يتكلم وهو متمدد في احد السريرين التوأمين ؛ السرير الذي كانت اكثر بعداً عن كوة الباخرة ، ثم يشفع كلامه بتنهدة أقرب الى النحيب . وما لبث أن دفع اللحاف عنه بقدمه غاضباً ، واخرج قدميه حتى الكاحل ، كما لو أن جسمه الهزيل الذي لوحته الشمس قد أصبح بقة لا يطيق الغطاء معها كان رقيقاً .

كان مستلقياً على ظهره ، ليس عليه من رداء الا بنطال منامة ، يسك بيده اليمنى لفافة مشتعلة ، ويسند رأسه على حافة خشب السرير كمن يستطيع تعذيب نفسه . كانت وسادته ومنفضة سجاثره تقبعان على الأرض بين سريره وسرير السيدة مالك آر دل . ومن دون أن يتزعزع مد ذراعه اليمنى العارية ، الملتزمة حتى الاحمرار ، ونفض الرماد في اتجاه منضدة النوم . ثم قال :

— أهذا هو تشرين الأول ، يا إله السماء ؟ اذا كان هذا هو جو تشرين الاول ، فمرحباً بمرآب .

وادار رأسه من جديد نحو يدي ، وهو يحاول اختلاق شجار ، واستطرد قائلاً :

— لماذا تظن اذاً أنني اتكلم بحق الشيطان ؟ ألاسمع صوتي ؟ انزل من هناك حالاً !

كان تيدي قد صعد على حقيبة من جلد البقر من طراز حديث ليسهل عليه النظر من كوة الباخرة في حجرة ذويه . كان يلبس خفين ابيضين ، شديدي الاتساخ ، بلا جوارب ، مما يلبس لاعبو كرة السلة ، ويرتدي فوقهما بنظالا قصيرا ، أطول مما يجب بالنسبة لجسمه ؛ شديد الاتساع من وراء ، الى قميص من القطن قد غسل بشكل سريع ، يزين كتفه اليمنى ثقب كبير كقطعة الـ ١٠٠ فلس . ويفاجئك مع هذا الخليط حزام رائع من جلد التمساح الاسود . كانت شعره الذي يغطي عنقه بحاجة شديدة الى ان يقص ، كما يحتاج الى ذلك أحيانا بصورة فظيعة ، الصبية ذوو الرؤوس الكبيرة والاعناق النحيلة .

— أسمعني يا تيدي ؟

لم يكن تيدي يتدلى خارج الكوة بصورة خطيرة كما يجب الاطفال الصغار أن يفعلوا بصورة عامة . كانت قدماء في الواقع تركزان على حقيبة السفر ، ولكن وقفته لم تكن مع ذلك وقفة ثابتة مطمئنة . كان رأسه خارج الحجرة اكثر مما هو داخلها . ولكنه كان يستطيع مع ذلك أن يسمع صوت والده بصورة جيدة— صوت أبيه الذي يتوجه اليه وحده هذه المرة فقط — ولم يكن السيد ماك آر دل يذيع أقل من ثلاثة برامج يومية من محطة الاذاعة عندما كان في نيويورك . كان يملك ما يسمى صوت مذيع من الفئة الثالثة : صوت عميق ، حاد ، تتجلى فيه النارسية ، كأنما أعد للقيام بوظيفة امرأة ، أية امرأة يمكن ان توجد في نفس الغرفة معه ، او حتى أي صبي صغير . فاذا ما وجد خارج العمل أصبح ولوعا بأخذ لهجة حادة قارة ، ومسرحية متراخية قارة أخرى . وقد كانت اللهجة الحادة في تلك الأثناء هي التي تظهر على المسرح .

— تيدي ! بحق السماء ، هل تسمعني ؟

ودون أن يغير وضع رجليه الحذر ، أدار تيدي جذعه ، والقى الى والده نظرة ممثلة باستفسار ساذج . كانت عيناه الصغيرتان جدأ ، ذات اللون البني الغائج فتجهان قليلا الى مركز واحد . وكان الحوّل واضحاً في العين اليسرى اكثر منه

في اليمنى . لم يكن حوله من النوع الذي يشوه منظر الوجه ، بل انه لم يكن ملحوظاً بصورة ظاهرة . ولكنه من النوع الذي يلاحظ بعد أن يكون المرء قد فكر طويلاً ، وبصورة جدية ، في مثل هاتين العينين ، وتمنى لو انهما كانتا اكثر عمقا ، او اغبق لوناً ، او اشد اتساعاً . كان وجهه كما يبدو يلفت النظر لجماله الذي لم يتفتح جيداً بعد ، ولكنه جمال حقيقي مع ذلك .

قال السيد ماك آر دل :

— إني آمرك بالنزول حالا من فوق هذه الحقيبة . كم مرة يجب أن اردد ذلك على مسمعك !

وتدخلت السيدة ماك آر دل قائلة :

— إبقى حيث أنت ، يا حبيبي .

كان واضحاً بصورة لا تقبل الجدل أن زوائدها الانفية تزعجها الى حد ما منذ الصباح الباكر ، وكانت عيناها نصف مغلقتين .
— لا تتحرك قيد أنملة .

كانت مستلقية على جانبها الايمن وقد ادارت ظهرها لزوجها ، واراحت وجهها على الوسادة لترى تيدي أمام كوة الباخرة . كان الغطاء مسحوباً بصورة تجعله يشد على جسمها الذي ربما كان عارياً ، ويغطي ذراعيها وجسدها حتى ذقنها . قالت له وهي تغمض عينيها :

— هيا ، اقفز كما تشاء . اسحق حقيبة ابيك !

قال السيد ماك آر دل بصوتة الذي اتخذ طابع الفتور وهو ينظر الى زوجته :

— آه ! هذا عمل ينطوي على الحُبث . إني ادفع اثنتين وعشرين ليرة ثناً للحقيبة ، ثم اطلب من الصغير بلطف أن ينزل عنها ، وتقترحين انت عليه أن يقفز فوقها ! ماذا يعني ذلك بالضبط ؟ أتجدين في هذا تسليمة لك ؟

قالت السيدة ماك آر دل دون أن تفتح عينها :

— اذا ام تكن هذه الحقيقة من الصلابة بحيث تتحمل صبياً في العاشره من عمره ، ينقص وزنه ستة كيلو غرامات عن وزن أقرانه فاني لا أريدها هنا في حجرني .

قال السيد ماك آر دل :

— أتعرفين ماذا اشتهي أن أفعل ؟ أن احطم لك هذا « البوز » القذر بركلة من قدمي .

— وماذا تلتظر ؟

واشتد السيد ماك آر دل فجأة على مرفقه واطفاً سيجارته على سطح منضدة الليل الزجاجي ، وراح يتكلم بلهجة قائمة :

— في يوم ما ..

وقاطعته السيدة ماك آر دل بأقل مقدار ممكن من الجهد :

— ستصاب في يوم ما ، بإذن الله ، بنوبة ماحقة . ودون أن تخرج ذراعيها من الغطاء زادت في لفه حول جسمها :

— ستكون هناك جنازة لطيفة جداً . وسوف يتساءل الجميع عن تكوثر تلك المرأة الشابة الجذابة التي ترتدي ثوباً أحمر ، في الصيف الاول ، تلك المرأة التي تغازل عازف الأرغن ، وتعمل ...

قال السيد ماك آر دل وهو ما برح ساكناً مستلقياً على ظهره :

— انك غريبة جداً ، غريبة لدرجة أن كل ما يصدر عنك من حماقات قد اصبح شيئاً مألوفاً .

كان تيدي ، أثناء تبادل وجهات النظر هذه قد استدار من جديد ، وعاد

ينظر الى البحر من كوة الباخرة . ثم قال ببطء :

— اذا كان هناك من يهه الأمر — وانا اشك في ذلك — فانتا قد قابلنا الباخرة « الملكة ماري » في الساعة الثالثة ، واندقيقة الثانية والثلاثين تماماً، وهي تشق طريقها في الاتجاه المضاد .

كان لصوته لهجة غربية ، ذات جمال خشن ، كما يلاحظ عند بعض الصبية الصغار . كانت كل جملة يقولها تبدو أشبه بجزيرة صغيرة ضائعة ، يحيط بها بحر مصفر من الويسيكي .

— لقد سجل هذه الملاحظة النادل الذي يقف على السطح ، ذلك النادل الذي تكرهه بوهر .

قال أبوه :

— سألقي بك ، أيها الخنزير ، في ... أنت والملكة ماري اذا لم تنزل حالا من فوق الحقيبة .

وكان قد ادار رأسه نحو تيدي :

— اتزل من هناك . أسمعني ؟ اذهب فقص شعرك او قم بعمل ما ...

وراح ينظر من جديد الى نقرة زوجته .

— يا إلهي ! اذا كان هناك صبي ذو نضج مبكر فهو هذا الصبي نفسه .

قال تيدي :

— ليس لدي نقود .

وثبت يديه على حافة الكوة ، ثم ركز ذقنه على أصابعه :

— ماما ، هل تعرفين الشخص الذي يجلس الى جوارنا في صالة الطعام ؟ ليس

الشخص الضعيف بل الآخر الذي يجلس الى المنضدة ذاتها حيث يضع النادل صينية الطعام .

أجابت السيدة ماك آر دل :

— مم .. مممم ! .. تيدي ، يا حبيبي ، اترك ماما تنام خمس دقائق أخرى .
كن صبيها لطيفاً .

قال تيدي دون أن يرفع ذقنه عن أصابعه او يحول بصره عن مياه المحيط :
— انتظري لحظة فقط . سأخبرك بشيء هام جداً . لقد كان في صالة الرياضة منذ لحظة ، بينما كان «سفين» يقوم بوزني . واقترب مني وتحدث الي ، لقد سمع الشريط الذي سجلته . لا اقصد شريط شهر نيسان ، بل شريط شهر أيار .

كان في حفلة كوكتيل في بوسطن ، قبيل سفره الى اوروبا . وكان احد الذين حضروا حفلة الكوكتيل يعرف شخصاً من لجنة «ليديكر» الفاحصة ، لم يذكر لي اسمه . وقد استعاروا الشريط الأخير الذي سجلته ، وسمعوه في الحفلة . كان يبدو شديد الاهتمام بالموضوع . انه صديق الاستاذ بابكوك . ويبدو أنه هو أيضاً مدرس . لقد ذكر لي انه امضى الصيف كله في معهد الثالوث المقدس في دUBLIN .

قالت السيدة ماك آر دل :

— اوه ! لقد اذاعوا التسجيل اذاً في حفلة كوكتيل

وحدثت بنظرة ناعسة في ريلة ساق تيدي .

قال تيدي :

— اعتقد ذلك . لقد تحدث عني طويلاً الى سفين ، بينما كنت واقفاً هناك .
وقد كان ذلك مربكاً الى حد ما .

— ولماذا هو مربك ؟

وتردد تيدي قليلاً :

— لقد قلت مريبكاً « بعض الشيء » .. لقد استعملت صيغه للتقليل .

قال السيد ماك آردل :

— سأؤذفك بصيغة للتقليل تليق بك ، أيها الخنزير ، اذا لم تنزل من فوق هذه الحقيبة .

كان قد اشعل لغافة جديدة .

— سأعد حتى الثلاثة . واحد .. بحق الشيطان ! اثنان ...

وفجأة سألت السيدة ماك آردل ، وهي تحديق في ربلات ساقى تيدي :

— كم هي الساعة الآن ؟ ألم يحن موعد درس السباحة الذي تتلقاه في العاشرة والنصف مع بوپر ؟

قال تيدي :

— ما يزال الوقت مبكراً .. فلو ..

ومرر رأسه فجأة من خلال الكوة واستبقاه كذلك عدة لحظات ، ثم ادخاه فترة كانت كافية ليقذف بالجملة التالية :

— هناك من رمى سلة مملوءة بقشور البرتقال من النافذة

قال السيد ماك آردل بصوت ساخر وهو ينفض رماد لغافته :

— من النافذة .. من النافذة .. قل من الكوة ؛ هيه ، أيها المبيط ! من الكوة ..

والقى نظرة الى زوجته :

— اهتفي لبوسطن ، واطلي لجنة « ليدىكر » الفاحصة بالهاتف .

قالت السيدة ماك آردل : « دمية يا قبيح ! له يا سيدي ؟ »

— ما هذه الدعابة التي تتناوبك منذ الصباح ؟ لماذا لا تجرب ذلك

بنفسك ؟

وادخل تيدي رأسه في الحجرة ، وقال دون أن يلتفت :

— اوه ! انها تطفو . ما أجل ذلك ! لشد ما يثيرني هذا المنظر !

— تيدي ! أقول ذلك للمرة الأخيرة . إني سأعد حتى الثلاثة ، و ...

قال تيدي :

— لا اعني أن ما يثير الاهتمام هو أن تطفو القشور على سطح الماء . ولكن ما يثير الاهتمام هو أن أعرف أنها موجودة هناك . لو لم ارها لما عرفت أنها هنا وإذا لم اكن اعرف انها هناك فلن استطيع حتى ان أقول بأنها موجودة . انها مثال حسن جداً . انها مثال نموذجي لا

وقاطعته السيدة ماك آر دل دون أن تتحرك من تحت غطاءها :

— تيدي ، اذهب وفتش لي عن بوهر ، أين هي الآن ؟ لا أريد ان تجرجر

نفسها طوال النهار تحت الشمس ، في هذه الحرارة الالهية . قال تيدي :

— لقد ارتدت ما يناسب الطقس . جعلتها ترتدي صداراً ... لقد أخذ بعضها

يغطس في الماء الآن . وبعد دقائق معدودة سيكون فكري هو المكان الوحيد الذي تبقى طاغية فيه . ان ذلك شديد الاثارة . لانه اذا ما نظر المرء الى الامور من زاوية معينة فانه سيجد ان القشور قد بدأت تطفو اول ما بدأت هناك في الفكر . لو لم اكن هنا ، او اذا ما جاء احدهم وبتر لي رأسي في اللحظة التي كنت ...

قالت السيدة ماك آر دل :

— أين هي الآن ؟ انظر الى ماما لحظة يا تيدي

قال :

— ماذا ؟

— أين بوير ؟ لا أريد أن تتجول بين المقاعد وتزعج الناس ، إذا كان ذلك الرجل الخفيف ...

— انها عاقلة . لقد أعطيتها آلة التصوير .

ورفع السيد ماك آردل جسمه فجأة على ذراعه ، وصرخ :

— هل أعطيتها آلة التصوير ؟ يا لها من فكرة رائعة ! يا لمصيرك الأسود يا ألي العزيزة ماركة — ليكما ! لا تستطيع احتمال فكرة أن تخرجها بنت في السادسة من مكان الى ...

قال تيدي :

— لقد علمتها كيف تحملها ؟ لن تتركها تسقط . وقد نزعنا الفلم منها بالطبع .

— أريد هذه الآلة يا تيدي ! أسمعني ؟ ستنزل عن هذه الحقيبة حالا . أريد أن تعاد هذه الآلة في الدقائق الخمس التالية ؟ والا فإن العالم سينقص عبقرية صغيرة . هل هذا واضح ؟

وإدار تيدي عقبيه على الحقيبة ، ونزل ، ثم انحنى ، وراح يربط شريط خفه الأيسر ، بينما كان والده يراقبه بعينين فاحصتين .

قالت السيدة ماك آردل :

— قل لبوير .. إني أريد رؤيتها حالا . تعال قبل أمك يا تيدي !

وما ان ربط تيدي شريط خفه حتى أقبل يضع قبلة مريضة على خد أمه . فأخرجت ذراعها اليسرى خارج الغطاء ، وحنته لتطوق به خصر الصبي . ولكنها ما ان أنهت ذلك حتى كان تيدي قد ابتعد الى الجانب الآخر واجتاز

المسافة بين السريرين . وما لبث أن انحنى ثم انتصب يحمل وسادة أبيه تحت ذراعه اليسرى . ومنفضة سجائر منضدة الليل باليد اليمنى . ثم مرور منفضة السجائر الى اليد اليسرى ، واقتراب من منضدة الليل ، وجعل يدفع بيده اليمنى اعقاب سجائره والده ورمادها نحو المنفضة . وقبل أن يضع المنفضة في مكانها مسح بقفا ذراعه طبقة الرماد الخفيفة التي بقيت على زجاج المنضدة ، ثم مسح بعد ذلك ذراعه بينطاله ، ثم وضع المنفضة على اللوح الزجاجي بعناية فائقة ، كما لو انه كان يرى بأن المنفضة يجب أن توضع تماما في وسط سطح المنضدة ، والا فالاجدر ألا توضع هناك على الاطلاق . وفي تلك الأثناء ترحل والده الذي كان ما يزال يلاحظه وادار عينيه فجأة عنه .

وسأله تيدي :

— ألا تريد وسادتك ؟

— ان ما أريد يا بني هو آلة التصوير .

قال تيدي :

— لست في وضع مريح . يستحيل عليك أن تبقى هكذا . ساتركها لك هنا . ها هي ذي !

والقى بالوسادة على حافة السرير بالقرب من خدّي والده ، ثم اتجه نحو باب الحجرة .

ونادته أمه دون أن تلتفت :

— تيدي ! قل لبوير بأني ارغب في رؤيتها قبل درس السباحة .

وسأل السيد مالك آر دل زوجته :

— يجب لنا في الآونة الأخيرة هذه الصغيرة . شأنها ؟ تخيل إلى انك تحقدين . عليم حبك تلك العلاقات القليلة التي تتمتع فيها بحريتها . أليس كذلك ؟ كيف تعاملتهم ؟ سأقول لك ذلك .

بدقة . انك تعاملينها كمجربة بكل ما في الكلمة من معنى .

— مجربة ؟ أوه ! هذا رائع ! هل تدري يا حبيبي انك تصبح انجليزيا اكثر مما يجب .

ومكث تبدي لحظة على عتبة الحجر ، وهو يدير مقبض الباب بكثير من التفكير . ثم استطرد قائلا :

— عندما اجتاز هذا الباب فلن اكون موجوداً الا في ذهن الأشخاص الذين أعرفهم . ربما كنت فشرة يرتقال .

وسألت السيدة ماك آرديل ، وهي ما تزال مستلقية على جنبها الأيمن في الركن الاخر من الحجر :

— ماذا تقول يا حبيبي ؟

— هيا أيها المبيط . اسرع . أحضر هذه « الليكا » الي .

— تعال ، قبل امك يا حبيبي قبلة كبيرة .

قال تبدي بلهجة شاردة :

— ليس الان . إني متعب .

وصفق الباب وراءه

كانت نشرة الباخرة اليومية موضوعة أمام الباب ، ولم تكن سوى صفحة من الورق اللامع مطبوعة على وجه واحد فالتقطها تبدي وراح يقرأ فيها وهو يهبط ببطء على طول الممر الذي يقود الى مؤخرة الباخرة . وفي الطرف الاخر للممر كانت امرأة شقراء سمينة ترتدي زياً أبيض منشى تتقدم نحوه . كانت تحمل آنية من الأوراد الحمر ذات السوق الطويلة . وعندما لاقت تبدي مدت يدها

اليسرى وحكت له أعلى رأسه وهي تقول : « هناك شخص بحاجة الى أن يقص شعره . . »

رفع تيدي عن صحيفته عيتين ساهمتين ، ولكن المرأة كانت قد ابتعدت ، فواصل قراءته ولم يلتفت . وفي نهاية الامر أمام اللوحة الجدارية الضخمة التي كانت تمثل القديس جورج يسحق التنين ، والتي كانت تمتد على مدخل السلم ، طوى صحيفته الى اربع ، ودسها في جيبه الخلفي الأيسر . ثم صعد الدرجات القصيرة العريضة المغطاة بالخمل والتي تقود الى السطح الرئيسي في الطابق الأعلى ، قفزها مشى مشى ولكن ببطء . وهو يتكىء على الدرابزين بكل جسمه . كما لو أن صعود السلم كان بالنسبة اليه ، كما هو بالنسبة لكثير من الأطفال ، موضوعاً للهو والتسلية . ثم توجه نحو مكتب مراقب السطح . كانت فتاة جميلة برداء البحر الرسمي تشغله في تلك الفترة . وكانت في تلك الاثناء تربط مجموعة من الاوراق في المصنف فابتدرا تيدي بهذا السؤال :

- ارجوك ، هل تستطيعين أن تخبريني في أية ساعة يبتدىء اللعب اليوم ؟

- عفراً . ماذا تقول ؟

- أيمكنك أن تخبريني في أية ساعة يبتدىء اللعب اليوم ؟

فابتسمت له الفتاة ابتسامة عريضة لاحت بين خطين من حمرة الشفاه :

- أي لعب يا صغيري ؟

- انت تعرفين جيداً . ذلك اللعب الذي جرى امس ، واول امس ، اللعب

الذي يشتمل على ايجاد الكلمات الناقصة . ان ما يجب البدء به هو وضع الاشياء مع قرائنها .

واضطرت الفتاة التي كانت تدخل ثلاث صفحات دفعة واحدة في مصنفها الى التوقف عن العمل ثم قالت :

— اوه ، لا أعتقد أن ذلك سيجري قبل الساعة الرابعة مساء . أليس ذلك صعباً بالنسبة لك يا صغيري ؟

قال تيدي :

— اوه ! لا ، شكراً .

ثم ابتعد عن المكتب .

— انتظر لحظة ايها الصغير ! ما اسمك ؟

قال تيدي :

— تيودور ماك آر دل . وانت ما اسمك ؟

قالت الفتاة وهي تبتسم :

— اسمي انا ؟ انني الرقية ماتيسون .

ونظر اليها تيدي ، وهي تضغط على سحاب المصنف واردف قائلاً :

— أعرف انك رقية ، ولكنني أظن — ولست متأكداً من ذلك — أظن فقط

أنه عندما يسألك شخص ما عن اسمك فعليك ان تذكره كاملاً . كان تقولي :

جين ماتيسون ، او فيليس ماتيسون او ما شابه ذلك ...

— اوه ! أحقاً ما تقول ؟

قال تيدي :

— قلت : أظن فقط . ولست واثقاً من ذلك ، وقد يختلف الأمر عندما

يحمل الانسان البزة الرسمية . أشكرك على كل حال على المعلومات التي زودتني بها .. الى اللقاء .

وادار عقبه ، واتجه نحو السلم الذي يفضي الى سطح الباخرة ، وهو يقفز

الدراجات مثنى مثنى من جديد ، ولكن بصورة أسرع هذه المرة .

ولمح بوپر بعد أن بحثت عيناها عنها فترة من الزمن ، لمحها في الأعلى ، على سطح الألعاب الرياضية . كانت تقبع في زاوية تلفحها الشمس كما تلفح الأرض البلقع ، بين ملعبين خاليين للتنس . كانت تجلس القرفصاء . والشمس في ظهرها ، ونسمة خفيفة تعبت بشعرها الأشقر الحريري . وكانت تجهد نفسها في تطبيق كومتين من قطع الحشب المستديرة الواحدة فوق الأخرى .. تضع قطعة فوق الكومة الحمراء ، وأخرى فوق الكومة السوداء . وكان صبي صغير يرتدي لباس الاستحمام ، يقبع يجانباها عن اليمين ، وقد اتخذ موقف المتفرج فقط .

قالت بوپر لأخيها الذي أخذ يدنو منها :

— انظر !

وزحفت نحو كومتى القطع المستديرة واحاطتها بذراعيها لتريه أعمالها الخارقة وكأنها تريد أن تعزلها عن سائر الباخرة . ثم قالت لزميلها بلهجة عدائية :

— ما يرون . ! ان ظلك يخفي القطع . حرك جسمك قليلا بحيث يستطيع أخي ان يراها .

ثم اغلقت اجفانها ، وراحت تنتظر بما يشبه الحرد أن يتحرك ما يرون من مكانه .

وانحنى تيدي على الكومتين ، والقى عليهما نظرة شاملة تنطوي على التقدير . ثم قال :

— هذا هائل ! كم هي منتظمة .

قالت بوپر وهي تشير الى ما يرون .

— لم يسمع هذا الصبي في حياته بلعبة التريك — تراك . تصور أنهم لا يعرفونها عندهم على الاطلاق .

والقى تيدي على مايرون نظرة مقتضبة ، موضوعية ، ثم سأل بوهر :
- ابن آلة التصوير . بابا يريد ما حالا . قالت بوهرلتيدي :
- تصور أنه لا يسكن نيويورك أيضاً . ان اياه ميت . لقد قتل في كوريا .
ثم التفتت الى مايرون وسألته :
- أليس كذلك ؟
ولكنها اردفت دون ان تنتظر جواباً :
- واذا ماتت امه الآن فسيصبح يتيماً . انه لا يدرك حتى ذلك .
ونظرت الى مايرون :
- أليس كذلك ؟
فما كان من مايرون الذي كان يقبع هناك باحتراس الا ان صالب ذراعيه .
قالت بوهر ؟
- انك اغبي شخص شاهدته في حياتي . انك اغبي انسان في هذا المحيط كله .
هل كنت تعرف ذلك ؟
قال تيدي :
- انك على خطأ . انها على خطأ يا مايرون .
ثم توجه الى شقيقته :
- أصغبي الي لحظة . ابن آلة التصوير هذه ؟ يجب ان احصل عليه ا حالا .
أين هي
قالت بوهر :

— هناك .

دون ان تشير الى اتجاه معين . وقريت منها كومي القطع المستديرة .
واردفت قائلة :

— لا ينقصني الآن الاعلافان . باستطاعتها ان يلعبا ، ثم يمكنها ان يتسلقا
هذه المدخنة ويقذفاه هذه القطع كلها على الناس فيقتلناهم جميعاً . ثم نظرت الى
مايرون وقالت له بلمهجة من يعرف كثيراً :

— قد يستطيعان قتل ذويك . واذا لم يقتلوا فهل تدري ماذا يمكنك ان تفعل ؟
تستطيع ان قدس سماً في عجينة الخمية وتدعهم يأكلونها .

كانت ال « ليكا » على بعد ثلاث خطوات منها ، يجوار متراس الباخرة
الأبيض الذي يحيط بسطح الألعاب . كانت تقبع على جنبها في مجرى البالوعة .
واقترب تيدي منها والتقطها من حولتها الجلدية . وعلقها في عنقه ، ثم سحبها
حالا ، وقدمها الى بوپر . وقال لها :

— ارجوك يا بوپر . خذها من فضلك الى أبي . انها الساعة العاشرة . وعلي
ان اكتب مذكراتي .

— اني مشغولة .

قال تيدي :

— على كل حال ، ماما تنصر على رؤيتك حالا .

— انت كاذب .

قال تيدي :

— لست كاذباً . انها تريد ان تراك . خذي الآلة في طريقك . هيا يا بوپر .

وسألت بوپر :

— لماذا تريد ان قراني ؟ اني لا ارغب ابداً في رؤيتها .

ثم ضربت ما يرون على يده بقوة بينما كان يتأهب لأخذ القطعة الأولى من الكومة الحمراء . وصاحت :

— ابعد قوائمك !

ومرر يدي حماله الآلة في عنق شقيقته واردف :

— اقول لك جاداً . احملني هذه الآلة معك الى بابا حالا . وسألقاك في حوض السباحة بعد قليل . وسألقاك في الساعة العاشرة والنصف امام الحوض ، او عند المدخل تماماً ، في المكان الذي تخلعين فيه ثيابك . كوني هناك في الوقت المحدد . انه يقع في موضع نزولك الى السطح هـ . لا تنسي ذلك . احسي الوقت الذي تحتاجينه للوصول اليه .

وعوت بوبر من ورائه :

— إني اكرهك . إني اكره كل انسان على هذا المحيط !

تحت سطح الألعاب ، وعلى الأطراف الخلفية الواسعة لسطح « السولاريوم » كان هناك اكثر من خمسة وستين كرسيًا مطويًا ، منضدًا في سبعة صفوف او ثمانية كان بين هذه الصفوف من المقاعد المطوية ما يكفي على التحديد ليمسح للمراقب بالمرور بينهما دون أن يضطر لوضع اقدامه فوق متاع المسافرين الذين كانوا يستمتعون بحمام الشمس ، ذلك المتاع الذي كان يتألف من اكياس لشغل الصوف وروايات في حافظات جلدية ، وزجاجات زيت للتدليك ، وآلات للتصوير . وعندما وصل تيدي كان هناك حشد كبير من الناس ، فاذا الصبي يبدأ بالصف الأخير ، ويتوقف أمام كل كرسي ، سواء أكان مشغولاً أم لا ، ليقرأ اسم المسافر المسجل على ذراع الكرسي . لم يكن هناك الا مسافر او مسافران يتحدثان

اليه ، بل قل يلقيان اليه بنكتة من تلك النكات العامة التي يميل الراشدون في الغالب الى لقائها أمام صبي في العاشرة ليس في رأسه الا فكرة واحدة وهي أن يجد الكرسي الذي يخصه . كان صغر سنه ، وفكرته الثابتة واضحين جداً ، ولكن شكله لم يكن ايوجي بتلك الجدية المحيية عند الاطفال ، التي تجتذب كثيراً من الراشدين للتحدث معهم بشيء من التنازل ، او بالعكس بشيء من المراعاة والتقدير ، ربما كانت ملابسه العامل الأساسي في ذلك . فان الثقب الكبير في كتف قميصه لم يكن على شيء من الجمال ، والعرض الزائد عن الحد لسرج بنطاله ، وطول البنطال القصير ، كل هذه الاشياء لم تكن لتؤلف مبالغاة مستحبة على الاطلاق .

كانت الكراسي الأربعة المخصصة لآل ماك آر دل ، المجهزة بوسائد معدة للاستعمال تقع في منتصف الصف الثاني من الأمام . فجلس تيدي عن سابق قصد أولاً في الكرسي الذي يتيح له ألا يكون أحد يحواره ، والصق قدميه بعضها ببعض ، ثم مدد على الكرسي ساقيه العاريتين اللتين ما تزالان بيضاوين ، ثم اخرج في الوقت ذاته من جيبه الخلفي الايمن دفترأ صغيراً من النوع الذي لا يتعدى ثمنه الفلسين ، ثم بدا وكأنه قد استقطب جميع افكاره فجأة ؛ وانقطع عن العالم وحيداً مع دفتره ، بلا شمس ، ولا ركاب ، ولا باخرة... وراح يقلب الصفحات...

كان كل ما في المفكرة ، ما عدا بعض ملاحظات بقلم الرصاص ، يبدو مكتوباً بقلم حبر جاف . وكان الخط نفسه من ذلك الضرب الذي يعلمونه بصورة عامة في المدارس الامريكية مستعيزين به عن الطريقة القديمة الجيدة ، طريقة بالمر . كان مقروءاً دون أن يكون جيلاً . ولعل ما يلفت النظر فيه هو السهولة التي يكتب بها ، فلا وجود للصفة فيه البتة . ولا وجود لما يدفع للافتراض بأن هذه الكلمات والجل من كتابة طفل .

وامضى تيدي وقتاً لا بأس به في قراءة ما يظهر أنه ملاحظاته الأخيرة . وكانت تغطي أكثر من ثلاث صفحات على وجه التقريب .

يوميات ٢٧ تشرين الاول ١٩٥٢ الخاصة بتيودور - ماك آر دل - ٤١٢

جسر آ. مكافأة عادلة ، جميلة ، لمن يعيد هذه الفكرة لتيودور ماك آرديل
على الفور .

يتربّع عليك ما يلي :

أن تبحث عن القطع المعدنية التي تحمل تحقيق الشخصية لبابا عندما كان في
الخدمة العسكرية ، وتحملها أنت في اقرب فرصة ممكنة .

لن تمر من جراء ذلك . بل ستبعث في نفسه السرور .

أن تجيب على رسالة الاستاذ مندل ، عندما تتاح لك الفرصة والصبر اللازمان ،
وان تطلب اليه ألا يعود الى ارسال الدواوين الشعرية ، فعندي منها ما يكفي لعام
كامل . واني لأشعر بالقرص منها على كل حال .. رجل يتمشى على طول الشط ،
ويتلقى المسكين قطعة من جوز الهند على رأسه ، فيشج رأسه - يا للتعاسة ! -
نصفين ، وتأتي زوجته عندئذ الى الشاطئ ، وهي تغني ، فتشاهد نصفي الرأس ،
وتتعرفهما ، وتلتقطهما ، فيستولي عليها الحزن الشديد ، ثم تبكي بكاء يفتت
الأكباد .

هذا هو السبب الذي جعلني اتعب من الشعر لنفرض أن السيدة اكتفت بالتقاط
نصفي الرأس ؛ ثم راحت تصرخ داخلهما بغضب :

« كفى » ..

عليك ألا تذكر شيئاً من هذا عندما تجيب على رسالته . فقد يؤدي ذلك الى
مناظرة ؛ لا سيما اذا علمت أن زوجة السيدة مندل هي بدورها شاعرة أيضاً .

جاء (٥) . يحسنه (د) . تحسنه (٣) .

« يجيدان احصل على عنوان سفين في اليزايت نيو - جرسى من المهم أن

اقابل زوجته، وكلبه «لندي» أيضاً . اني لا احب على كل حال ان يكون لي كلب .

* * *

علي ان اكتب رسالة تعزية للذكور «ووكوارا» حول موضوع التهاب
كلية ، وان اسأل ابي عن عنوانه .

* * *

ان اجرب سطح الألعاب للتأمل غداً صباحاً قبل الافطار ؛ علي ان ابقى صافي
الذهن ، والا يغمى علي مرة أخرى في غرفة الطعام اذا ما اسقط النادل المغرفة من
يده .. لقد اغتأظ أبي كثيراً من ذلك ..

* * *

كلمات واصطلاحات علي ان ابحت عنها غداً في القاموس ... في المكتبة
عندما اعيد الكتب :

Nephritis (١)

Myriad (٢)

Gipt horse (٣)

Cunning (٤)

Trium virate (٥)

* * *

علي ان اكون اكثر لطفاً مع امين المكتبة ، كأن اناقش بعض الأمور العامة
معه عندما يهد لي الطريق لذلك .

* * *

أثرنا ايراد هذه الكلمات بلغتها الأصلية ومعناها .

(١) التهاب الكلية . (٢) عشرة آلاف متر .

(٣) منحة . (٤) مكر . (٥) حاكم .

« المترجمة »

واخرج تبدي قلماً صغيراً للجبر الجاف من جيب بنطاله القصير ، ورفع غطاءه
ثم راح يكتب ، متخذاً من فخذه الايمن متكأ بدلاً من ذراع الكرسي :

مذكرات يوم ٢٨ تشرين الاول ١٩٥٢

نفس العنوان ...

ونفس الجائزة المسجلة أعلاه في الصفحات ٢٦ و ٢٧ تشرين
الثاني ١٩٥٢

بعد أن فرغت من تأملاتي كتبت اليوم رسائل الى الاشخاص الآتية أسماءهم:

الدكتور ووكوارا .

الاستاذ مندِل .

الاستاذ بيت .

بورغيس هايك الابن .

روبرت هايك .

سانفورد هايك .

الجدة هايك .

السيدة غراهام .

الاستاذ والتن .

كان بودي أن أسأل أمي عن القطع المعدنية التي تحمل هوية بابا . ولكنها ربما
أجابتنني بأني لست مضطراً أن احملها . أعرف أن بابا حملها معه في سفره لانني
رأيتة يضعها في حقائبه .

الحياة ضربت من المنحة في رأبي .

أرى أن الأستاذ والت يعمزه الكثير من اللباقة لانتقاده أهلي . انه يود ان يكون الناس كلهم من طراز معين .

قد يحدث ذلك الشيء اليوم ، او في ١٤ شباط ١٩٥٨ ، عندما اكون في السادسة عشرة من عمري . من السخف أن اسجل هذا .

بعد كتابة هذا المقطع الأخير بقيت عينا تيدي مثبتتين على الصفحة ، وقلم الحبر الجاف مرفوع كما لو ان شيئاً آخر سيتبع .

لم يكن يشعر ، على ما يبدو ، بأن هناك شخصاً وحيداً يراقبه . فعلى بعد خمسة او ستة أمتار من صف الكراسي الأول ، نحو الأمام ، على أعلى منه بعدة أمتار في الشمس اللاهبة ، كان هناك شخص لا يتجاوز الثلاثين ، يستند الى حاجز سطح الألعاب ، ولا يحول عينيه عنه .

كان هناك منذ ما يقرب من عشر دقائق . لقد بدا عليه الآن أنه يتخذ قراراً معيناً ، لانه سحب فجأة قدمه التي كان قد ركزها على قضيب من قضبان الحاجز ، ومكث عدة ثوان واقفاً ينظر في اتجاه تيدي ، ثم ابتعد ، وتوارى .

وما ان مضت دقيقة حتى كان قد عاد من جديد بنفس القامة المستقيمة وسط صفوف الكراسي ، وشق لنفسه طريقاً مستقيماً نحو كرسي تيدي ، وهو يلقي على صفحات الروايات ظلالاً مزعجة ، ويدوس بثقة شديدة (اذا لم نفلس أنه كان الشخص الوحيد الحي الذي يقف في تلك الناحية) اكياس شغل الصوف ، والأدوات الشخصية الأخرى .

لم يبد على تيدي أنه لاحظ وجود شخص يجانب كرسيه ، او حتى وجود ظل على مفكرته ، بينما ظهر على عدد من ركاب الباخرة في نفس الضيق ، وفي

الصفين التاليين انهم اكثر اهتماماً منه براحتهم ، فرفعوا نحو الشاب نظرات لا تصدر عادة الا عن اشخاص مثلهم متمددين على كراسي البحر . ولكن الشاب لم يفقد ثقته بنفسه ، كان يبدو عليه أنه يستطيع البقاء في مكانه حتى نهاية الزمن بشرط واحد لا معنى له : أن يستطيع الاحتفاظ باحدى يديه في جيبه . وما لبث أن توجه بالحديث الى تيدي :

— هالو .

ورفع تيدي عينيه واجاب :

— هالو .

وأغلقت المفكرة برغبة منه من جهة ، ومن تلقاء نفسها من جهة أخرى .

وسأل الشاب بحفاوة لا حد لها :

— هل يزعجك أن أجلس قليلاً هنا ؟ هل يخص هذا المقعد أحداً ؟

قال تيدي :

— هذه المقاعد الأربعة تخص أهلي . ولكنهم لم يستيقظوا بعد .

قال الشاب :

— لم يستيقظوا بعد ؟ في نهار كهذا ؟

كان قد اندس في المقعد ، على بين تيدي ، وكانت الكراسي شديدة القرب بعضها من البعض الآخر لدرجة أن ذراعيها كانتا تتلاصقان .

قال الشاب :

— انه كفر . كفر حقيقي .

ومدد ساقيه ذواتي الفخذين الضخمتين بصورة شاذة ، حتى أن فخذاً كهذه كانت وحدها توحى الفرء بأكثر من جسم بشري . لم يكن منظره العام ليختلف

عن المنظر المألوف لأي مصطاف على الشاطئ: شعر مقصوص على مستوى واحد ، تبدو قمة رأسه كالفرشاة ، وأسفل جسمه كالخف المثني الى الداخل ، وبينهما ضرب من اللباس المتنافر الغريب : جوارب صوفية بلون بني ، وبنطال رمادي غامق ، وقميص بياقة مفتوحة ، بلا ربطة للعنق ، وسترة تحمل شارات على اكمامها ابتاعها بلا ريب من إحدى دور أزياء الطلبة المعروفة في « بيل » أو « هارفارد » ، أو « برنستون » .

قال وهو يتنهد قنهدة ارتياح ، ويغمز بعينه نحو الشمس :
— يا إلهي ! يا له من يوم إلهي ! إن الطقس يتصرف بي كما يشاء .

ثم وضع ساقيه الواحدة فوق الأخرى على مستوى رسف القديمين .

— لقد اتفق لي حقاً أن نظرت الى اليوم الممطر بصورة طبيعية كسبة شخصية موجهة لي . ولذلك انظر الى اليوم الجميل ، كهذا اليوم ، على انه منحة من الآلهة لي وحدي .

وبالرغم من أن صوته كان من ذلك الضرب الذي يعتبر عادة صوتاً مهذباً . فقد كان يضغط عليه أكثر مما ينبغي ، كما لو انه يتخيل أن كل ما يقوله سيندو بهذا التشديد أكثر صواباً ، وأشد ذكاءً ، وأعمق ثقافة . وربما كان أيضاً أكثر تسلية أو إثارة — سواء كان ذلك في أذني تبدي أو في آذان الأشخاص الجالسين وراءه ، هذا اذا افترضنا أنهم كانوا يصغون اليه . والقى على تبدي نظرة مائلة ، وابتسم ، ثم سأله :

— وانت ؟ كيف حالك مع الطقس ؟

لم تكن ابتسامته من ذلك الضرب الذي تعوزه قوة الشخصية ، ولكنها كانت ابتسامة مصطنعة ، ابتسامة من النوع الذي يستعمل في أثناء الحديث . وربما كانت تعبر الى حد ما عن حقيقة أنه وأضاف وهو يبتسم :
— ألا يؤثر فيك الطقس بصورة ظاهرة ؟

قال تيدي :

- إني لا انظر اليه كموضوع شخصي ، اذا كان ذلك هو ما تستفسر عنه .

وضحك الشاب ، وهو يرد رأسه الى الوراء ثم اردف قائلا :

- هذا رائع . اسمي في الواقع هو بوب نيكلسون . لا أدري اذا ما كنا قد

تعارفنا في صالة الرياضة من قبل . اني اعرف اسمك بالطبع .

وانقلب تيدي على أحد جنبيه ، وادخل مفكرته في جيب بنطاله القصير .

وراح نيكلسون يتحدث ، وهو يشير بيده الى المكان :

- كنت انظر اليك من هناك . وانت تكتب . يا آلهي ! كان يبدو عليك

أنك تعمل كسجين صغير ، كمحكوم بالأشغال الشاقة .

وحده تيدي بنظرة :

- كنت اخط بعض الملاحظات في مفكرتي .

فهرز نيكلسون رأسه وهو يتنسم ، ثم سأل لئلا يقطع الحديث :

- ما رأيك في أوروبا ؟ أنت مسرور من رحلتك ؟

- نعم ، كثيراً ، شكراً .

- وابن ذهبت على وجه التحديد ؟

وانحنى تيدي فجأة الى الأمام وراح يحك ربة ساقه .

- سيستغرق ذلك وقتاً طويلاً اذا ما رحت أعدد لك كل الأماكن التي زرتها

اقد اصطعجنا سيارتنا معنا ، وقطعنا عدداً كبيراً من الكيلومترات (واستند

من جديد الى الوسائد) .

لقد زرت أنا والدي ، على الأخص ، أونبرغ في ايكوسيا ، واوكسفورد في

انكلترا ، واذكر أني حدثتك في صالة الرياضة عن المقابلة التي أجريت معي في

هاتين المدينتين ولا سيما في جامعة أونبرغ .

— لا ، لا اظنك ذكرت لي شيئاً من ذلك . اني أتساءل بالضبط اذا ما قمت بشيء من هذا القبيل ، وكيف حدث ذلك ؟ هل اخرجوك بالأسئلة ؟

قال تيدي :

— عفواً ؟

— إني أسألك كيف حدث ذلك ؟ هل كانت المقابلة شيقة ؟

قال تيدي :

— أحياناً نعم ، وأخرى لا ؛ لقد مكثنا هناك أكثر مما يجب . كان والدي يود العودة الى نيويورك في الباخرة التي سبقت هذه ولكن كان هناك أشخاص يأتون الى رؤيتي من استكهولم في السويد ، ومن انزبروك في النمسا . وهكذا اضطررنا للانتظار .

— ان الأمور تجري دائماً على هذا النحو .

ونظر اليه تيدي للمرة الأولى وجهاً لوجه وسأله :

— أأنت شاعر ؟

قال نيكلسون :

— شاعر ؟ لا ، يا آلهي ، مع الأسف . لماذا تسألني ذلك ؟

— لا ادري . ربما دفعني الى هذا السؤال أن الشعراء يجعلون أبداً من أحوال المناخ شيئاً شخصياً . انهم يحملون مشاعرهم اشياء خالية من كل شعور .

ووضع نيكلسون يده في جيبه وهو يبتسم ، واخرج علبه سجائر وثقاباً ، وقال :

— كنت أعتقد بأن ذلك هو اختصاصهم ؛ المشاعر والانفعالات .. أليست اهم شيء في نظر الشعراء ؟

لم يبد على تيدي أنه سمعه ، وربما لم يكن يصغي اليه . فقد كانت بوجه نظره

شاردة الى ما وراء المدخنتين التوأمن القائمين على سطح الألما ب .
واشعل نيكلسون لفافته بشيء من الصعوبة . فقد كانت نسمة خفيفة تهب من
الشمال ، وعدل من جلسته داخل الكرسي ، ثم اضاف :
— اذا كنت قد فهمت الأمور جيداً فأناك قد تركت عدداً من الناس في حيرة
واضطراب شديدين .
قال تيدي فجأة :

— « ليس في صوت الصرصار ما يكشف عن أنه سيموت عما قريب . » « على
طول هذا الدرب لا يسير أحد في هذا المساء الخريفي . »
وسأل نيكلسون وهو يبتسم :
— ماذا تقول ؟ أعده من فضلك !

قال تيدي :
— انها قصيدة ن يابانيتان ، لم تنتفخا بكومة من « السلطات » العاطفية .
وعدل قامته فجأة ، وحنى رأسه جانباً ، وضرب أذنه اليمنى ضربة خفيفة
بيده ، ثم قال :

— ما يزال في أذني شيء من الماء منذ درس السباحة الذي تلقينته بالأمس .
ثم لم أذنه لكتين أخريين . ثم عاد الى الجلوس ، وهو يستند على ظهر
الكرسي ، ويريح يديه على ذراعي المقعد . لقد كانت المقاعد على حجم الكبار
بالضبط ، فبدا ضئيلاً جداً داخل مقعده . ولكنه كان في الوقت نفسه يبدو شديداً
الارتياح ، صافي الذهن .

قال نيكلسون ، وهو يراقبه :
— اذا كنت قد وعيت الأمر جيداً ، فأناك قد تركت وراءك عدداً من البلاء
في بوسطن في حيرة شديدة ، بعد الجلسة الصغيرة التي عقدتها هناك . ومنهم جميع

افراد لجنة ليدىكر الفاحصة على الأقل ، اذا صح ما فهمته . اظن أنى قد ذكرت لك بأنى تحدثت مطولاً مع آل بابكوك في شهر حزيران في نفس المساء - اذا اردت الصراحة - ، في نفس المساء الذي سمعت فيه الشريط الذي سجلته .

- نعم ؛ حقاً ؟ لقد ذكرت لى ذلك .

وأضاف نيكلسون :

- لقد فهمت انهم قد اضطربوا أياً اضطراب . ولقد قام بينكم - بحسب ما روى آل - ذات ليلة حفلة أشبه بحفلات المصارعة الشهيرة ، تلك الليلة التي سجلت فيها ذلك الشريط ، على ما اذكر .

وسحب نفساً من لغافته :

- وبناء على ما قيل لى فقد جرى على لسانك عدد من التنبؤات التي ملأهم رعباً وهلعاً . أليس كذلك ؟

قال تيدي :

- اود ان أعرف لماذا يعتقد الناس بأن من المهم جداً أن يكون الانسان عاطفياً . ان والدي لا يرى الشخص كائناً بشرياً اذا لم يكن في رأسه كومة من الأشياء الكثبية جداً ، المملة جداً ، بل قل الحاطئة الى ابعد الحدود . ان أبى شديد الانفعال حتى عندما يقرأ صحيفة ، انه يعتقد بأنى قاسى القلب ، بعيد عن الانسانية .

واسقط نيكلسون رماد لغافته جانباً ، ثم قال :

- هل أستطيع أن استخلص النتيجة الآتية : وهي أنك غير قادر على أن تحمل عاطفة .

وفكر تيدي قبل أن يجيب ، ثم أردف قائلاً :

- هب' أنى كنت قادراً على ذلك ، فانى لا اذكر أن الفرصة قد سنحت لى

في يوم من الأيام لاأعرف ذلك . واني لا ارى ما جدوى العاطفة ؟ ولم عساها تنفع ؟
وسأل نيكلسون بكثير من الهدوء :

— أنك تحب الله ، أليس كذلك ؟ أليس ذلك — واعذر التعبير — هو سر قوتك ، حسب ما سمعته على ذلك الشريط ، وبناء على أقوال آل بابكوك ؟ ...
قال تيدي :

— نعم ، إني أحب الله من دون شك ، ولكني لا احبه عاطفياً . انه لم يقل بأن على المرء أن يحبه عاطفياً . لو كنت إلهاً لما رغبت الى البشر أن يحبوني بعاطفتهم . ان العواطف متقلبة .

— انك تحب اهلك ، أليس كذلك ؟

قال تيدي :

— نعم ، احبهم كثيراً . ولكنك تريد أن اعطي هذه الكلمة المعنى الذي تعطونه انتم لها . أنا واثق من ذلك .

— موافق . ولكن ما هو المعنى الذي تعطيه انت لها ؟

واطرق تيدي مفكراً ثم سأل وهو يلتفت نحو نيكلسون :

— أنعرف معنى كلمة قريبي ؟

قال نيكلسون بحفاف :

— عندي فكرة غامضة عنها .

قال تيدي :

— ان ما يربطنا هو نوع من القربى ، انهم اهلي ، أعني أن احدنا مرتبط بالآخر وبذلك يتم انسجامنا ... إني اود من صميم قلبي ان يعيشوا حياة سعيدة

لأنهم يحبون ذلك ، ولكنهم لا يحبوننا كما نحن . يبدو أنهم لا يستطيعون أن يحبونا إذا لم يستطيعوا أن يبدلوا فينا قليلا ، أعني بالقدر الذي يحبوننا ، أو أكثر مما يحبوننا ، في أكثر الأحيان . وهذا ما يسؤني في هذا الموضوع .

والتفت من جديد نحو نيكلسون ، وهو يعدل من جلسته في مقعده ، وسأله :
— هل تعرف كم الساعة الآن ، أرجوك ؟ فموء — درسي في السباحة هو العاشرة والنصف .

قال نيكلسون قبل أن ينظر الى ساعته :

— أمامك متسع من الوقت .

ثم قلب كم قميصه واردف :

— الساعة الآن العاشرة وعشر دقائق .

قال تبدي :

— شكرا . ثم غدد من جديد . يمكننا الاستفادة من هذا الحديث عشر دقائق أخرى .

وأخرج نيكلسون إحدى قدميه من المقعد ، وانحنى الى الأمام . ثم سحق بها عقب أفاقته ، وقال وهو يتمدد من جديد :

— إذا كنت قد فهمت أراءك جيدا فانك من الأنصار الأشداء لنظرية تناسخ الأرواح .

— ليست بنظرية .. انها على الأصح ...

قال نيكلسون بسرعة :

— موافق .

وابتسم ، ورفع راحتي يديه قليلا كإشارة مباركة ساخرة :

— أرجو ألا تنجادل الآن حول هذه النقطة . دعني أتم حديثي .

واف من جديد ساقيه الضعفتين الواحدة فوق الأخرى :

— لقد فهمت من تسجيلك أنك قد توصلت بالتأمل الى اليقين بأنك كنت في حياتك الأولى قديساً هندياً « فقد النعمة » ..

قال تيدي :

— لم اكن قديساً ، وانما كنت رجلاً متقدماً على المستوى الروحي فقط .

قال فيكلسون :

— حسناً ، ليس هذا هو المهم . المهم أنك تشعر بأنك قد سقطت في حياتك الأولى الى حد ما قبل أن تصل الى الرؤيا المطلقة . أليس الأمر كذلك ؟ أم تراني ؟ ...

قال تيدي :

— هو كذلك . لقد صادفت سيده وانقطعت على الأثر عن التأمل .

وسحب ذراعيه من على ذراعي المقعد ، ووضع يديه على فخذه كأنما يريد تدفئتهما :

— لقد كان علي ، على كل حال ، أن أتخذ جسماً جديداً ، وان اعود الى الارض ، أعني أنني لم اكن قد بلغت قمة التأمل الروحي ، (حتى لو لم اكن قد قابلت تلك السيدة) ، لأموت والتحق مباشرة « بهراما » وعندئذ فقط يمكنني ان اضم بالابدية ولا اعود الى هذه الارض من جديد . ولكني لو لم اقابل تلك السيدة لما كنت قد مسخت متقمصاً جسد امريكي . افهم ما اقوله : إن من الصعب جداً أن يتأمل المرء ، او يحيا حياة روحية في امريكا . ان الناس هنا لا يرون فيك الا مهرجاً اذا ما حاولت ذلك . ان أي ينظر الي كهريج الى حد ما أما أمي فانها ترى بأنه ليس من الخير لي أن أتأمل طوال الوقت في الله . انها تعتقد بأن ذلك يضر بصحتي .

كان نيكلسون يحدد فيه النظر ويدرسه بامعان :

— اظن انك ذكرت في الشريط الاخير بانك كنت في السادسة عندما مررت
بتجربتك الصوفية الاولى . أليس كذلك ؟
قال تيدي :

.. كنت في السادسة حين رأيت بأن كل شيء في العالم هو الله . وانتصب
شعري حينئذ على رأسي و ... كان اليوم يوم أحد ، كما اذكر ، وكانت أختي ما
تزال رضيعاً في تلك الأثناء . كانت تشرب حليبها ، وفجأة رأيت أنها كانت
جزءاً من الله ، وكان الحليب جزءاً من الله ايضاً ، أعني أنها لم تكن تعمل اكثر من
أن تصب الله في الله . أتفهم ما أعني !
لم يحجر نيكلسون جواباً .

واردف تيدي كما لو أنه يفكر بعد فترة :

— ولكني في الرابعة ، كنت استطيع الخروج غالباً من الأبعاد المحددة . كان
يحدث ذلك غالباً بالطبع ، ولكن ليس بصورة دائمة .
وهز نيكلسون رأسه وقال :

— حقاً . هل كنت تستطيع ذلك ؟

قال تيدي :

— نعم ، ان ذلك مسجل على الشريط ، او انه كان موجوداً في الشريط الذي
سجلته في نيسان . لم اعد اذكر .

وتناول نيكلسون لفائفه من جيبه دون أن يتحول بنظراته عن تيدي . ثم
سأل وهو يرسل ضحكة مقتضية :

— وكيف يخرج الانسان من الأبعاد المحددة . أعني اذا كنا نضع الأشياء
كأساس فككتلة من الخشب هي كتلة من الخشب مثلاً ، لها طول ولها عرض ..

قال تيدي :

— أبدأ ، انكم تخطئون هنا . الناس جميعاً يعتقدون بأن الأشياء تنتهي في مكان ما . ولكن ذلك خطأ . هذا ما حاولت أن أشرحه للاستاذ بيت .
وتحرك داخل مقعده ، واخرج منديلاً يصعب النظر اليه ، شيئاً رمادياً مكوماً وتمخط .

ثم أردف قائلاً :

— اذا كانت الأشياء تنتهي في مكان ما فذلك لأن اكثر الناس لا يعرفون كيف ينظرون اليها بشكل آخر . ولكن ذلك لا يعني انها تنتهي .

واعاد منديله ثم نظر الى نيكلسون وسأله :

— ارفع ذراعك لحظة من فضلك .

— ذراعي ؟ لماذا ؟

— ارفعها فقط ، لحظة واحدة .

ورفع نيكلسون ذراعه عدة سنتيمترات عمن ذراع الكرسي الذي يجلس

عليه ، وسأل :

— هذه الذراع ؟

فوافق تيدي ، وسأله :

— ماذا تسمي هذه ؟

— ماذا ؟ هذه ؟ انها ذراعي . انها ذراع ..

وقاطعه :

— وكيف تعرف ذلك ؟ انك تعرف أنهم يسمونها كذلك . ولكن كيف

تعرف أنهم يسمونها كذلك . ولكن كيف تعرف أنها ذراع فعلاً ؟ هل لديك

برهان واحد على ذلك ؟

واخرج نيكلسون لفافة من عليه واشعلها ثم قال وهو ينفث الدخان منها :
— اذا اردت الصراحة فليس ذلك سوى مجرد سفسطة . انها ذراع بالمله السماء ،
لأنها ذراع . ويجب بادىء ذي بدء أن يطلق عليها اسم معين لتمييز عن سواها . واخيراً
لا يمكن بكل بساطة أن ...

قال تيدي بهرودة :

— انك لا تفعل الآن اكثر من أن تبدأ النقاش بصورة منطقية .

وسأل نيكلسون بلمجة فيها كثير من التهذيب :

— ماذا افعل ؟

قال تيدي :

— تحاكم منطقياً . لقد أجبتني جواباً عادياً ، ذكياً فقط . كنت احاول
مساعدتك . لقد سألتني كيف أستطيع الخروج من الأبعاد المحددة عندما ارغب
في ذلك . إنني لا اصل الى ذلك عن طريق المنطق بكل تأكيد . إن المنطق هو
اول ما يجب التخلي عنه .

ورفع نيكلسون باصابعه نغمة من التبغ لصقت بلسانه .

وسأله تيدي :

— هل تعرف آدم ؟

— هل اعرف من ؟

— آدم .. الذي تتحدث عنه التوراة . فابتسم نيكلسون وقال بلمجة لاتنم
عن شيء :

— لا اعرفه شخصياً .

وتردد تيدي ثم قال :

— لا تغضب . لقد سألتني سؤالاً وأنا الآن ...

- لست 'غاضباً' ، يا رب السماء .

قال تيدي وقد استوى في مقعده وادار رأسه الى نيكلسون .

- او كي . انت تعرف تفاحة آدم ، تلك التي اكلها في جنات عدن كما تقول التوراة . هل تعرف ماذا كان ضمن هذه التفاحة ؟ منطق .. منطق وسخافات فكرية .. هذا كل ما كان فيها . فاذا ما اراد احدنا أن يرى الأشياء على حقيقتها فعليه ان يتقيأها . وعندما تكون قد تقيأها ستزول عنك كل المشاكل التي تتعلق بكبتل الخشب التي ذكرتها ، وما اشبه ذلك . ولن ترى الأشياء ، اذ ذاك تنتهي عند حدود ... وسترى اذ ذاك ما هي ذراعك ، اذا كان هذا يهيك بالطبع . هل ترى ما اعني ؟ هل تتابعني ؟

قال نيكلسون بلهجة فيها شيء من الجفاف :

- إني اتابعك .

واستأنف تيدي :

- ان جوهر المشكلة يتلخص في ان اكثر الناس لا يريدون ان يروا الأشياء كما هي .

انهم لا يريدون حتى أن يتوقفوا عن الولادة والموت دون انقطاع . انهم يريدون دائماً اجساداً جديدة بدلا من أن يوقفوا هذا التناسخ ، ويستقروا بقرب الله ، حيث كل شيء رائع .

وفكر قليلا ثم أضاف :

- إني لم ار مطلقاً مثل هذا العدد الضخم من أكلة التفاح .

وهز رأسه ملياً .

وفي تلك الأثناء مر نادل بسترته البيضاء بين المقاعد . وتوقف امام تيدي ونيكلسون ، وسألها فيما اذا كانا يرغبان ان في حساء الصباح .

فلم يكلف نيكلسون نفسه عناء الجواب .

أما تيدي فقد قال :

— لا ، شكرأ .

وابتعد النادل .

قال نيكلسون بلمهجة مذعورة وبشيء من العنف :

— اذا كنت لا تريد أن تجيبني على سؤالي التالي فلا ترجع نفسك ، (ونفض

رماد سيجارته) . اصحيح انك قلت لأعضاء اللجنة « ليديكر » الذين كانوا

يتمحنونك : والتون ، بيت ، لارسن ، صاموئيل ، وبقية المجموعة متى سيموتون ؟

واين والطريقة التي سيموتون بها ؟ اصحيح ذلك ام لا ؟ لست مضطراً للإجابة اذا

لم ترغب في ذلك . ولكن اذا صدقنا الشائعات التي تدور في بوسطن ...

قال تيدي بحياء :

— كلا ، ليس ذلك صحيحاً . لقد نهتهم الى الاماكن والأزمئة التي عليهم

ان يحتاطوا لها . ودللتهم على بعض الأشياء التي قد يفيدهم القيام بها ... ولكني لم

اقل ما ذكرته لي . لم اقل بان هذه الأشياء لا بد ان تقع لهم .

واخرج منديله من جديده ، وتمخط .

كان نيكلسون ينتظر وعينه لا تفارقان الصبي .

لم اقل للاستاذ بيت شيئاً من هذا القبيل لأنه لم يكن اصلاً بين الذين تحلقوا

حولي يتندرون ، ويسألون مئات الأسئلة . وكل ما قلته له هو ان عليه ان يتوقف

عن التدريس بعد شهر كانون الثاني ، هذا كل ما قلته له ..

وعند تيدي في كرسيه ، ومكث فترة لا يتفوه .

— اما الاساتذة الآخرون فقد ارغموني تقريباً على أن اذكر لهم ما ذكرت . كان

ذلك بعد المقابلة ؛ عندما سجل ذلك الشريط . كان ذلك الوقت قد تأخر وكانوا

قد مكثوا جميعاً حولي يدخلون ويخرجون بنظراتهم الغريبة .

فألح نيكلسون :

— ولكن ، ألم تقل لواتون مثلاً ، أو للارسن أين ؟ ومتى ؟ وكيف ستكون
منيتهم ؟

قال تيدي بحزم :

— لا ، أبداً . ولم اكن أود أن أتحدث اليهم عن شيء من هذا القبيل . ولكنهم
لم يتوقفوا عن السؤال حول هذا الموضوع . لقد فتح الاستاذ والتون الموضوع .
قال انه يرغب كل الرغبة ان يعرف متى سيموت ، لأنه سيستطيع تحديد العمل
الذي يمكنه القيام به قبل موته . والعمل الذي يجب أن ينصرف عنه ، وأنه
يستطيع بذلك استخدام عمره على الوجه الأمثل ... والحق الجميع على ذلك .
فتكلمت عندئذ قليلاً بهذا الصدد ...

وصمت نيكلسون ، و اضاف تيدي :

— ولكنني لم اذكر لهم بالضبط متى سيموتون تماماً . انها مجرد أقاويل . كنت
أستطيع ان افعل ذلك . ولكنني كنت اعرف بانهم في اعماقهم لم يكسونا
يرغبون في معرفة تلك الأشياء اعني كنت اعرف انهم وان كانوا يعلمون الدين
والفلسفة ... ولكنهم يخشون الموت بشكل ...

ونفض تيدي ومكث لحظة صامتاً ثم اردف .

— ان ذلك جد سخيف . فليس الموت إلا أن يخرج الانسان من جسده . لقد
اعاد الناس هذه العملية آلاف وآلاف المرات ، ولكنهم لا يعرفون ذلك لأن
ذاكرتهم تخونهم في هذا الموضوع بالذات .

ان ذلك لمنتهى القبياه .

قال نيكلسون :

— ربما .. ربما . ولكن يبقى هناك موضوع منطقي : هو أنه لا يهم مقدار
الذكاء الذي ...

وردد تيدي .

— ذلك منتهى البقاء . إنني سأذهب مثلاً الى درس السباحة بعد خمس دقائق .
قد افقر في الحوض ، وقد يكون الحوض فارغاً ، قد يكون هو اليوم الذي
يغيرون فيه ماء الحوض ؛ او ما أشبه ذلك .. واذ ذاك ماذا يمكن ان يحدث ؟ قد
اقترب من الحافة لأرى قاعه مثلاً . وقد تدبني أختي ، واذا اردت ، قد تدفعني
اليه ، وقد اصاب بكسر في جمجمتي ، واموت في الحال .

وحدثني تيدي في نيكلسون ، ثم قال :

— قد يحدث ذلك . فأختي لها من العمر ست سنوات . انها لم تعد كائناتاً
بشرياً منذ عدد كبير من الحيوانات ؛ وهي لا تحبني كثيراً . هناك احتمال كبير في
أن يحدث ذلك . فاذا ما حدث فإذا عسى أن تكون المأساة في ذلك ؟ أعني ، ما
هو السبب الذي يستدعي الخوف ؟ ان علي أن أعمل فقط ما ينتظر مني عمله ..
هذا هو كل شيء . ألا تمتد ذلك ؟

وضحك نيكلسون ضحكة تسامح وقال :

— ربما لن يكون ذلك مأساة من وجهة نظرك . ولكنه سيكون امراً محزناً
حتماً بالنسبة لأهلك وأبيك . هل فكرت في ذلك ؟

قال تيدي .

— نعم ، بالطبع ، ولكن سبب ذلك هو أنهم يخلمون الأسماء والعواطف على
كل ما يحدث .

كان قد أعاد وضع يديه فوق فخذه ؛ فرفعهما ، ثم وضع ذراعيه على ذراعي
الكرسي ، ونظر الى نيكلسون ، وسأله .

— هل تعرف سفين ؟ الرجل الذي يهتم بالرياضة ...

وانتظر حتى أوماً نيكلسون برأسه علامة التأكيد .

— حسناً فاذا حلم سفين في الليلة القادمة بأن كلبه قد مات ، فسيمضي ليلة تعيسة
جداً لأنه يحب كلبه كثيراً . ولكنه عندما سيستيقظ غداً صباحاً فإنه سيرى بأن

الأمر تسير سيرها الطبيعي . وسيعرف بأن ذلك لم يكن الا خطأ .
واوماً نيكلسون موافقاً .

— اذاً ، الى أين تريد أن تصل بالضبط ؟

— اريد أن أصل الى ذلك : اذا كان كلبه قد مات بالفعل فلن يكون هناك فرق ، لانه لن يعرفه . أعني انه لن يستيقظ قبل ان يكون قد مات هو نفسه .
وراح نيكلسون يدلك رقبته بحركة لا مبالية مستخدماً يده اليمنى ببطء ولذاً . أما يده اليسرى فقد كانت مستندة بلا حراك الى ذراع المقعد ، ولغافته غير مشغلة بين أصابعه . كان يبدو شاحباً بصورة خفيفة ، جامداً ، تحت الشمس اللاهبة .

ونفض تيدي فجأة وهو يقول :

— يجب أن أذهب الآن ، أخشى أنني ...

ثم جلس بحذر على مؤخرة الكرسي ، وجهاً لوجه أمام نيكلسون ، وأدخل قبضه في حزام بنطاله ، واردف :

— لم يعد أمامي سوى دقيقة ونصف على ما اعتقد للوصول في الوقت المناسب الى درس السباحة . انه في نهاية السطح د .

وقاطعه نيكلسون بصوت أقرب الى الحشونة :

— هل تستطيع ان أسألك لماذا ذكرت للاستاذ بيت أنت عليه أن يتوقف عن التدريس بعد اول شهر كانون الثاني ؟ إني اعرف بوب بيت ، ولذلك اوجه لك هذا السؤال .

وشد تيدي حزامه من جلد التمساح .

— لقد قلت ذلك ، لأنه قد بلغ مرحلة متقدمة على المستوى الروحي . وانه الآن ليعلم اشياء ليس فيها أية فائدة له اذا ما اراد المضي في التقدم الروحي . ان

ذلك يشغله كثيراً . لقد آن أمثله ان ينزع كل ذلك من رأسه . بدلا من أن يحشوه من جديد . انه يستطيع الآن ان يتخلص من قسم كبير من التفاحة في هذه الحياة ، اذا اراد . انه ليمتلك قدرة هائلة على التأمل .

ونفض تبدي :

- علي أن أذهب . لا أريد ان اصل متأخراً .

ورفع نيكلسون عينيه نحوه ، وثبت بصره عليه ، وسأله :

- ماذا تعمل فيما لو وكل اليك امر تغيير اسلوب التدريس . هل سبق لك ان فكرت في ذلك ؟

قال تبدي :

- يجب ان اذهب على الفور .

قال نيكلسون :

- اجب فقط على هذا السؤال ، إن التربية هي كل ما اهتم به ، وهي ما اعلمه . لذلك اوجه اليك هذا السؤال .

قال تبدي :

- حسناً ... لست واثقاً بما افعله . ولكنني واثق تقريبا من انني لن ابدأ بالاشياء التي تعلم عادة في المدارس .

وصالب ذراعيه ثم اطرق برهة يفكر :

- اظن اني قد اجمع اولاً كل الاطفال ، واعلمهم كيف يمارسون التأمل ؟ اجرب ان اعلمهم كيف يكشفون عن ذواتهم ، بدلا من ان يتعلموا اسماءهم وما اشبه ذلك ...

اظن اني ساحلمهم قبل ذلك على نسيان كل ما علمهم اياه آباؤهم ومن يحيط بهم ،

اعني حتى اذا كان آباؤهم قد علموهم ان الفيل ضخم فاني ساجعلهم ينسوت ذلك
ليس الفيل ضخماً إلا اذا قارناه بأشياء أخرى ككلب او سيدة مثلاً .

وفكر تيدي لحظة :

- ان اقول لهم حتى ان الفيل له خرطوم . قد اريهم فيلاً ، اذا كان هناك فيل
في متناول يدي ، ولكنني اتركهم يقتربون منه فقط ، دون ان يعرفوا عنه أكثر مما
يعرفه الفيل عنهم ، واتبع نفس الطريقة مع العشب ، ومع الاشياء
الأخرى ، ان اقول لهم حتى أن العشب أخضر . ليست الألوان ، إلا أسماء .
أعني أنني اذا قلت لهم بأن العشب أخضر فذلك سيقودهم حتماً الى أن يتصوروا
بأن للعشب مظهرًا معيناً ، هو المظهر الذي نسقطه عليه ، بدلاً من أن يكون هناك
مظهر آخر يمكن ألا يقل صحة عنه ، وربما كان أكثر صحة ... لا ادري .

ساجعلهم يتقياون كل جزء من التفاحة مهما ضؤل ، كل جزء يمكن أن يكون
آباؤهم او المحيط الذي يعيشون فيه قد حملوهم على قضمه .

- ألا تخشى أن تنسى ، بذلك جيلاً من الجبهة ؟

قال تيدي :

- لماذا ؟ انهم لن يكونوا أشد جهلاً من الفيل ، او العصفور ، او الشجرة
مثلاً . لا يمكن أن نسمي الأشياء جاهلة لأنها موجودة على نحو ما ، بدلاً من أن
توجد على نحو آخر .

- هذا ما تراه اذا ؟ ألا تسمي هذا جهلاً ؟

قال تيدي :

- لا ، واذا ما رغب هؤلاء الأطفال في تعلم الأشياء الأخرى كالأسماء ،
والألوان ، والأشياء فليتعلموها فيما بعد ، اذا كان الأمر يهمهم ، عندما يكونون
قد بلغوا سنًا معينة . ولكنني أفضل أن يبدأوا النظر للأشياء كما يجب أن ينظر

اليها حقاً ، لا كما يراها أكلة التفاح الآخرون .

هذا ما أريد قوله .

واقترب من نيكلسون ومد له يده :

— يجب أن أذهب الآن . لقد سررت فعلاً من ...

قال نيكلسون :

— لحظة من فضلك ... اجلس لحظة ألم تفكر يوماً بأنك قد تقوم ببعض الأبحاث العلمية عندما تكبر ؟ أبحاث طبية مثلاً ؟ أو شيء من هذا القبيل . يبدو لي أنك بهذا الذهن الذي نملكه قد . .

اجاب تيدي دون أن يجلس قائلاً :

— لقد خطرت لي هذه الفكرة منذ عامين ، وتحدثت عنها الى عدد كبير من الاطباء .

ثم هز رأسه وأضاف :

— لن يثير ذلك في اهتماماً كبيراً ، لان الاطباء لا يرون من الاشياء الا ظواهرها فقط . انهم يبقون أبداً على السطح . انهم يتحدثون أبداً عن الخلايا و ..

— اوه ؟ ألا تعطي أهمية لتكوين الخلايا ؟

— نعم ، بالطبع . ولكن الاطباء يتكلمون عن الخلايا كما لو انها لا تخص حقاً الشخص الذي يحملها .

ورد تيدي شعره بيديه الى الوراء ، وقال :

— لقد كبرت . لم يقم أحد بذلك بدلا مني ، فاذا ما كنت قد كبرت فمعنى ذلك أني عرفت كيف أصل وحدي الى هذا بصورة لا شعورية على الأقل . ربما كنت قد فقدت المعرفة الشعورية بأسلوب النمو في فترة ما ؛ او في اخرى ، خلال مئات ملايين السنين الاخيرة التي مرت بها ، ولكن ذلك لا يقلل من صحة ان

هذه المعرفة تبقى فطرية ، لانني استخدمتها بشكل واضح .

اننا نحتاج الى كثير من التأمل ومن التفريغ لنعرف من جديد سبب هذه
الكيفية التي يتم بها نمونا ، اعني لتصبح هذه المعرفة شعورية . ولكن المرء يستطيع
ذلك اذا ما رغب فيه ، اذا ما فتح الانسان ذاته على مصراعها .

وأمسك فجأة بيد نيكلسون اليمنى المتكئة على ذراع الكرسي ، وهزها
مرة واحدة بحفاوة وقال :

« الى اللقاء ، يجب أن اذهب . »

ولم يستطع نيكلسون هذه المرة ان يوقفه للسرعة التي شق بها طريقه بين
الكراسي .

مكث نيكلسون جالساً عدة دقائق بعد ذهاب يدي ، ويداه مرتكزتان على
ذراعي الكرسي ، وكانت لفافته التي لم يشعلها بعد ما تزال بين أصابع يده
اليمنى .

واخيراً ، رفع يده اليمنى ، وتأكد من أن يافته ما تزال مفتوحة ، ثم اشعل
لفافته ، واستوى في مكانه بين الوسائد .

ودخن لفافته حتى نهايتها . ثم رفع قدمه بعنف عن الكرسي ، وسحق عقبها ،
وانتصب واقفاً ، وترك السطح الاعلى مسرعاً .

هبط السلم الذي يقود نحو المقدمة بسرعة شديدة نحو سطح النزهة . ودون
ان يتوقف هناك تابع الهبوط بنفس السرعة نحو السطح الرئيسي ، ثم نحو السطح
أ . ثم نحو السطح ب . ثم السطح ج . ثم السطح د :

وعند السطح د . كانت نهاية المرات نحو المقدمة .

وبقي نيكلسون هناك لحظة ، كما لو انه أضاع الطريق ، ثم لاحظ شخصاً بدا
له أنه يستطيع أن يدلّه عليه .

كانت في الممر ، عند مدخل المطابخ ، مضيفة تقرأ مجلة وهي تدخن لغافة .
اقترب منها نيكلسون ، واستفسر عن الطريق بإيجاز ، ثم شكرها . ثم خطا
عدة خطوات الى الامام ، وفتح باباً معدنياً ثقيلاً كتب عليه « حوض الاستحمام »
كان وراءه سلم ضيق لم يفرش بالسجاد . كان نيكلسون قد هبط اكثر من نصف
السلم عندما سمع صراخاً حاداً ، طويلاً مبعثه فتاة صغيرة من دون شك . كان
يرن في الاذنين . رنيناً حاداً ، كما لو ان اربعة جدران من الآجر تردده كصوت
رصاصه .

تمت

فهرس

- ١ - يوم مثالي لسمكة الموز .
- ٢ - الهم المرضوض في كونكتيكوت .
- ٣ - عشية الحرب مع الاسكيمو .
- ٤ - الرجل الضاحك .
- ٥ - تحت .. في المركب .
- ٦ - من اجل اسمه .. مع الحب والدناءة .
- ٧ - جميل فمي ، وخضر اوان عيناى .
- ٨ - دوميه سميت يدخل معترك الحياة .
- ٩ - تيدي .

اعني حتى اذا كان آباؤهم قد علموه ان الفيل ضخيم فاني ساجعلهم ينسوث ذلك
ليس الفيل ضخماً إلا اذا قارناه بأشياء أخرى ككلب أو سيدة مثلاً .

وفكر تيدي لحظة :

— لن اقول لهم حتى ان الفيل له خرطوم . قد اريهم فيلاً ، اذا كان هناك فيل
في متناول يدي ، ولكني اتركهم يقتربون منه فقط ، دون ان يعرفوا عنه اكثر مما
يعرفه الفيل عنهم ، واتبع نفس الطريقة مع العشب ، ومع الاشياء
الأخرى ، لن اقول لهم حتى أن العشب أخضر . ليست الألوان ، إلا أسماء .
أعني أنني اذا قلت لهم بأن العشب أخضر فذلك سيقودهم حتماً الى أن يتصوروا
بأن للعشب مظهراً معيناً ، هو المظهر الذي نسقطه عليه ، بدلاً من أن يكون هناك
مظهر آخر يمكن ألا يقل صحة عنه ، وربما كان اكثر صحة ... لا ادري .

ساجعلهم يتقيأون كل جزء من التفاحة معها ضؤل ، كل جزء يمكن أن يكون
آباؤهم أو المحيط الذي يعيشون فيه قد حملوه على قضمه .

— ألا تخشى أن تنسى بذلك جيلاً من الجبهة ؟

قال تيدي :

— لماذا ؟ انهم لن يكونوا أشد جهلاً من الفيل ، أو العصفور ، أو الشجرة
مثلاً . لا يمكن أن نسمي الأشياء جاهلة لأنها موجودة على نحو ما ، بدلاً من أن
توجد على نحو آخر .

— هذا ما تراه اذا ؟ ألا تسمي هذا جهلاً ؟

قال تيدي :

— لا ، واذا ما رغب هؤلاء الأطفال في تعلم الأشياء الأخرى كالأسماء ،
والألوان ، والأشياء فليتعلموها فيما بعد ، اذا كان الأمر بهم ، عندما يكونون
قد بلغوا سناً معينة . ولكني أفضل أن يبدأوا النظر للأشياء كما يجب أن يُنظر

اليها حقاً ، لا كما يراها أكلة التفاح الآخرون .
هذا ما أريد قوله .

واقترب من نيكلسون ومد له يده :

— يجب أن أذهب الآن . لقد سررت فعلاً من ...

قال نيكلسون :

— لحظة من فضلك ... اجلس لحظة ألم تفكر يوماً بأنك قد تقوم ببعض
الأبحاث العلمية عندما تكبر ؟ أبحاث طبية مثلاً ؟ أو شيء من هذا القبيل . يبدو
لي أنك بهذا الذهن الذي تملكه قد . .

اجاب تيدي دون أن يجلس قائلاً :

— لقد خطرت لي هذه الفكرة منذ عامين ، وتحدثت عنها الى عدد كبير من
الاطباء .

ثم هز رأسه وأضاف :

— لن يشير ذلك في اهتماماً كبيراً ، لان الاطباء لا يرون من الاشياء الا
ظواهرها فقط . انهم يبقون أبداً على السطح . انهم يتحدثون أبداً عن الخلايا و ..

— اوه ؟ ألا تعطي أهمية لتكوين الخلايا ؟

— نعم ، بالطبع . ولكن الاطباء يتكلمون عن الخلايا كما لو انها لا تخص حقاً
الشخص الذي يحملها .

ورد تيدي شعره بيديه الى الوراء ، وقال :

— لقد كبرت . لم يقم أحد بذلك بدلا مني ، فافأ ما كنت قد كبرت فمعنى
ذلك أني عرفت كيف اصل وحدي الى هذا بصورة لا شعورية على الأقل . ربما
كنت قد فقدت المعرفة الشعورية بأسلوب النمو في فترة ما ؛ او في اخرى ، خلال
مئات ملايين السنين الاخيرة التي مرت بها ، ولكن ذلك لا يقلل من صحة ان

الأمور تسير سيرها الطبيعي . وسيعرف بأن ذلك لم يكن إلا حلاً .
واوما نيكلسون موافقاً .

— اذاً ، الى أين تريد أن تصل بالضبط ؟

— اريد أن أصل الى ذلك : اذا كان كلبه قد مات بالفعل فلن يكون هناك فرق ، لأنه لن يعرفه . أعني انه لن يستيقظ قبل ان يكون قد مات هو نفسه .
وراح نيكلسون يدلك رقبتك بحركة لا مبالية مستخدماً يده اليمنى ببطء وقلد . أما يده اليسرى فقد كانت مستندة بلا حراك الى ذراع المقعد ، ولفافته غير مشغلة بين أصابعه . كان يبدو شاحباً بصورة خفيفة ، جامداً ، تحت الشمس اللاحبة .

ونفض تيدي فجأة وهو يقول :

— يجب أن أذهب الآن ، أخشى أنني ...

ثم جلس بحذر على مؤخرة الكرسي ، وجهاً لوجه أمام نيكلسون ، وأدخل قبضه في حزام بنطاله ، واردف :

— لم يعد أمامي سوى دقيقة ونصف على ما اعتقد للوصول في الوقت المناسب الى درس السباحة . انه في نهاية السطح د .

وقاطعه نيكلسون بصوت أقرب الى الخشونة :

— هل تستطيع ان أسألك لماذا ذكرت للاستاذ بيت أنت عليه أن يتوقف عن التدريس بعد أول شهر كانون الثاني ؟ إني اعرف بوب بيت ، ولذلك أوجه لك هذا السؤال .

وشد تيدي حزامه من جلد التمساح .

— لقد قلت ذلك ، لأنه قد بلغ مرحلة متقدمة على المستوى الروحي . وأنه الآن ليعلم أشياء ليس فيها أية فائدة له اذا ما اراد المضي في التقدم الروحي . ان

ذلك يشغله كثيراً . لقد آن لمثله ان ينزع كل ذلك من رأسه . بدلا من أن يحشوه من جديد . انه يستطيع الآن ان يتخلص من قسم كبير من التفاحة في هذه الحياة ، اذا اراد . انه ليمتلك قدرة هائلة على التأمل .

ونفض تبدي :

— علي أن أذهب . لا أريد ان اصل متأخراً .

ورفع نيكلسون عينيه نحوه ، وثبت بصره عليه ، وسأله :

— ماذا تعمل فيما لو وكل اليك امر تغيير اسلوب التدريس . هل سبق لك ان فكرت في ذلك ؟

قال تبدي :

— يجب ان اذهب على الفور .

قال نيكلسون :

— اجب فقط على هذا السؤال ، إن التربية هي كل ما اهتم به ، وهي ما اعلمه . لذلك اوجه اليك هذا السؤال .

قال تبدي :

— حسناً ... لست واثقاً مما افعله . ولكنني واثق تقريباً من انني لن ابدأ بالاشياء التي تعلم عادة في المدارس .

وصالب ذراعيه ثم اطرق برهة يفكر :

— اظن اني قد اجمع اولا كل الاطفال ، واعلمهم كيف يمارسون التأمل ؟ اجرب ان اعلمهم كيف يكشفون عن ذواتهم ، بدلا من ان يتعلموا اسماءهم وما اشبه ذلك ...

اظن اني ساحلمهم قبل ذلك على نسيان كل ما علمهم اياه آباؤهم ومن يحيط بهم ،

هذه المعرفة تبقى فطرية ، لانني استخدمتها بشكل واضح .

اننا نحتاج الى كثير من التأمل ومن التفريع لنعرف من جديد سبب هذه الكيفية التي يتم بها نمونا ، اعني لتصبح هذه المعرفة شعورية . ولكن المرء يستطيع ذلك اذا ما رغب فيه ، اذا ما فتح الانسان ذاته على مصراعها .

وأمسك فجأة بيد نيكلسون اليمنى المتكئة على ذراع الكرسي ، وهزها مرة واحدة بحفاوة وقال :

« الى اللقاء ، يجب أن اذهب . »

ولم يستطع نيكلسون هذه المرة ان يوقفه للسرعة التي شق بها طريقه بين الكراسي .

مكث نيكلسون جالساً عدة دقائق بعد ذهاب يدي ، ويداه مرفقتان على ذراعي الكرسي ، وكانت لفافته التي لم يشعلها بعد ما تزال بين أصابع يده اليسرى .

واخيراً ، رفع يده اليمنى ، وتأكد من أن ياقته ما تزال مفتوحة ، ثم اشعل لفافته ، واستوى في مكانه بين الوصائد .

ودخن لفافته حتى نهايتها . ثم رفع قدمه بعنف عن الكرسي ، وسحق عقبها ، وانتصب واقفاً ، وترك السطح الاعلى مسرعاً .

هبط السلم الذي يقود نحو المقدمة بسرعة شديدة نحو سطح النزهة . ودون ان يتوقف هناك تابع الهبوط بنفس السرعة نحو السطح الرئيسي ، ثم نحو السطح آ . ثم نحو السطح ب . ثم السطح ح . ثم السطح د :

وعند السطح د . كانت نهاية الممرات نحو المقدمة .

وبقي نيكلسون هناك لحظة ، كما لو انه أضاع الطريق ، ثم لاحظ شخصاً بدا له أنه يستطيع أن يدلّه عليه .

كانت في الممر ، عند مدخل المطابخ ، مضيفة تقرأ مجلة وهي تدخن لفافة .
اقترب منها نيكلسون ، واستفسر عن الطريق بإيجاز ، ثم شكرها . ثم خطا
عدة خطوات الى الامام ، وفتح باباً معدنياً ثقيلاً كتب عليه « حوض الاستحمام »
كان وراءه سلم ضيق لم يفرش بالسجاد . كان نيكلسون قد هبط اكثر من نصف
السلم عندما سمع صراخاً حاداً ، طويلاً مبعثه فتاة صغيرة من دون شك . كان
يرن في الاذنين . رنيناً حاداً ، كما لو ان اربعة جدران من الآجر تردده كصوت
رصاصه .

تمت

فهرس

- ١ - يوم مثالي لسمكة الموز .
- ٢ - العم المرضوض في كونكتيكوت .
- ٣ - عشية الحرب مع الاسكيمو .
- ٤ - الرجل الضاحك .
- ٥ - تحت .. في المركب .
- ٦ - من اجل اسمه .. مع الحب والدناءة
- ٧ - جميل فمي ، وخفصراوان عيناوي .
- ٨ - دوميه سميث يدخل معترك الحياة .
- ٩ - تيدي .

بعض ما قيل في مؤلف هذا الكتاب



● « اذا لم يكن ج . د . د . سالنجر اكبر كتاب العالم الجديد ، فهو بلا ريب اكثرهم تفرداً وغنى واكثرهم اثارة وجدة ، انه المع واروع هؤلاء الكتاب على الاطلاق . »
جريدة « كومبا » الفرنسية

● « يملك سالنجر موهبة خارقة ... انه ابرز الكتاب المعاصرين في العالم ... »

صحيفة « سان فرانسيسكو كرونكل »

● « اقرأوا سالنجر واعيدوا قراءته ، مترجماً او في لغته الاصلية ، فهو معين لا ينضب ... »

مجلة « فرانس اوبسرفاتور » الفرنسية



منشورات
دار الاتحاد

الثنى ٥٠٠ ق . ل . ٥٧٥ ق . س . او ما يعادلها .